أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في نشره
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس — جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ — أكتوبر ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

شخصية البحتري

بقلم : أحمد حسن الزيات

الاحتفال بشاعر الشام الأكبر ، ونابغة العروبة الخالد . تكريم لذكراه ، وتحية لفنه ، والتكريم والتحية يقتضيان الاقتصار على ما يجمل ذكره من أخلاق الشاعر وصفاته . وذلك يتسنى لمن يتحدث مختارا عن جانب من جوانب سلوكه ، أو مزية من مزايا فنه . أما من اقترح عليه أن يتحدث عن شخصيته فالأمر معه جد مختلف . ذلك لأن شخصية الرجل هي صورته المعنوية تركبت من آثار الفطرة والوراثة والبيئة والطبيعة ونمط العيش ونوع الثقافة ولون الحضارة . ولأولئك كله خطوط وألوان وظلال ، منها المستقيم والمعوج ، والسوي والشاذ ، والبارز والمستتر ، وبدونها كلها لا تكمل الصورة ولا تتم المعرفة . فإذا صورت البحتري على الطريقة الواقعية التي تعتمد على استقراء وشهادة مواطنيه ، لا على الطريقة الخيالية التي صور بها هو ممدوحيه ، كنت أقرب إلى إرضاء الحق وإنصاف التاريخ . وعذر البحتري في انطباع شخصيته على هذه الصورة حال المجتمع في عصره .

(*) نص الكلمة التي ألقيت في مهرجان البحتري يوم ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٦١ بجامعة دمشق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقد كان العصر الثانى من عصور الدولة العباسية عصر نزاع على الخلافة وصراع بين الأجناس وصدام بين المذاهب وخصام بين الأسر وتنافس فى الثروة والجاه، وتدفق فى الترف واللهو. وتورط فى الشهوة واللذة. والشاعر الذى يعيش على صلات الخلفاء والرؤساء مقضى عليه أن يساير ويشارك ويهاوى ويحتال، فيخرج من الرأى إلى نقيضه، وينقلب من الرجل إلى عدوه.

شخصية الوليد أبى عبادة البحترى شخصية الإنسان المطبوع والفنان الموهوب، كانت إنسانيته لا يختلف معناها عن معنى الحيوانية فى اكتساب القوت لتحيا، واجتناب الأذى لتنجو، وكانت فنيته لا يبعد مداها عن أن تكون وسيلة لهذه الحياة، تهيئ لها عدة القوة، وتمد لها أسباب العزة كما يقول:

لى من الشعر نجوة واعتزاز
وهجوم على الأمور الشداد

كان الشعر فى عصر البحترى للشاعر بمثابة الناب والظفر للسبع، يبتغى الرزق بالمدح، ويتقى الأذى بالهجاء. والذى جعل للشعر هذه الوظيفة تلك الحساسية المرضية التى توارثها العرب للمدح استجابة لدواعى العصبية وطمعا فى خلود الذكر، وكان البحترى وهو صبى يرتع بين أشجار النوت فى منبج، أو يتنقل وهو يافع بين مضارب طيئ على الفرات، يرد على سمعه ما تتناقله الأفواه فى القرية والبادية عما ينال الشعراء فى قصور الخلفاء والأغنياء من الجاه والثراء، وبخاصة مواطنه أبو تمام فيطمح إلى ذلك، وينظر فى نفسه فيجد خاطره يسمح بالشعر على البديهة دون علم بالعروض إلا ما اكتسب بالسليقة، ولا بصر باللغة إلا ما أخذ عن الأعراب، فيعلم أنه أوتى الملكة وأعطى الوسيلة فيقرض الشعر فى كل شىء، وينشده فى كل مكان.

قال صالح بن الأصبغ النوخى المنبجى: «رأيت البحترى هنا قبل أن يخرج إلى العراق يمدح أصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر فى مجيئه وذهابه»، ومعنى ذلك أن البحترى بدأ يتكسب بالشعر فى قريته على هذه الصورة المبتذلة، لأنه قرر فى نفسه أن يتصيد رزقه فى بحور الشعر تارة من السمك وتارة من اللؤلؤ. وما كان لفتى منبج الطامع الطامح أن يقنع بالبصل والباذنجان، دون اللؤلؤ والمرجان، وهو الذى تمرد منذ صباه على الفقر وقضى العمر كله فى جهاده، جاهده بسلاح الشعر وحده لا بالعلم ولا بالعمل، وسلاح الشعر يدركه الفلول فى بعض الأوقات لإعراض خليفة أو صدود وزير فلا يعمل، فيضطر إلى التنقل من قصر إلى قصر، أو التحول من بلد إلى بلد، فكانت حياته حياة الطائر المغرد، قوام عيشه حنجرة وخيمة وجناح خفاق ومنقار لاقط، يغنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حيث يكون الروض ، ويقع حيث ينتثر الحب .
فإذا حل الشتاء وطمر الثلج روضه ، وحطم السيل عشه ، قطع أجواز الفضاء وأثباج الماء إلى جو آخر يتوفر فيه الحب والأمن والدفء!

* * *

شخصية البحترى ككل شخصية إنسانية لها قوامان : قوام مادى مفتاحه حب المال ، وقوام معنوى مفتاحه حب الجمال . وبهذين المفتاحين نستطيع أن نفتح ما استغلق من طباعه ، ونفسر ما استبهم من سلوكه .

كان حديث أحلامه ومنتجع أمانيه أن يقتنى ضيعة فى منبج ، فمدح من مدح من السادة والقادة حتى بلغ فى عهد المتوكل فوق ما تمنى . ثم صار همه بعد ذلك أن يمدح الولاة والعمال ليعفوا ضياعه من الخراج . قال أحمد بن إسماعيل : كان البحترى يلزم إبراهيم بن المدبر فى كل سنة أن يسقط أكثر خراجه أو يؤديه عنه . فأراد يوما أن يشترى ضيعة جديدة واستباح إبراهيم أن يؤدى عنه بعض ثمنها ، فلامه على طمعه وقال له : يكفيك ما تملك من الضياع فقد كثرت وعظمت ، فأنشده قصيدة كان قد أعدها يقول فى مطلعها : سقيا لها تمادى لومها ولجاجها . حتى بلغ قوله فيها :

وما زالت العيس المراسيل تنبرى
فيقضى لدى آل المدبر حاجها
فأمر له بإتمام ماله .

كان البحترى فى سبيل حب المال يبخل به ويحرص عليه . وهل البخل معنى غير حب المال ؟ فما رواه أبو الغوث ابنه . وحكم ابن يحيى ، وأبو مسلم محمد بن الأصفهانى من حديث شحه على نفسه وتقتيره على خادمه وأخيه ليس بدعا من أخلاق الشعراء فى ذلك العصر ، فقد كان البخل طبعا مكتسبا فيهم لم يخل منه إلا أفراد قلائل غيبتهم نشوة الخمر عن الفكر فى المستقبل فعاشوا فى الحاضر يوما بيوم ، كمسلم بن الوليد وأبى نواس ، والشعراء البخلاء منطقيون مع الحياة ، يصنعون ما تصنع النحل والنمل ، يدخرون بعض ما يجدون ليوم لا يجدون . لأن موارد أرزاقهم لم تكن مضمونة ولا مأمونة . كانوا يعيشون على صلات الخلفاء وأولى النعمة ، ينادمونهم على الشراب ، ويغنون لهونهم فى السمر ، ويمالقونهم بالمدح ، ويدورون من وراء رضاهم فى السياسة والحكم ، فهم فى خير ما دامت أسبابهم موصولة بالقصر ، فإذا انقطعت انقطع رجاؤهم فى العيش . ولم يكن للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم جدء أعلى فى عصر البحترى يسنى لهم طرق العيش الكريم بالتأليف والترجمة والنشر والمعونة ، فكانوا بين مجدود كالجاحظ ، أو مكدود كالأخفش . أما الجاحظ فقد سئل يوما عن ثروته فتبسم ضاحكا وأجاب : إنما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنا وجارية ، وجارية تخدمها ، وخادم ، وحمار . وقد أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى أحمد بن أبي دؤاد فأعطاني خمسة آلاف دينار . وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار . فانصرفت إلى البصرة ومعي ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد . وأما علي بن سليمان الأخفش النحوي الأديب فقد ضاقت به الحال في أواخر أيامه فسأل أبا علي بن مقلة أن يكلم له الوزير علي بن عيسى عسى أن يجري عليه رزقا في جملة الفقراء . فلما كلمه انتهره الوزير انتهارا شديدا ، وأجابه جوابا غليظا ، وكان ذلك في مجلس حافل ، فبلغ ذلك الأخفش فاغتم ، وانتهت به الحال إلى أن عاش على السلجم النيء ، ويقال إنه قبض على قلبه من اليأس فمات فجأة .

* * *

وفي سبيل المال كان البحتري يحتال ويتدنى وينقل شعره من مقام إلى مقام ، ومن ممدوح إلى ممدوح بعد تغيير تقتضيه الحال ، قال يتحدث عن نفسه : « دخلت على المتوكل يوما وفي يديه درتان لم أر أنقى منهما بياضا ولا أكبر حجما . فأدمت النظر إليهما ، ولم أصرف طرفي عنهما . ورآني المتوكل على هذه الحال فرمى إلي بالتي كانت في يمناه . فقبلت الأرض وجعلت أفكر فيما يضعكه طمعا في الأخرى فعن لي أن قلت :

بسر مرنا لنا إمام
تغرف من كفه البحار
خليفة يرتجى ويخشى
كأنه جنة ونار
الملك فيه وفي بنيه
ما اختلف الليل والنهار
يداه في الجود ضرتان
هذي على هذه تغار
وليس تأتي اليمين شيئا
إلا أتت مثله اليسار

فرمى بالدرة التي كانت في يساره وقال خذها يا عيار ! ، والعيار : المحتال . وقال أيضا يتحدث عن نفسه : كنا في مجلس المتوكل ومعنا الفتح بن خاقان ، فاعترت المتوكل للفتح هزة من السرور والرضا فقام يقبله ، ووثب الفتح فقام فقبل رجليه . والتفت الخليفة إلي وقال : قل في الفتح وفيّ شعرا ، فأني أحب أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب عيشي ، ولا يفقدني فيذل بعدي ، فقل في هذا المعنى ، فقلت قصيدة منها :

لا أرتئي الأيام فقدك يا فتح
ولا عرفتك ما عشت فقدي
أعظم الرزء أن تقدم قبلي
ومن الرزء أن تؤخر بعدي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حسدا أن تكون إلفا لغيرى
إذ تفردت بالهوى قبل وحدى

فقال المتوكل : أحسنت والله يا أبا عبادة وجئت بما فى نفسى ، وأمر لى بألف دينار ، وكنت قد عملت هذه الأبيات فى غلام كنت أكلف به ، فلما أمرنى المتوكل بما أمرنى تنحيت فقلت الأبيات وأريته أنى عملتها فى وقتى ، وما غيرت فيها إلا لفظة واحدة ، فإننى كنت قلت :

ما أرتنى الأيام فقدك ما عشت فجعلته يا فتح . وقد قتلا معا وكنت حاضرا فربحت هذه الضربة (وأومأ إلى ضربة فى ظهره) .

وقد قال الصولى إنه نقل نحوا من عشرين قصيدة من مدائحه ممن قيلت فيهم إلى غيرهم بعد أن غير أسماءهم مع سعة ذرعه فى قول الشعر ! ، وجدوى هذا أن تجاز القصيدة مرتين من غير جهد ولا كلفة .

ويدخل فى هذا الباب أمره مع غلامه نسيم . فقد قال أحمد بن جعفر جحظة « كان نسيم ، غلام البحترى ، روميا ليس بحسن الوجه ، فجعله بابا من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه من بعض ذوى المروءة ممن ينفق عنده الأدب . فإذا صار فى ملكه مدحه وتشوق الغلام وشبب به وتحسر عليه بمثل قوله :

دعا عبرتى تجرى على الجور والقصد
أظن نسيما قارف الهم من بعدى
خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه
فيا عجبا للدهر ! فقد على فقد

فلا يسع من اشتراه إلا أن يهبه له ، ولم تزل تلك حاله حتى مات نسيم فكفى الناس أمره .

* * *

وفى سبيل المال تخلق البحترى بأخلاق التجار ، فسالم الناس ودعا إلى السلم ، وعايش الأضداد وبرىء من التحيز ، ولابس العقائد والمذاهب والطوائف والعشائر وخلا من التعصب . ولد فى خلافة المأمون ثم تنفس به العمر حتى جاوز الثمانين ، فاستغرقت حياته حياة عشرة من الخلفاء تداولوا العرش العباسى وهو بعيد من الفتن والخطوب من تغارس الخصوم وتنافس العناصر وتنازع الرؤساء . وهو مضطر إلى مصانعة هؤلاء وهؤلاء ليسلم منهم جميعا ، ويغنم منهم جميعا فمدح العلوى والعباسى والعربى والتركى والسنى والشيعى دون أن يجد غضاضة فى نفسه ولا مشقة على ضميره ، لأنه يمثل المادح ولا يكونه ، ويتخيل الممدوح ولا يعينه ، ويقول فى المدح ما يقول ولا يعتقده . ومن هنا لم يجد صعوبة ولا حرجا فى أن ينقل القصيدة من ممدوح إلى آخر ، ولعله لم يقل الصدق إلا فى المتوكل لحبه إياه وإخلاصه له وبلوغه الحظوة والثروة فى أيامه حتى قال فيها :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو ما ترى حسن الزمان وما بدا
وأفاد فى أيامه المتوكل
أشرقن حتى كاد يقتبس الدجى
ورطبن حتى كاد يجرى الجندل

ومن معانى مسايرته ومهاواته أنه لم يتبع سياسة معينة ، ولم يعتقد نحلة خاصة ، وإنما كان يستن سنة الدولة ويذهب مذهب الحاكم . حدث إبراهيم بن عبد الله الكرخى قال : قلت للبحترى ويحك ! أتقول فى قصيدتك التى رثيت بها أبا سعيد :

أأفاق صب من هوى فأفيقا :
... ...
يرمون خالقهم بأقبح فعلهم
ويحرفون كلامه المخلوقا

أصرت قدريا معتزليا ؟ فقال لى : كان هذا دينى فى أيام الواثق يعنى (أيام كانوا يقولون بخلق القرآن) ثم نزعت عنه فى أيام المتوكل (أى حين نزعوا عن هذا القول) .

فقلت له يا أبا عبادة : هذا دين سوء يدور مع الدول .

وقد اتهمته العامة بالثنوية فى أيام المعتمد لقوله :

ولم أر كالدنيا حليلة صاحب
تحب متى تحسن لعينيه تطلق
تراها عيانا وهى صفحة واحد
فتحسبها صنعى لطيف وأخرق

(والثنوية يقولون بالنهين إله الخير وإله شر كما تعلمون) فخاف على نفسه وقال لابنه أبى الغوث وكان مقيما معه : قم يا بنى نطوف هذه النائرة بخرجة نلم بها شعثنا ثم نعود ، وهى الخرجة التى زار فيها إيوان كسرى وقال فيه قصيدته المعروفة . والحق أن البحترى كان لنشأته القروية البدوية بعيداً عن مذاهب الحضريين فى الدين والفلسفة ، فلم يستمد شعره إلا من إلهام الخاطر ووحى الطبيعة .

* * *

وفى سبيل المال ركب البحترى الأسفار وهو فى طور الحداثة . يشهد على ذلك قوله :

وقائلة والدمع يصبغ خدها
رويدك يا ابن الست عشرة كم تسرى
فقلت أحق الناس بالعزم والسرى
طلاب المعالى صاحب الست والعشر

وقوله :

تقاذفنى بلاد عن بلاه
كأنى بينها خبر شرود

فطوف بالشام ، وجول فى العراق ، وأوغل فى الجزيرة ، وبين جنبيه الأمل الحافز ، وفى يديه كتب الوصايا التى زوده بها أستاذه أبو تمام إلى الممدحين من ذوى المروءات والرياسات فى تلك البلاد . ولكنه كان دائب الحنين إلى الشام يستوقد شوقه إليها وافد النسيم من الغرب ، فيقول لنفسه :

حبذا العيش فى دمشـ ـق إذا ليلها برد
حيث يستقبل الزما ـن ويستحسن البلد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو يقول للمعتز :

هل أطلعن على الشآم مبجلا
فى ظل دولتك الجديد المونق
شهران إن يسرت إذنى فيهما
كفلا بألفة شملى المتفرق
قد زاد فى شوق الغمام وهاجنى
زجل الرواعد تحت ليل مطبق

أو يقول لأبى الصقر :

تراك مخلفى فى غير أرضى
وإنها ضى إلى بلدى يسير
وأعتقت الزمان فر بعتقى
إلى بلدى ، وأنت به جدير

* * *

ذلك بعض ما يفتحه علينا حب المال من شخصية البحترى ، أما ما يفتحه حب الجمال منها وهو مفتاحها الآخر فكل ماينبثق عن روحه ونفسه وقلبه وذوقه من الأعمال والخلال ، ولكن هذا المفتاح المعنوى لا يمكن أن يفضى بنا البابُ الذى يفتحه إلى جانب مستقل من حياة الشاعر له مميزاته وخصائصه ، فإن العناصر المادية والمعنوية تتقارب وتتضارب وتتفاعل فيؤثر بعضها فى بعض ويتأثر بعضها ببعض ، فلا يكون هناك حس محض ولا معنى خالص . فالأناقة التى اشتهر بها البحترى فى تنضيد ألفاظه وتنسيق جمله ، وهى أثر من آثار حب الجمال ، تفارقه فى اختيار ندمائه وتأثيث بيته ، فقد كان كما رووا من أوسخ خلق الله ثوبا وأداة ، ووساخة الثوب وقذارة الأداة أثر من آثار حب المال ، وحب الجمال مقتض ، وحب المال مانع ، وهذا أقوى من ذلك وأولى .

على أن صفة القذارة فى الملبس والأثاث تعلل فى أيام الفقر والبداوة والتجوال ، ولكنها لا تكاد تصدق أيام النعمة السابغة والحياة المترفة أيام المتوكل والفتح ، إلا إذا كانا يحتملان منه ما كان الوزير المهلبى وزير معز الدولة بن بويه يحتمل من أبى الفرج الأصبهانى ، فقد كان المهلبى مترفا متنطسا يأنف من أن يأكل بالملعقة مرتين ، فكان له عن يمينه خادم يناوله فى كل لقمة ملعقة ، وعن يساره خادم يأخذها ، وكان صاحب الأغانى يجالسه ويؤاكله . وكان قذر الهيئة رث الثوب لا يغسله ولا يبدله ، فيحتمل الوزير ذلك منه لعلمه وحسن حديثه ، وحدث يوما أن المهلبى كان يأكل معه لونا من ألوان الحلوى صنع له ونسب إليه وهو المهلبية ، فسعل أبو الفرج سعلة شديدة خرجت معها نخامة غليظة فوقعت فى الصحفة . فلم يزد الوزير على أن أمر برفع الصحفة ووضع أخرى واستأنف الأكل .

* * *

ومن أثر حب البحترى للجمال حبه للطبيعة ، فقد فتن بها منذ الحداثة فى الغيم والصحو ، والجبال والأمواه ، والحقول والرياض ، كما فتن بروائع الصنعة فى القصور الفخمة والأبنية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العجيبة كإيوان كسرى وبركة المتوكل وقصر المعتز بالله ، وقصائده فى وصف هذه البنى أمثلة فريدة فى الشعر العالمى ، وهل تجدون أبدع وأرق من قوله فى وصف ليلة صافية ساجية تلألأت نجومها وتطلق دجاها :

كاد دجى الليل من طلاقته
يقمر والأفق ساقط قمره

ومن أثر حبه للجمال كلفه بالجوارى والغلمان ، فقد أحب وهو يافع علوة الحلبية وهى من قيان الشام ، وكان حبه إياها صبوة من صبوات المراهقة فانتهى بالجفاء منها وبالهجاء منه . ثم رحل إلى العراق فشارك شعراءه فى حياة اللهو والمتاع ، وتتبع الجمال فى مظهريه المؤنث والمذكر ، ووصف الحب فى حاليه الخيالى والواقع . ولكن حب البحترى كان حب الشهوان العابث لا حب الولهان المتيم . أحب المرأة بحسه لا بنفسه ، وتغزل فيها بلسانه لا بقلبه . فمذهبه فى الغزل كمذهبه فى المدح : يصور أحوال المحبوب ، كما يحلل أخلاق الممدوح ، من ذاكرته وخياله ، لا من وجدانه وواقعه ، والفضل فى إخفاء هذا الزيف عن القارئ إنما هو لبراعة ذهنه ، وعبقرية فنه ، وواقعية خياله ، وقدرته على تصوير النفس الإنسانية تصويرا مجردا يصدق جوهره على كل نفس . اسمعوا مثلا قوله يتغزل :

أصبا الأصائل إن برقة شهمد
تشكو اختلافك بالهبوب السرمد
لا تنعى عرصاتها إن الهوى
ماق على تلك الرسوم الهمد
دمن موائل كالنجوم فإن عفت
فبأى نجم فى الصبابة نهتدى

فهل تجدون فيما قرأتم أبدع من هذا التصوير وأرق من هذا الوصف وأصدق من هذا الشعور ؟ ولكن الذى يكشفه هو أن تسألوه : مالك ولبرقة شهمد وليس لك فيها خولة ؟!

إن زيف الغزل البحترى جاء من زيف حبه ، وبعيد أن يحب المرأة الحب الصادق من لا يحترم جنسها ولا يثق به ، أليس هو القائل فى النساء ؟

وعلى غيرهن أحزن يعقو
ب وقد جاءه بنوه عشاء
وشعيب من أجلهن رأى الوحدة
ضعفا فاستأجر الأنبياء
واستزل الشيطان آدم فى
الجنة لما أغرى به حواء
وتلفت إلى القبائل والنظر
أمهات يفسدن أم آباء
ولعمرى ما العجز عندى إلا
أن تبيت الرجال تبكى النساء

* * *

ومن أثر حبه للجمال النفسى حبه للصداقة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والصديق . فقد كان لطبيعته المسالمة ونفسيته الشاعرة وحاجته إلى المعونة يطلب الصديق ويحرص عليه ويتعهده . وكثرة أشعاره في العتاب والإعتاب تدل على استبقاء الأصدقاء ومعاودتهم ، وقصائده في رثاء من ذهب منهم تنبئ عن الحزن عليهم والوفاء لهم . ولقد صادق أبا تمام ودعبلا والفتح بن خاقان وأبا العيناء والمبرد ومحمد ابن بسام وإبراهيم الصولي والفضل اليزيدي وغيرهم من نوابغ العصر فما ذموا عهده ولا أنكروا وده ، على الرغم مما يكون بين الأنداد من التنافس والتحاسد . ولكنه يقول أحيانا لمثل المبرد : أحبك ولكن الفن أحب إلي منك !

حدث البحتري نفسه قال : خرجت من منزل أبي الصقر (أحد وزراء المعتمد) نصف النهار في تموز ، فقلت ليس بقربي منزل أقرب من منزل المبرد ، وكان منزلي بعيداً بباب الشام ، فجئته . فأدخلني إلى حويشة له ، وجاء بمائدة فأكلت معه لونين طيبين وسقاني ماء باردا ، وقال لي : أحدثك إلى أن تنام ، فجعل يحدثني أحسن حديث ، فحضرني لشؤمي وقلة شكري بيتان . فسألته أن أنشدهما ، فقال ذلك إليك ، وهو يظن أني مدحته بهما ، فقلت :

ويوم كحر الشوق في صدر عاشق
على أنه منه أحر وأومد
ظللت به عند المبرد قائلا
فما زلت في ألفاظه أتبرد

فقال لي : قد كان يسعك إذا لم تحمد ألا تذم ومالك عندي جزاء إلا أن أخرجك . والنكتة التي اصطادها من الحر ومن معنى المبرد هي التي ورطته هذه الورطة .

كذلك كان من أثر حبه للجمال النفسي حبه للعباقرة من كل جنس ، يشهد بذلك قوله في سينيته التي وصف بها إيوان كسرى .

وأراني من بعد أكلف بالأشراف
طرا من كل أس وجنس

وكذلك اعترافه بالجميل لأهله ، وذلك واضح في قوله من هذه القصيدة نفسها :

عمرت للسرور دهراً فصارت
للتعزي رباعهم والتأسي
فلها أن أعينها بدموع
موقفات على الصبابة حبس
ذاك عندي وليست الدار داري
باقتراب منها ولا الجنس جنسي
غير نعمى لأهلها عند أهلي
غرسوا من زكائها خير غرس
أيدوا ملكنا وشدوا قواه
بكماة تحت السنور حمس

وأمره مع أبي تمام شاهد آخر على أصالة هذا الخلق فيه . فقد رووا أن بعض الناس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سمع شعره فقال له : أنت والله أشعر من أبي تمام ، فقال والله ما ينفعني هذا القول ولا يضر أبا تمام . والله ما أكلت الخبز إلا به . ولوددت الآن أن الأمر كما قلت ، ولكني والله تابع له آخذ منه لائذ به . فسيفي يركد عند هوائه ، وأرضي تنخفض عند سمائه ، والاعتراف بالجميل والحق دليل الاعتداد بالنفس والثقة بالقدرة .

* * *

أما ما نسب إليه مما ينافي حب الجمال ويجافي سلامة الذوق ففيه نظر وله تأويل . قالوا إنه كان بغيض الإنشاد ، يتشادق ويتزاور في مشيته جانبا أو القهقرى ، ويهز رأسه مرة ومنكبيه أخرى ، ويشير بكفه ، ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ، ثم يقبل على المستمعين قائلا : مالكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله مالا يحسن أحد أن يقول مثله .

وهذه الحادثة إن صحت لم تقع إلا مرة واحدة كانت في مجلس المتوكل ، ولم يروها إلا رجل واحد كان أبا العنبس الصيمري ، وهو رجل ماجن مزاح كان ينادم رضاع الكأس فيخترع لهم الأضاحيك ويروي الأفاكيه . قال يروي هذا الخبر لجحظة :

« كنت عند المتوكل والبحتري ينشده :

عن أي ثغر تبتسم
وبأي طرف تحتكم

فكان يتشادق ويتزاور إلى آخر ما وصف . فضجر المتوكل من ذلك وقال لي :

بحياتي اتجه على هذا الروي الذي أنشدنيه .

فقلت :

أدخلت رأسك في الحرم
وعلمت أنك تنهزم

إلى آخر ما أنشد من ركة وقحة ، فالحادثة إذا قبلنا في إثباتها خبر الواحد وهو مجروح بمجونه ، مهزلة في مجلس شراب زالت فيه الكلفة وذابت التفرقة وانطلق المكبوت من الوعي الباطن . فما كان من البحتري كان سورة كأس ونشوة طرب ، وما كان من الصيمري كان فرصة تهريج ونهزة دعابة ، وما كان من المتوكل كان عبثا بالشاعر ولهوا بالنديم ، على أن المرة الواحدة وإن وقعت في الصحو لا تكسب خلقا ولا تنشئ عادة ولا تثبت نقيصة .

* * *

هذه أيها السادة صورة تقريبية لشخصية الشاعر الأكبر رسمتها في إطار الزمن المقدر لعرضها عليكم ، فإذا أضفت إليها بعض الصفات الخلقية التي تجمعت كل صفة منها من طريق ، كقول أبي الفرج إن لحيته كانت سمراء طويلة ، وقول ابن الرومي إن وجهه

البقية على الصفحة التالية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفاعل في اللغة العربية

بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتبنا في العدد الماضي عن المقارنة بين لغتنا واللغات الهندية الجرمانية في موضوع الجملة الإسمية والجملة الفعلية، وأشرنا إلى رأي بعض المستشرقين الذين يعللون غلبة الفعل على الإسم في ابتداء الجمل بالقدرية الشرقية وانطباع الشرقيين على إبطال كل فعل غير فعل القدر، مع إنكار « الشخصية الإنسانية ». وقلنا في مناقشة ذلك أن لغة الضاد تستخدم كلا من الجملتين الإسمية والفعلية في موضعها، فهي أوفى من غيرها في هذا الباب، وأن الفاعل لا يكون في كل جملة إنسانا أو كائنا حيا، فلا محل هنا للقول بإنكار « الشخصية الإنسانية ».

ونعرض في هذا المقال لمقارنة أخرى بين

« بقية المنشور في الصفحة السابقة »

كان مسنونا ذنوبا، وقول أبي العلاء إن قدميه كانتا كقدمي ديك، وقول الصولي إن جسمه كان قصدا بين الطول والقصر وبين السمن والهزال، وإن بدنه كان معافى طول عمره لاعتداله، فلم يشك علة في جسمه، ولا عقدة في نفسه، استطعنا أن نتبين من خلالها على اختلاطها وإجمالها، معارف هذا الفنان العظيم الذي حمل قيثارة الشعر بعد أبي تمام فزاد في أوتارها وتر الوصف الدقيق المصور، وفي ألحانها لحن الغزل الرقيق المعبر، فكان خليقا بقول صاحب المثل السائر فيه: « أما البحتري فأراد أن يشعر فغنى »، والفضل في فضله إنما كان لأمه الشام مثابة الأدب الخالص والعروبة النقية والإسلام الصحيح، فإنها بفضل ماحباها به الله من زكاوة التربة وأصالة الفطرة وفتون الطبيعة قدمت إلى هيكل الشعر في حبيب والوليد وأحمد (عزاه ولاته ومثاته) كما قال ابن الأثير، وأعادت إلى العرب الخلص سبق الشعر بمن غلبهم عليه من الشعراء المرالى بإنجابها العباقرة الخمسة: أبا تمام، وأبا عبادة، وأبا الطيب، وأبا فراس، وأبا العلاء. فالاحتفال بالبحتري احتفال بها، وتكريم البحتري تكريم لها، والله سبحانه وتعالى يخلد في رحمته وجنته روح الإبن، ويكلأ بعينه وعونه حياة الأم.

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفاعل في اللغة العربية

بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتبنا في العدد الماضي عن المقارنة بين لغتنا واللغات الهندية الجرمانية في موضوع الجملة الإسمية والجملة الفعلية، وأشرنا إلى رأي بعض المستشرقين الذين يعللون غلبة الفعل على الإسم في ابتداء الجمل بالقدرية الشرقية وانطباع الشرقيين على إبطال كل فعل غير فعل القدر، مع إنكار « الشخصية الإنسانية ». وقلنا في مناقشة ذلك أن لغة الضاد تستخدم كلا من الجملتين الإسمية والفعلية في موضعها، فهي أوفى من غيرها في هذا الباب، وأن الفاعل لا يكون في كل جملة إنسانا أو كائنا حيا، فلا محل هنا للقول بإنكار « الشخصية الإنسانية ».

ونعرض في هذا المقال لمقارنة أخرى بين

« بقية المنشور في الصفحة السابقة »

كان مسنونا ذنوبا، وقول أبي العلاء إن قدميه كانتا كقدمي ديك، وقول الصولي إن جسمه كان قصدا بين الطول والقصر وبين السمن والهزال، وإن بدنه كان معافى طول عمره لاعتداله، فلم يشك علة في جسمه، ولا عقدة في نفسه، استطعنا أن نتبين من خلالها على اختلاطها وإجمالها، معارف هذا الفنان العظيم الذي حمل قيثارة الشعر بعد أبي تمام فزاد في أوتارها وتر الوصف الدقيق المصور، وفي ألحانها لحن الغزل الرقيق المعبر، فكان خليقا بقول صاحب المثل السائر فيه: « أما البحتري فأراد أن يشعر فغنى »، والفضل في فضله إنما كان لأمه الشام مثابة الأدب الخالص والعروبة النقية والإسلام الصحيح، فإنها بفضل ماحباها به الله من زكاوة التربة وأصالة الفطرة وفتون الطبيعة قدمت إلى هيكل الشعر في حبيب والوليد وأحمد (عزاه ولاته ومثاته) كما قال ابن الأثير، وأعادت إلى العرب الخلص سبق الشعر بمن غلبهم عليه من الشعراء المرالى بإنجابها العباقرة الخمسة: أبا تمام، وأبا عبادة، وأبا الطيب، وأبا فراس، وأبا العلاء. فالاحتفال بالبحتري احتفال بها، وتكريم البحتري تكريم لها، والله سبحانه وتعالى يخلد في رحمته وجنته روح الإبن، ويكلأ بعينه وعونه حياة الأم.

أحمد حسن الزيات

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النقد من هذه الناحية إن لم نقل إنها أعلى من منال الناقدين من نواحي شتى ، فلا يقال فيها إن تعبيراتها مقصورة على الجملة الفعلية لأنها تبطل « الثبوت » للفاعل ذهابا مع « القدرية » أو ذهابا مع سواها .

* * *

ونحن بصدد الكلام على المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول لا يفوتنا أن نعرض للأفعال التي ترد على الدوام مبنية للمجهول وتدل في الأغلب الأعم على الإصابة بالعلل والطوارئ التي لا عمل فيها لإرادة المصاب ، أو التي يكون المصاب فيها أبداً بمقام نائب الفاعل ولا يكون فاعلا مريدا لفعله .

من هذا القبيل كلمات « زكم ، وصرع ، وهزل وفلج » وما جرى مجراها .

ومن اللغويين من يقول إن هذه الأفعال بنيت على المجهول اجتنابا لنسبة المرض إلى فاعله في هذا المقام ، وهو الله .

ولكنه سبب غير صحيح ، لأن العربي قبل الإسلام يقول في الدعاء « قاتله الله ، وأهلكه الله ، وأبعده الله » ، ولا يتجنب نسبة الفعل إلى الله ، مع أن القتل والهلاك والإبعاد أشد ولا شك من الزكام ، وأولى بالتحرز من ذكر الفاعل - إن كان هو السبب - أن يقع التحرز فيما هو أشد من تلك العلل جميعا ، وهو الموت .

ولقد نزل القرآن الكريم وفيه آيات النكال والنقمة مقصودة بنسبة هذه الأفعال إلى الله جل وعلا ، لأن نسبتها إليه هي محل العبرة والتذكير .

فليس بناء تلك الأفعال على المجهول تجنبا لذكر الفاعل من عهد الجاهلية ، ولكنها ترد بهذا البناء على قدر عمل المصاب بها ، وليس عمل المصاب بها إلا كعمل نائب الفاعل أو عمل المفعول الواقع عليه فعل الإصابة .

وإننا لنزداد علما بالدقة في تكوين هذه اللغة إذا لحظنا أن كلمة « مات » تأتي على غير البناء للمجهول لأنها فعل لازم لا مفعول له غير المصاب به ، ولأن الإصابة بالموت سواء في كل من مات ولا اختلاف فيه بين المرات والدرجات .

ولمثل هذا السبب ترد الصفة المشبهة من اللازم في غير الشلائي ، كالمطمئن والمستقيم وما في معناهما ، لأن اللازم أقرب من المتعدي إلى صفة اللزوم ، وأبعد منه عن الحدث المتكرر .

وهذه إحدى المقارنات التي تثبت للغة العربية فضلا لا يثبت لغيرها من لغات الحضارة ، فلعله شفيع لها عند أبنائها الذين يحتاجون منها إلى شفاعة ، جهلا منهم بذنوبهم وجهلا منهم بفضائلها وحسناتها .

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التفكير الفلسفي في الشعر العربي

للأستاذ الدكتور محمد البهي

إن الشعر لون من ألوان التعبير عن الحياة وعن تفاعل الإنسان مع أحداثها وعما يجرى فيها من تعبيرات ، من شأنها أن تحرك مشاعر الإنسان أو تلفت نظره إليها ولكنه يتميز عن أى لون آخر من ألوان التعبير - وبالأخص عما يسمى بالنثر - بمجال الخيال فى التصوير وبموسيقى الوزن فى الصياغة . وهو لذلك إن كان يعبر عن واقع فى الحياة فهو ينقل هذا الواقع - بفعل الخيال والسحر - من مجال الحقيقة إلى نطاق الذوق والإحساس الفنى ، وهو يجمع لهذا السبب بين الإمتاع من جانب وتقرير الواقع من جانب آخر .

وربما لهذا الازدواج يتميز الشعر عن الفلسفة التى هى تعبير دقيق عن الواقع ؛ وتعبير خال من فضفاضية الخيال وسحره ، ومن موسيقى الوزن ونغمته . وهنا إذا أخذ الشعر بمنطق التفكير الفلسفى وباتجاهه فى التعبير اقترب من الفلسفة أو أصبح فلسفة ، ولكن عندئذ روعى فى التعبير فيه مذهب الشعر فى الوزن ، دون أن يكون لخياله أو لنغم وزنه أية صلة به .

والتفكير الفلسفى هو العمل العقلى صاحب المنهج فى خطواته ، الشارح لحقائق الوجود العام والوجود الإنسانى بمفهومه الخاص .

فهو كما يحاول أن يشرح علة الوجود يحاول أن يشرح طبيعة الإنسان فى تكوينه ، وتفكيره ، وسلوكه ، وفى غايته فى الحياة . وإذن ليس التفكير الفلسفى قاصراً على بحث ما وراء الطبيعة ، أو على بحث المقاييس الخلقية ، وأسلوب التفكير لدى الإنسان . بل كما يتناول هذه المجالات يتناول أيضا الطبيعة والطبائع الحية فى أجناسها العديدة .

وإذا أخذنا الشعر بالمفهوم الذى ذكرناه أولا ، وأخذنا التفكير الفلسفى بهذا التحديد الأخير - فإنا لا نستطيع أن نؤرخ للتفكير الفلسفى فى الشعر العربى إلا منذ أن كان هناك تفكير فلسفى بالمعنى المصطلح عليه فى تاريخ الثقافة العربية ، إلا منذ وقت دخول الفكر الإغريقى الجماعة الإسلامية واتصاله بالاتجاه الإسلامى الخالص وامتزاجه بمبادئ الإسلام .

أما الإسلام نفسه فلا نستطيع أن نسميه تفكيراً فلسفياً ، حين نتحدث عن التفكير

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفلسفى فى الشعر العربى ، منذ أن قامت الدعوة الإسلامية ، وتأثر العرب بوصايا الإسلام وتعاليمه . لا نستطيع أن نسمى الإسلام تفكيراً فلسفيا لأنه ليس صنعة لإنسان ، وإنما هو دعوة الخالق لهداية البشر كافة إلى الصراط المستقيم فى السلوك فى الحياة : فى تصرف الفرد مع نفسه وفى معاملته مع غيره . والخالق فوق الإنسان ووحيه فوق صنعة الإنسان كذلك .

وإذا أردنا أن نعبر عن تأثر الشعر العربى بالدعوة الإسلامية وبمبادئ الإسلام فذلك موضوع آخر يختلف كل الاختلاف عن الموضوع الذى نتناوله الآن ، وهو : التفكير الفلسفى فى الشعر العربى . ويجب أن يكون عندئذ عنوان الموضوع : « الإسلام والشعر العربى » .

والوقت الذى اتصل فيه الفكر الإغريقى بالأدب العربى وأصبح هذا الأدب فى نثره وشعره معبرا عن مشاكل هذا التفكير ، وعن حلول هذه المشاكل ، وعن الآراء المختلفة لهذه الحلول ـ متأخر عن دخول الفكر الإغريقى نفسه إلى الجماعة الإسلامية . إذ أن عملية الترجمة والنقل إلى اللغة العربية لهذا الفكر من لغته الأولى ، وهى الإغريقية ، أو من لغته الثانية وهى السريانية استغرقت وقتا طويلا . وبالأخص بعد ما احتاج الأمر إلى إعادة النقل من جديد إلى اللغة العربية على عهد الرشيد . هذا بالإضافة إلى ما يتطلبه من زمن آخر الاطلاع على قضايا هذا الفكر ، وفهمه ، ومراجعته ، والتعليق عليه بتبنيه أو برفضه .

على أننا لا ننسى أن تأثر الشعراء العرب بالتفكير الفلسفى الدخيل ، وتعبيرهم عما تأثروا به منه فى قصائدهم المختلفة ، لم يكن ليبدأ قبل أن تنتهى الخصومة الفكرية بين علماء العرب والمسلمين حول هذا الفكر الدخيل فى مجال الاتجاهات العقيدية ، وقبل إنتاج المفكرين العرب والمسلمين الإنتاج الأصيل فى مجالات علمية أخرى كمجال الرياضة والطبيعة ، وإن تأثروا فيما أنتجوا فيها بهذا الفكر .

لم يكن ليبدأ تأثر الشعراء العرب بالتفكير الفلسفى الدخيل قبل تلك الخصومة الفكرية فى مجال العقيدة وقبل الإنتاج الأصيل فى هذه المجالات العلمية ؛ لأن الطابع الذى سيطر على التوجيه والتفكير العربى والإسلامى بعد دخول المنطق الأرسطى ، ودخول بقية جوانب التفكير الإغريقى الأخرى ـ حمل المفكرين والموجهين العرب والمسلمين عامة على أن لا يتخذوا من الأدب المجال الذهنى ويجعلوه صاحب الحظوة الأولى ، وأنه كل شىء فى حياتهم كما كان الحال قبل الدعوة الإسلامية ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأبقى للمجالات التوجيهية والفكرية الأخرى غير الأدبية الأسبقية بين العلماء والموجهين للعرب والمسلمين . وذلك أمر ضرورى ؛ لأن الدعوة الإسلامية ، منذ أن قامت شغلت قلوب العرب والمسلمين ، وشغلت تفكيرهم سواء فى نشر مبادئ الإسلام أو فى رد الهجوم عليها زمنا طويلا . ونشر العقيدة الإسلامية أو الدفاع عنها أصبح من أجل ذلك هدفا أوليا ، وأصبح ذا تقدير أول يسبق أى موضوع آخر ، وإن كان لهذا الموضوع الآخر شأن أى شأن سابق فى حياة العرب كالأدب مثلا ، وبالأخص الشعر منه

ولم يكن من السهل على العرب والمسلمين بعد الدعوة الإسلامية ، وبعد أن قام مجتمعهم على أساس منها ، أن يعود تركيز التفكير الإسلامى ، وتوجيه الجماعة الإسلامية إلى ما كان عليه الوضع أيام الجاهلية وهو الأدب والشعر بوجه خاص ، عندما يزحف الفكر الإغريقى بوثنيته وبمنطقه الخادع المغرى ؛ لأنه إذا كانت حرارة الإيمان قد دفعت العرب وقت الدعوة الإسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تركيز أمر حياتهم فى شأنها - فإن الخطر الذى صاحب دخول الفكر الإغريقى وظهور الوثنية من جديد فى صورة فلسفية أيام العباسيين ، كان لابد أن يحمل هؤلاء العرب الذين تبنوا الدعوة الإسلامية من قبل ، والمسلمين من غير العرب الذين شاركوهم هذا التبنى ، على الدفاع عنه ، وعلى تركيز التوجيه والتقدير معا على الجانب الإسلامى عقيدة ومنهجا فى الحياة ، وعلى أن يظل الأدب العربى وبالأخص الشعر فى التقدير الثانى أو المحل الآخر . حتى إذا تبلورت المذاهب العقيدية . وتحددت المجالات العلمية الرياضية والطبيعية لعلماء العرب ومفكريهم - ابتدأ الأدباء يعرضون فى أدبهم هذا التفكير الفلسفى ويعرضونه فى أشعارهم بوجه خاص .

والقرن الثالث الهجرى يعتبر على وجه التقريب المسرح الزمنى لظهور التفكير الفلسفى فى مبادئه أو فى التأثر به فى الشعر العربى . ونجد فى شعر أبى تمام والمتنبى وابن الرومى وأبى العلاء المعرى نماذج واضحة للتعبير عن هذا التفكير .

وتعبير هؤلاء الشعراء عن هذا التفكير الفلسفى يختلف فيما بينهم فى مدى التأثر به ، ولهذا التعبير صور مختلفة :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(ا) فمرة يأخذ هذا التعبير صورة تمدح بالاطلاع عليه أو صورة رغبة فى الانصراف عنه . فيقول المتنبى مشيدا باطلاعه على الفلسفة الإغريقية وأوبابها :

مَنْ مُبْلِغ الأعرابِ أنى بعدها
جالستُ رَسْطَاليسَ والإسكندرا
وسمعتُ بطليموس راوِى كُتْبِه
مُتملكاً مُتبدياً مُتحضِّرا
ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما
ردَّ الإله نفوسَهم والأعصرا
نُسقوا كما نُسق الحسابُ مُقدَّما
وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

بينما يعبر البحترى مثلا - وهو ممن عاش بين أبى تمام والمتنبى - عن عدم حاجته على الأقل إلى الفكر الإغريقى فى أسلوب صياغته إذ يقول :

كلفتمونا حدودَ منطقكم
والشعرُ يُغْنى عن صدقه كذبُهْ
ولم يكن ذو الفروح يلهجُ بالمنـ
ـطقِ ما نوعُه وما سببُه

ونحن إذا وقفنا عند قول البحترى هذا نجده يصيب فى أن دائرة الشعر هى دائرة الوجدان وليست دائرة العقل والمنطق ، وعلى قيادة النفوس عن طريق إثارة هذا الوجدان وإلهابه - أشد وأقوى مما لو دخل الشاعر به مجال العقل والمنطق المجرد . وفى اعتقادنا أن البحترى لا يقصد بقوله : « والشعر يغنى عن صدقه كذبه » إطلاقا أن فى الكذب غناء . وإنما يقصد أن الهدف من الشعر يتحقق وإن كان التعبير فيه أوسع مدى من مدلوله ، وأفسح رحابة من دائرة الواقع التى يريد أن يترجمها . وهذا الهدف هو إثارة الوجدان ، وقيادة الجماعات والرأى العام عن طريقه .

(ب) وقد يكون هذا التعبير تمجيدا للعقل واستهانة بما عداه . فنرى المتنبى يقول :

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغمٍ
أدنى إلى شرفٍ من الإنسان

ونرى أبا العلاء المعرى فى إشادته بالعقل يقصر المعرفة على دائرته وعلى حصيلة إنتاجه فيقول :

سأتبع مَنْ يدعو إلى العقل جاهدا
وأرحلُ عنها ما أمامى سوى عقلى

ويقول فى قصيدة أخرى :

كذب الظنُّ لا إمامَ سوى العقـ
ـلِ مشيراً فى صبحه والمساء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإذا ما أطعته جلبَ الر
حمةَ عند المسير والإرساء

(ج) وقد يكون تضمينا لفكرة فلسفية كما يعبر أبو العلاء عن العناصر فيما يقول :

تُرَدُّ إلى الأصولِ وكلُّ حَيٍّ
له فى الأربعِ القُدُمِ انتساب

كما يقول :

آليتُ لا ينفكُ جسمىَ فى أذى
حتى يردَّه إلى قديمِ العنصر

وكما يقول المتنبي :

تبخل أيدينا بأرواحنا
على زمان هُنَّ من كسبه

فهذه الأرواحُ من جوهر
وهذه الأجساد من تُربه

وكما يعبر أبو العلاء نفسه فى صلة الجسم بالنفس عن تبعية الجسم لها فى مظاهره وإعراضه فى قوله :

فإناؤكِ الجسمُ الذى هو صورة
لك فى الحياة فحاذرى أن تُخدعى

لا فضلَ للقدحِ الذى استودعته
خمرًا ولكن فضله للمودع

وفى قوله أيضا :

يا روحُ كمْ تحملين الجسمَ لاهيةً
أبليته فاطرحيه طالما لبثا

وعلى نحو ما يقول أبو تمام :

شاب رأسى وما رأيت مشيبَ الـ
ـرأسِ إلا من فضل شيب الفؤاد

وكذاك القلوب فى كلِّ بؤس
ونعيمٍ طلائعُ الأجساد

وعلى نحو ما يعبر أبو العلاء عن فكرة الجبر وعدم الاختيار :

ما باختيارى ميلادى ولا هَرَمى
ولا حياتى فهل لى بعدُ تخيير

ولا إقامةَ إلا عن يدى قدر
ولا مسيرَ إذا لم يُقضَ تيسير

وفيما نراه فى تحديد الفضيلة لأبى تمام فى قوله :

إذا المرءُ لم يزهدْ وقد صِيغَت له
بزخرفها الدنيا فليسَ بزاهد

وكما فى قول المتنبي :

كل حلم أتى بغير اقتدار
حجةٌ لاجئٌ إليها اللئام

وكما يشير أبو العلاء إلى فكرة التناسخ التى جاءت إلى المسلمين عن طريق الفكر الإغريقى والفكر الدينى الهندى معا . وإن لم يظهر إيمانه بها على الإطلاق :

يقولون : إنَّ الجسمَ ينقل روحه
إلى غيره حتى يُهذِّبه النقلُ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة
إذا لم يؤيّد ما أتوكَ به العقلُ

(د) وقد يكون هذا التعبير عن التفكير الفلسفي في الشعر العربي تأثرا بمنهجه واستوابة في كل معرفة سابقة، وأبو العلاء المعري يعتبر مقدم الشعراء المتفلسفين في هذا الجانب ويذكر أولا أن الشك أمر طبيعي للنفوس فيما يقول:

ويعتري النفسَ إنكارٌ ومعرفةٌ
وكل معنىً له نفيٌ وإيجابُ

ثم يأخذ في الشك في المعارف السابقة فيقول:

وما آدمٌ في مذهب العقل واحدٌ
ولكنه عند القياسِ أوادم

كما يقول أيضا:

دينٌ وكفرٌ وأنباءٌ
تقصُّ وتوراةٌ وإنجيلُ
في كل جيل أباطيل ملفقةٌ
فهل تفرَّدَ يوماً بالهدى جيل

وكما يقول:

هفت الحنيفةُ والنصارى ما اهتدت
ويهودُ حارت والمجوسُ مضللهْ

اثنان أهل الأرض: ذو عقل بلا
دينٍ وآخر دَيِّن لا عقلَ له

على أنا قد نجد لأبي العلاء في شعره تعبيرا يثبت به وجود الله، سواء أكان ذلك من باب التقية أو من باب تردد النفس بين الإثبات والنفي، فيقول:

أثبتُ لي خالقاً حكيماً
ولست من معشرٍ نُفاة

ويقول:

انفردُ الإلهُ بسلطانه
فما له في كل حال كفاء
ما خفيت قدرُته عنكم
وهل لها عن ذي رشادٍ خفاء

ويقول أيضا:

أما ترى الشهب في أفلاكها انتقلت
بقدرة من مليك غير منتقلِ

(ه) وقد يكون التأثر بالفكر الفلسفي في الشعر سيرا به في منطق استدلاله وتركيب قضاياه على نحو ما يقول أبو تمام:

فقسا ليزدجروا ومن يكُ حازماً
فليقسُ أحياناً على مَنْ يرحمُ
وإخالكم كيْ تغمدوا أسيافكم
إن الدمَ المعتدَّ يحرسُهُ الدمُ

ويقول أيضا:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيلُ حربٌ للمكان العالي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويقول :

ليس الحجابُ بمقص عنك لى أملا
إن السماءَ تُرَجّى حين تحتجبُ

ويقول :

لا تنكروا ضربى له مَنْ دونه
مثلا شروداً فى الندى والباس
فالقدُ قد ضرب الأقلَ لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس

وعلى نحو ما نرى للمتنبى فى قوله :

من يهن يَسْهلِ الهوانُ عليه
ما لجرحٍ بميت إيلامُ

وفى قوله كذلك :

فإن الجرحَ يَنْفَرُ بعد حين
إذا كان البناءُ على فسادِ

وعلى نحو ما نرى لابن الرومى فى قوله :

إذا عَمَرَ المالَ البخيل وجدته
يزيد به يُبْساً وإن ظنّ يَرْطبُ
وليس عجيباً ذاك منه فإنه
إذا غمر الماء الحجارةَ تصلُبُ

وفى قوله :

عدوُّكَ من صديقكَ مستفادُ
فلا تستكثرَنَّ من الصحاب
فإن الداءَ أكثرَ ما تراهُ
يكونُ من الطعامِ أو الشراب

والشعراء الثلاثة : أبو تمام والمتنبى وأبو العلاء أكثر الشعراء الفلسفيين تأثراً بقضايا الفكر الإغريقى وبمنهجه . أما البحترى فهو أقل الشعراء الحكميين نقلا عن الفكر الإغريقى أو سيرا فى منهجه ، وإن لم يخل شعره من العقل الذى هو أحد مظاهر التفكير الفلسفى : فعندما يقول :

والعقلُ من صيغة وتجربة
شكلان : مولوده ومكتسبه

ويقول كذلك :

وسألت من لا يستجيب وكنت فى ا
ستخباره كمجيب من لا يسأل

عند ما يقول هذا أو ذاك يعطى القارئ له صورة من الشعر فى صياغة الفلسفة ودقة المنطق.

أما ابن الرومى فتأثره بالتفكير الفلسفى كان أكثر بالنزعة التى سادت التصوف الشرقى ، وهو التصوف الهندى من الميل إلى العزلة والتنفير من الحياة القائمة . وصاحب مثل هذه النزعة يحاول من جانب آخر ، فى استمرار وفى تأكيد ، الاعتراف بالله والتدليل على وجوده . وهذه الظاهرة نجدها فى شعره عندما يقول :

وإخلاصنا التوحيدَ لله وحدَه
وتَنْزيهُنا عن دينه فى المقاوم
بمعرفة لا يَعْرِفُ الشكُّ بابَها
ولا طعنُ ذى طعن عليها بهاجم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإعمالُنا التفكيرَ في كلّ شُبْهَة
بها حجةٌ تُعْيِي دُهَاةَ التراجم

ثم بعد ذلك نجده يدعو إلى عدم التأثر بالحياة التي يعيشها الإنسان على الأرض في صور مختلفة .

مرة عن طريق استخدامه تجربته الخاصة في قوله :

حضضتَ على حَطْبي لنَارِي فلا تدعْ
لك الخيرُ - تحذيري شرورَ المحَاطب

ومن يلقَ ما لاقيتُ من كل مجتنى
من الشوكِ يزهدْ في الثمارِ الأطايب

إذا اقتنى الأسفارُ ما كرّه الغنى
إلى وأغرانى برفضِ المطَالب

ومن نكبة لاقيتُها بعدَ نكبة
رهبتُ اعتسافَ الأرض ذات المناكب

فصبري على الإقتارِ أيسرُ مَطْلَبا
على من التغريرِ بعدَ التجارب

ومرة بنصحه بالاكتفاء الذاتي في قوله :

إذا لم يكن عندي سوى ما يَكفُّني
فشُحي عليه مثلُ شحي على عرضي

لأني متى أتلفته احتجت حاجة
تُزيلُ مَصونَ العرضِ في طلب القرضِ

* * *

وعلى أية حال مهما كان للتفكير الفلسفي أثره الإيجابي في توسيع رقعة التفكير في الشعر أو في صقل التعبير فيه فإن له أثرا آخر يبعد الشعر عن مجاله الأصيل وهو الوجدان ، وبذلك يفقد شيئا قليلا أو كثيرا من خاصيته فالخيال عنصر رئيسي في إثارة الوجدان ، بينما المنطق هو الأساس الأول في التفكير الفلسفي .

مجالان مختلفان : مجال العقل ومجال المنطق وتعبيران متقابلان : تعبير الفكر الفلسفي وتعبير الشعر ، وأولى — لكي يبقى الفكر الفلسفي منطقه وتأثيره على العقل ، ولكي يبقى للشعر خياله وتأثيره على الوجدان — ألا يخضع الشعر للتفكير الفلسفي ومنهجه وطريقة تعميقه ، كما لا يخضع التفكير الفلسفي في أسلوبه وصياغته للعنصر الأساسي للشعر وهو الخيال .

وبذلك يبقى للإنسان في التأثير طريقان :

طريق العقل لمن يؤثرون متعة العقل .

وطريق الخيال لمن يتأثرون بالوجدان أكثر من تأثرهم بالعقل ومنطقه .

الدكتور محمد البهي
المدير العام للثقافة الإسلامية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأخلاق من أدب النبوة

الحياء

من كلام النبوة الأولى

للأستاذ محمد محمد المدني

روى البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ماشئت)

وهذا القول النبوي الكريم يمكن أن يفهم على معنيين .

أحدهما أنه إرشاد إلى علامة صادقة وبرهان مقنع يهدي المؤمن إلى ماهو خير فيقبل عليه وإلى ماهو شر فينصرف عنه .

فمعنى الكلام : أعرض على نفسك كل شيء قبل أن تفعله فإن أدركك حياء من فعله فهذا دليل على أنه فعل قبيح فانصرف عنه . وإذا اطمأن إليه قلبك ولم تستح منه نفسك فاعلم بأنه خير وصلاح فأقبل عليه .

وهذه خاصية من خواص المؤمن الذي يعلم أن له ربا يطلع عليه ولا يغيب عنه فهو رقيب عليه حسيب على جميع أعماله . إن هذا المؤمن كلما هم بفعل وجد نفسه من حيث يريد أو لا يريد معقبة على هذا العمل فيدركه حياء وانقباض إذا كان قبيحا ويدركه إقدام واطمئنان إن كان حسنا .

فهذا القول المأثور عن النبوة الأولى : يحيل المؤمن إلى هذه العلامة النفسية التي لا تفارقه ، وهي الحياء من الشيء أو عدم الحياء منه .

وفي القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » . فالفرقان الذي يجعله الله للمتقي هو ذلك الإحساس النفسي الخفي أو هذا الهتاف القلبي بأن شيئا ما ، حسن وشيئا ما ، قبيح .

فالمؤمن المتقي توجد عنده ملكة الفرق بين ما يرضي الله وما يغضبه وذلك هو الفرقان ولا مانع من أن يكون هو الحياء من الشيء أو عدم الحياء منه .

وقد وردت كلمة (الفرقان) في كتاب الله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عز وجل بمعان كلها تتصل بالفرق بين الحق والباطل) ومن ذلك أن القرآن الكريم يسمى (الفرقان) : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » ، ومن ذلك أن الله تعالى أطلق على يوم التقاء الجمعين ببدر (يوم الفرقان) وفى بعض ما فسر به قوله تعالى : « الم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » إن (الفرقان) فى هذه الآية ليس المراد به (القرآن) لأن القرآن قد ذكر فى صدر الكلام حيث قال : « نزل عليك الكتاب بالحق » فلا يحسن التفسير الذى يؤدى إلى أن فى الكلام تكرارا ولأن التعبير جاء فى شأن (الفرقان) بقوله (أنزل) دون قوله (نزل) كما جاء فى سورة الفرقان : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده » والغالب فى القرآن التعبير عن نزوله بقوله : (نزل) لإفادة معنى التنجيم وأنه لم ينزل دفعة واحدة ، وإذاً فالفرقان فى هذه الآية ليس هو القرآن وإنما أراد الله تعالى به (العقل) فإنه فرقان للإنسان يفرق به بين الخير والشر ، والحسن والقبيح ، وما ينبغى أن يقدم عليه أو يتركه .

والتعبير بالإنزال على هذا المعنى كالتعبير به فى قوله تعالى : « وأنزلنا الحديد » والقصد إفادة أن العقل منحة إلهية للإنسان بمقتضى الخلق والتكوين ، فهى فى أصلها وفى تفاوت الناس حظوظا منها ، هبة ونعمة ومنحة لا دخل فيها للإنسان .

وهذا المعنى يتلاقى من قريب بمعنى « الفرقان » الذى ذكرناه فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » فكلاهما يدل على أن الله يمنح بعض عباده ملكة أو قوة يفرق بها بين الخير والشر ، والحسن والقبيح ، ونحو ذلك . وقد ربطت هذه الآية « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » بين التقوى والفرقان بأسلوب الشرط والجزاء لتدل على أن من ثمرات التقوى حصول ملكة التمييز والتفرقة ، وهى ملكة كريمة عظيمة الآثار فى حياة الناس ، فإن الذى يمنح ملكة الفرقة والتمييز بين الأشياء مثله كمثل الذى يمنح نعمة البصر ، والذى يحرمها مثله كمثل الأعمى ، والإنسان كما هو محتاج إلى نور البصر ، محتاج إلى نور البصيرة .

وقد ورد فى القرآن أيضا « واتقوا الله ويعلمكم الله » والمراد الربط بين التقوى والعلم لا على معنى أن الله تعالى يهب المتقين من لدنه علما ربانيا فحسب كما يعتقد المتصوفة ، ولكن على معنى أنه يجعله بالتقوى مستكملا لأسباب العلم والعرفان ، فيبحث ويستطلع ويستكشف متعلقا بهذه الأسباب ، فيعلم ، فالأساس فى هذا كله هو النور الذى يجعله الله تعالى للمؤمن .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى القرآن الكريم عن يوسف وامرأة العزيز : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء » فالبرهان الذى رآه يوسف والذى لولاه لهم بها هو الحياء الذى يتحدث عنه القول النبوى المأثور ، وهو الفرقان الذى تتحدث عنه الآية السابقة . ومما يدل على ذلك أن امرأة العزيز فقدت هذا البرهان فراودته عن نفسه والمرأة لا تراود الرجل عن نفسه إلا إذا لم يبق عندها ذرة واحدة من الحياء ، لكن يوسف لما رأى برهان ربه استعصم وما كان ذلك البرهان إلا الحياء كما يفهم من موضع آخر من هذه القصة « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال: معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى» فهى تراود وتغلق الأبواب وتعرض نفسها باذلة عرضها على هذا النحو لأنها لم تر البرهان الذى هو الحياء وهو يتمثل ربه الذى أكرم مثواه فيدركه الحياء من أن يراه مسيئا وقد أحسن إليه وسواء أفسرنا الرب فى قوله : « إنه ربى أحسن مثواى » بأنه الإله الخالق جل جلاله أو بأنه سيد القصر الذى اشترى يوسف فأصبح سيده وربه أى مالكه فإن المعنى أن يوسف يستحى من هذا الرب أن يراه فى هذا الوضع الشائن ولذلك يستعصم ويفر من المرأة الحسناء التى راودته وتهيأت له وهيأت له جو الأمان فيسبقها إلى الباب .

فالحياء إذا برهان المؤمن وفرقان ونور مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ولذلك ورد أن رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم قال : (الحياء هو الدين كله) وقال : (من لا حياء فيه لا خير فيه) .

المعنى الثانى الذى يمكن أن يفهم عليه هذا القول النبوى هو معنى الإيعاد لا معنى الإرشاد يقول له :

إذا فقدت خلق الحياء فافعل ما بدا لك فقد أصبحت خارجا عن دائرة العتاب والحساب وهذا ينطوى على تهديد عظيم فإن قوله عليه الصلاة والسلام (فاصنع ما شئت) شبيه بقوله تعالى: اعملوا ما شئتم إنى بما تعملون بصير .

وسواء أكان معنى القول النبوى المأثور هو هذا أو ذاك فإن الأمر يدل مبلغ ما للحياء من أهمية وشأن خطير ، ولذلك اتصل خلق الحياء بحركات الجسم الطبيعية بتكوين إلهى فى الإنسان خاصة . فهو الذى يحمر وجهه خجلا إذا رأى أو أقبل على ما يشينه وقد يبلغ الحياء الخلقى لبعض الأفراد إلى أنهم لا يستطيعون السيطرة على أعضائهم ولا يمكنهم التحرك فى المجالس التى يستحيون منها فهى إذا طبيعة جبلية تساعد على تركيز هذه الفضيلة النفسية .

ومما يؤسف له أن بعض المجتمعات تعمل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على إماتة هذه العاطفة حسا ونفسا وذلك بتهوين أمر الرذيلة وتفخيم شأن الحرية والمدنية الكاذبة ولذلك نرى البيئات الفطرية يظل الحياء فيها غضا بينما نرى البيئات الصناعية قد استهانت بكل الموازين واجترأت على اقتحام جميع الحدود .

فاللهم ارزقنا الحياء واجعله برهانا لنا وفرقانا وعصمة وهدى وأمانا .

وقد يظن بعض الناس أن الحياء خلق سلبي بمعنى أن الإنسان يقف بالحياء موقف الذي لا يفعل ، ليس بخلق إيجابي وهذا ظن خاطىء فإن الحياء كما هو خلق مانع هو أيضا خلق دافع فإنك إذا كنت مكلفا بعمل راودتك نفسك أن تتكاسل عنه ثم تذكرت موقفك ممن كلفك فإن الحياء حينئذ يدركك فتندفع إلى العمل حتى لا تقف موقف المقصر .

ثم إن ميادين الحياء لا تنحصر ، فكل جانب من جوانب الحياة يصلح بهذا الخلق ويفسد بضياعه : إذا كنت عالما وأفتيت الناس ارتجالا دون بحث ودرس واطمئنان إلى ما أفتيت به فإن هذا مناف للحياء .

إذا كنت قاضيا وحكمت بالهوى أو قصرت في معرفة الحق فإن هذا وذاك منافيان للحياء .

إن صاحب الحياء يستحي من أخيه ومن ابنه ومن زوجته ومن المجتمع بل يستحي من نفسه وهو في هذا كله يذكر ربه الذي يراه وإن لم يكن يراه ولابد لنا من أن نفرق بين الحياء والضعف والانكماش فإن للحياء حدا إذا تجاوزه انقلب ضعفا وقصورا وهذا هو الشأن في جميع الفضائل فالشجاعة إذا خرجت عن حدودها ومواطنها أصبحت تهورا ، والصبر إذا خرج عن حدوده ومواطنه أصبح تبلدا فكذلك الحياء قد تزيد في بعض النفوس أخلاطه وتختل مقاديره فيصبح ضعفا وانكماشا ونقصا ولذلك نرى في المجتمعات بعض الأفراد يستحيون من الشيء لمجرد أنه لم يؤلف وإن كان صلاحا ورشادا وإلا فما هو المبرر لأن يستحي طالب الجامعة الفقير بأن يزاول عملا بعد الظهر يستعين به على إتمام دراسته مثلا ، وما هو المبرر لأن تستحي الفتاة من أن تغطي شعرها وهي في الجامعة وما هو المبرر لأن يركب الفقير الدرجة الأولى حياء من أن يراه زميل له وهكذا .

إن بين الفضيلة والرذيلة في العادة خيطا رفيعا واللبق الحصيف صاحب الوعي والفرقان والبرهان هو الذي يدرك الحد الذي يجب ألا يتجاوزه .

محمد محمد المدني
عميد كلية الشريعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العرب في أندونيسيا

للأستاذ عبد القادر عبد الله الجفري

في مدينة صولو بأندونيسيا التقى صاحب هذه الدراسة الأستاذ عبد القادر عبد الله الجفري بفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

وتوثيقا للتعارف بين المسلمين وتعاونهم في مختلف ديارهم طلب الإمام الأكبر من الكاتب إعداد دراسة عن « العرب في أندونيسيا » وحالتهم الاجتماعية ، وما ينقصهم ويعترض سبيلهم في أداء رسالة الإسلام وتعاليمه .

وسوف يجد القارئ متعة في التعرف على أحوال إخوانه في الشرق الأقصى . . وسوف يتحقق أننا جميعا أمة واحدة — حتى في المتاعب والآلام ! وسيجد الاستعمار يصطنع بذور الشقاق ثم ينميها بين عرب أندونيسيا ، ليبدو العرب المسلمون : علويين وإرشاديين يضرب بعضهم وجوه بعض ، بأسهم بينهم شديد ، وعدوهم يتناحرهم سعيد .

والكاتب عربي علوي . . وإن كان يدعو ويلح لوحدة الصف والتئام الشمل ، وهو يعرض نشاط المعاهد العربية في ربوع أندونيسيا رغم ما يرهق العرب من خلافات ومشكلات ويعرض تجارب تعليمية تستحق الدرس والتقدير وهو يرجو لهذا النشاط المزيد حين تظفر هذه الجهود المحدودة برعاية الحكومات العربية والإسلامية ، وفي مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة بأزهرها العتيد .

أشرق نور الإسلام في الشرق الأقصى في منتصف القرن السابع الهجري ، ومنتصف القرن الرابع عشر الميلادي تقريباً ، وأخذ ينتشر ويمتد في ربوع الأرخبيل الأندونيسي وشبه جزيرة الملايا وجزائر الفليبين بواسطة التجار والرواد الإسلاميين الذين كانوا يجوبون البحار . وكانت شبه جزيرة الملايا وسومطرة الغربية الشمالية وجزيرة صولو بالفليبين وجزيرة جاوة هي أول ما حظيت في الشرق بالسعادة الدينية الإسلامية ، فقد وفد إليها التجار الحضرميون من طريق خليج البنغالا وسيلان ومن طريق الهند الصينية في ذلك العهد . وهم أفراد من أسرة آل عبد الملك كما كشفت عن ذلك الوثائق وشواهد قبورهم . وعبد الملك هو ابن علي ابن علوي

من أحفاد المهاجر السيد الشريف أحمد بن عيسى ابن محمد بن علي العريضي الذي هاجر بأسرته من البصرة إلى حضرموت في سنة ٣١٧ هجرية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هاجر عبد الملك من حضرموت فى أواسط القرن السادس الهجرى [1] واستوطن عبد الملك فى السند فى أحمد أباد وأعقب هناك وانتشر أحفاده فى بلاد الهند .

تاريخ الإسلام فى جزائر الشرق الأقصى

لم يكن أولئك الدعاة الأولون للإسلام فى جزائر الشرق الأقصى رواداً للاستعمار ، ترعاهم حكومات وتسجل حركاتهم وتنقلاتهم ، ولم يكونوا بعثات تبشيرية تمولها منظمات وهيئات من وراثها الدول الاستعمارية فاتحة تخط لها خطوط سياستها وتدون تقاريرها . بل إنما كانوا رجالا مؤمنين فى صور تجار ترجح فى نفوسهم كفة الدين كفة الدنيا ، فلم تكن هناك لهم آثار كآثار الفاتحين ولا سجلات كسجلات المبشرين المأجورين . لهذا لم تكن هناك مصادر يستق منها المؤرخ لدخول الإسلام ما يشفى الغليل بل كان للاستعمار الهولندى فوق هذا وذاك جهود جبارة لطمس الآثار وجهود جبارة فى استئصال وتقصى الكتب التى لها علاقة بالإسلام حين دخوله واحتجازها بشتى الوسائل والأساليب ، لغرض هو فصل الحاضر عن الماضى ليتسنى له تشويه الحقائق التاريخية وبذر الخرافات وطمس الصلات التى ربطت بين الشعب الأندونيسى وأخيه الشعب العربى ، ودس الكذب على التاريخ وأبطاله .

بالرغم من ذلك كله فإنه لا تزال هنا وهناك قرائن ووثائق احتفظت بها بعض الأسر المالكة فى المقاطعات والجزائر ، وهنا وهناك آثار وشواهد فى المعابد والمقابر تضىء لنا السبيل إلى الحقائق وتدل دلالة قاطعة لا مجال لإنكارها ولا مندوحة لأولئك الذين كتبوا التاريخ الإسلامى من المتأخرين فأساءوا إلى ماضى الوطن السعيد وتاريخ الشعب المجيد ، وقدموا للأجيال الناشئة صوراً تاريخية مضطربة مذبذبة كلها تشكك وافتراضات والتواء .

ترى ماذا كان يدفع أولئك الذين تصدوا للكتابة للأجيال ؟ وماذا دعا العلماء المسلمين فى الوقت الحاضر وبعد زوال أعداء الإسلام المستعمرين من رجال الأحزاب الإسلامية ألا يكشفوا عن تلك الحقائق اللامعة ، ويردوا هذه المغالطات والافتراضات التى كتبت ودرست للناشئة الإسلامية الأندونيسية فى عهد حريتها ؟ أكان هذا منهم لعدم تتبعهم للقرائن والوثائق وربط بعضها ببعض حتى تتكون الصورة الصادقة ويظهر الحق ؟ أم

---

[1] يراجع كتاب « عقود الماس » للعلامة المؤرخ السيد علوى بن طاهر الحداد العلوى — طبع سنغافورة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن الحزبيات والأغراض السياسية أضاعت بينهم هذه اللبنات الأساسية لبناء الوطن الجديد، لأن لكل أفهاما وأغراضا أنستهم هذه الناحية من تاريخ الوطن وغطت هذا الجانب العزيز من حضارته ونهضته فاختفت بين هذه المتناقضات ؟ أم أن حرارة القومية والوطنية طغت على الناس فبغضت إليهم أن يدخل فى تاريخ أوطانهم وحضارتها رجال ينتمون إلى أمة أخرى ؟ .

إن التاريخ مرآة الشعوب الصافية ، لا يكدرها ولا يشوهها إلا ما يلقى عليها من ظلال العصبية ، ودخان الأغراض الشخصية والسياسية ، وأن هذه إساءة متعمدة إلى الإنسانية جمعاء فى مراحل تطورها وفى مجال اتجاهاتها إلى الرقى والكمال وفى أدوار تقاربها فى سبيل الإخاء والتعاون .

ولعل هؤلاء الكتاب إنما كانوا يستقون من المستنقعات التى حفرها الاستعمار . وكم ترك الاستعمار من ألغام وبث من سموم فى أجزاء البلاد وثراها !

إن العرب الحضرميين . والعلويين منهم بوجه خاص . هم السابقون الأولون الذين حملوا مشعل الإسلام إلى الشرق الأقصى وجزائر القمر ومدغشقر وإفريقيا الشرقية . ولكيلا نطيل بنقل النصوص فإنا نحيل الباحث أولا على كتاب : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر « للمؤرخ شمس الدين الأنصارى الدمشقى المعروف بشيخ الربوة المتوفى فى القرن الثامن الهجرى تقريبا - وقد طبع كتابه هذا سنة ١٢٨١ وإن كانت عليه ملاحظة فى أسباب هجرة العلويين إلى الشرق الأقصى ، وكتاب : عادات الموروديهم فى الفلبين للدكتور نجيب صليبى اللبنانى المطبوع فى جزءين عام ١٩٠٥ فى مانيلا . والدكتور نجيب صليبى مهاجر من أهالى حوران توفى عام ١٩٣٥ م والموروهم المسلمون كما يسميهم الأسبان ، ونحيل أيضا إلى كتاب : حاضر العالم الإسلامى وتعليقات الأمير شكيب أرسلان وتعقيباته عليه : مادة دخول الإسلام إلى جاوه فى الجزء الأول من ص ٢٧٦ إلى ص ٣٧٥ الطبعة الثانية القاهرة ، ومادة : بيانات عن الحضارمة فى الجزء الثالث من ص ١٢٠ إلى ص ١٨٣ الطبعة الثانية القاهرة أيضا . كما أن فى إدارة أوقاف مسجد (امفيل) بسربايا الذى أسسه الداعية الإسلامى الأول بجزيرة « جاوه » الشرقية آثارا ووثائق من عهد ذلك الفاتح الدينى . وقد نشرت تلك الإدارة منذ عامين نشرة تتضمن سلسلة نسبته إلى السيد الشريف المهاجر أحمد بن عيسى النقيب ، الذى جاء حضرموت واستوطن بها سنة ٣١٧ هـ .

وقد اكتشف المكتب الدائم لضبط أنساب العلويين فى الشرق الأقصى التابع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الرابطة العلوية ، وثائق انتساب السلاطين والأمراء في (فونتيانا) بجزيرة كالى مانتن الأندونيسية وفى فلمباغ بجزيرة سومطرة الشرقية وسلاطين جاوة الوسطى وجاوة الغربية وأمراء وعلماء في آجيه بسومطرة الغربية الشمالية .

على أنه توجد أسر كثيرة انصهر أبناؤها فى الشعب الأندونيسى فتسموا بأسمائه ، وحملوا ألقاب الشرف الأندونيسى منذ سبعة أجيال وخمسة ، لكنهم رغم ذلك لم يزالوا يحتفظون بوثائق سلاسل النسبة العلوية . وقد حداهم إلى حمل الأسماء والألقاب الأندونيسية التهرب من القانون الاستعمارى الذى لا يسمح بالتملك - وخصوصا للأراضى الزراعية - والتنقل فى أرجاء البلاد بحرية ، والتعلم فى المدارس الهولندية ، واحتلال الوظائف الإدارية البلدية ، إلا لأولئك الذين يتمتعون بالإضافة إلى أندونيسيتهم بشرف لقب (رادين) وهو لقب له دلالة على الاتصال بالأسر المالكة نسبا أو مصاهرة .

فالزعيم الإسلامى الكبير الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو مؤسس حزب (شركة إسلام) أول منظمة إسلامية أندنوسية ، وختنه الدكتور الشهير (سوتومو) أعلنت نسبتهم بعد وفاتهم فى زمن الاستعمار . ولا أزال أذكر يوم نشرت جريدة (ماتاهارى) بجاوة ثانى يوم وفاة الدكتور سوتومو عام ١٩٣٤ ميلادية - نسبة المنتمى إلى أسرة آل باعبود العلويين ، وهذا مجال يمتد ويدفع إلى الإطالة والإسهاب ، فلنكتف بهذا ، إذ أن القرائن والوثائق فى هذا الموضوع كثيرة ، ولا تزال شاخصة .

وقد جمع الأستاذ الشاعر المرحوم السيد أحمد بن عبد الله السقاف العلوى جزءين فى تاريخ الإسلام بأندونيسيا ، يصح أن يقال بحق إنه أصح تاريخ مدعم بالمصادر والبراهين : ولكنه لا يزال مسودة . . وقد أهدى من ورثة ذلك الأستاذ السيد العلامة المؤرخ علوى بن طاهر الحداد مفتى جهور بجزيرة ملايا . بدأ تاريخه رحمه الله بعهد ما قبيل الإسلام مباشرة وما كانت عليه الأمة الجاوية من دين وعادات إلى آخر عهد الاستعمار .

الدعاة الأولون وأسلوب نشر الإسلام بجاوة

كان الداعية الأول بجاوة الشرقية الشريف : رحمت ، وهو من أحفاد الشريف أحمد بن عبد الله بن عبد الملك بن محمد بن على صاحب مرباط — بظفار — العلوى — هاجر جده الأعلى عبد الملك المذكور إلى السند ، واستوطن أحد أباد فى منتصف القرن السادس الهجرى وأعقب هناك وانتشر عقبه فى الهند ، وكان لهم هناك مقام سام ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويعرفون بآل عظمة خان ، وانتشر رجال تلك الأسرة خصوصا بعد اختلال الأمن فى الهند وحروب آل طلغلق والمهراجات ، فقد كان منهم من ذهب بطريق الهند الصينية، ومنهم من ذهب إلى البنغال ، وعبر من خليج بنغالة إلى شبه جزيرة الملايا وسومطرة وهما إسحق ، وأبو بكر ، فالأول أقام برهة فى (سيقون) فى الهند الصينية ، والثانى ذهب إلى الملايا وتزوج بكريمة سلطان جوهور ، وتتابع الإخوة وأبناء العمومة إلى جزائر الشرق .

وقد وطئ الداعية الأول بجاوة الشريف رحمة الله مؤسس مسجد أمفيل بسرابايا جزيرة جاوة عن طريق الهند الصينية ، وتبعه بعده أخوه إسحق الآنف الذكر المقبور الآن فى بونغ بجاوة الشرقية ويعرف بلقب (سونن بونغ) ، ثم جاء بعدهما ابن إسحق « الشريف محمد عين اليقين » المقبور فى فيرى بجاوة الشرقية أيضا والمعروف أيضا بلقب (سونن فيرى) — وقد تزوج هذا بكريمة الملك البوذى فى ماجافاهيت بجاوة الشرقية ، تزوجها بعد أن أسلمت فى حكاية مشهورة يتناقلها الأحفاد عن الأجداد محفوفة بكثير من الخرافات والأساطير . والمشهور ان الشريف محمد عين اليقين هذا بجاب الدعوة وقد ظهرت على يديه خوارق مشهورة . وكل أولئك أعقبوا فى هذه البلاد ، ومن أشهر أبناء الداعية الأول الشريف رحمة الله ابنه المدعو الملك ابراهيم المقبور فى مدينة فرسى بجاوة الشرقية ، وتلا أولئك الدعاة الشريف هداية الله المقبور فى (فونغ جاتى) جبل الساج فى مدينة شربون بجاوة الغربية . وفى تلك الأثناء اشتهر (رادين فتاح) وهو ابن ملك ماجافاهيت من زوجة ثرية صينية أسلم ذلك الأمير على يد الشريف إسحق وسمى عبد الفتاح ، وهو الذى أسس مدينة دماك بجاوة الوسطى . وهو أيضا أحد العلماء الإسلاميين الملقبين بلقب والى سوغو ، يعنى الأولياء التسعة الذين بنوا مسجد دمـــك الشهير القائم إلى اليوم ، وعبد الفتاح هذا هو الذى حارب أباه البوذى بعد أن ظهرت منه المقاومة للدعوة الإسلامية والتدابير للقضاء على أبطالها ، وعلى يده انهارت مملكة ماجافاهيت الشهيرة .

أما طريقة أولئك الدعاة فى نشر الإسلام : فانهم جعلوا من منازلهم معاهد ومدارس لإيواء المريدين والطلاب من أبناء الشعب وشبابه ، والقيام بتكاليف معاش بعضهم ، وتعليمهم العقائد الدينية والواجبات العينية والمبادئ الإسلامية الطاهرة دون أن يتعرضوا لإنكار العادات التى لا تمس العقائد ثم بث المتخرجين فى النواحى والقرى لإقامة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المصليات والمعاهد لتعليم القرآن والأحكام على ذلك الأسلوب .

ولقد كان لهذه الطريقة السهلة أثر فعال حيث إن أكثر الأهالى لم يزالوا على الفطرة ، وقد سوا فى هذا الدين أشياء رفعت الروح الإنسانية فيهم من حضيض الحيوانية والاستعباد .

وقد وجد الدعاة الأولون التربة الخصبة الطاهرة ، فسرعان ما انتشر الدين الحنيف فى أرجاء أندونيسيا ، وكان لمرونة أولئك الدعاة وصبرهم نصيب وافر فى تحبيب هذا الدين الحنيف الذى أبقى على كثير من الأعياد والأفراح الموسمية وإحياء الليالى بالسهرات التمثيلية والرقص ، بل أدخلوا فى كل ذلك عنصراً جديداً على الأغانى والأناشيد من الآداب والحكم والفلسفة وجعلوا من الأبطال الخياليين فى التمثيليات أبطالا إسلاميين ، مما حول الصور الفنية إلى معانى إنسانية إسلامية وبهذا لقى انتشار الإسلام كل سهولة .

تتابع هجرة العلويين :

بفضل أولئك الدعاة الأولين وأبنائهم دخل الإسلام كل جزائر أندونيسيا والفيلبين وبالإسلام لمع اسم أندونيسيا ، وكانت تعرف فى ذلك الزمان بواق واق ، وأصبحت السفن التى يمتلكها التجار العلويون ، أو يستأجرونها تمخر عباب بحر الهند ما بين خليج بنغال وملايا وسرنديب ومدغشقر يقودها ربابنة منهم ، ولا تزال بقايا أسرهم الجديدة فى هذا المهجر معروفة إلى اليوم فى آجيه بسومطرة الغربية وفليمباغ بسومطرة الشرقية وفى شبه جزيرة ملايا من أسرة آل الزاهر وآل الجفرى . وتتابع ورود أفراد العائلات العلوية إلى هذه الجزائر خصوصا بعد اختلال الأمن بحضرموت وتنازع القبائل على النفوذ والسيطرة . واستمر الاتصال المباشر بصورة دورية بين جزائر الشرق وحضرموت أثناء القرن الحادى عشر الهجرى . وتكونت أسر جديدة منهم فى المهجر من كل تلك الأسر المعروفة من العلويين فى حضرموت . وتناسلوا وانبثوا فى أرجاء هذا الشرق الخصيب المسلم ، ولم يكن غير العلويين أحد من الحضارم يعانى الأسفار ويغامر فى البحار ، إذ أن أهالى حضرموت يومئذ كان أكثرهم بادية وزراع ، والطبقة المتنورة التى لا تقل عن طبقة العلويين علما وثقافة هم المشايخ الصوفية المعروفين من آل عمودى وآل بافضل وآل با قشير وآل با وزير . وكانت هذه الأسر قليلة الأفراد ، وكانت إلى ذلك تنعم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بسلطة روحية فى القطر الحضرمى ، ولهم مما تغله الأوقاف والأطيان المحبوسة ما يغنيهم عن النزوح عن الوطن الحضرمى .

الاستعمار الهولندى وأثره :

فى أواخر القرن العاشر الهجرى ومطلع القرن الحادى عشر منه بالذات عرفت أندونيسيا ذلك النوع الجشع من البشر الذى وفد باحثا عن خيرات الشرق وحاصلاته التى كان يشتريها فى بلاده أوروبا بوزنها ذهبا وفضة ، واستحكم الغريب الهولندى الذى منيت به أندونيسيا وثبتت أقدامه فيها بالخداع والمكر ثم بالقوة . وفى تلك الأجواء أخذت وسائل النقل والمواصلات فى الكثرة والتحسن ثم شقت قناة السويس ، وأضحت السفن والبواخر غادية رائحة من وإلى الشرق الخصيب الغنى ، وتطورت المنتجات وتنوعت المصنوعات . وشرع المهاجرون الحضرميون يغدقون على أسرهم وعائلاتهم بحضرموت من ثمرات جهودهم التجارية ، وظهر فى تلك الأسر الحضرمية تطور فى أسلوب المعيشة ، حينئذ تفتحت عيون الحضارم من سكان الأرياف والبوادى والزراع والعمال وبدأ سيل الهجرة يتدفق على هذه الجزائر الغنية ذات المعيشة السهلة ، والأهالى الطيبين .

وحمل هذا السيل الجارف فى غواربه أخلاطا وأوشابا من الآدميين والجهال والرعاع معتمدين على قوة سواعدهم وجلدهم لا سلاح لهم من دين ولا ثقافة ولا معرفة لهم بأساليب التجارة ، ولا مال يتأثلون به ولا شىء من المؤهلات . فماذا يصنعون ؟ وفى أى سبيل لطلب المال والثروة يسلكون ؟ لم يكن أمام هؤلاء بادئ ذى بدء إلا الاستجداء ، ويتجمع من الاستجداء ، ما شاء الله من المال ! ! هنا يتدربون على البيع والشراء لبعض الحاجيات الصغيرة ، فيدورون فى الحارات والقرى والمنازل يبيعون بضائعهم بالدين والنسيئة ويدفع الثمن مقسطاً بأرباح كبيرة . ثم تغريهم سذاجة الأهلين وطيبتهم فيبدءون فى السير فى طريق المراباة والحيل . ولقد نبغ منهم الكثير فى هذه العمليات فاحتلوا مكانا من هذه الدنيا الصاخبة بالسكان وامتازوا فى اختراع أساليب الابتزاز ، وانبثوا فى الدساكر والقرى ، وأثرى جلهم إن لم نقل كلهم ثراء فاحشاً حيث كانوا لا يتورعون فى الوسائل الابتزازية ، مستغلين الطيبة النفسية فى الأندونيسيين . وهكذا اشتد تيار الهجرة من جميع أجزاء الجنوب العربى ، ومن جراء ذلك كان بدء التحول فى تاريخ العرب بأندونيسيا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صورة نظيفة :

لقد كان العربي المهاجر حتى أواخر القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر صورة صادقة للسلم الداعية ، والعربي المجاهد . فقد كانوا إلى جانب أعمالهم التجارية النزيهة ومعاملاتهم الطيبة ، وصناعاتهم النافعة يجعلون من بيوتهم مدارس ومعاهد لتعليم الدين والقرآن واللغة العربية ، ومن المساجد التي أقاموها ملتقى الأخوة والتعارف والتعاون على البر والتقوى . وكانوا يوالون الزيارات ونشر الدعوة بين إخوانهم الأندونيسيين في القرى النائية ويبنون فيها المعاهد والمساجد ، ويتصلون بشيوخها المسلمين ويعينونهم بالجاه والمال على نشر التعاليم الإسلامية ، وكان الاستعمار ينظر إلى هؤلاء الرجال نظر العدو الحاقد لأنه يراهم السد المنيع دون انتشار التبشير والتضليل ، والمصدر الذي يبعث روح المقاومة للإخلاد والرضى بحكم الأجنبي غير المسلم ويقدح في وطنية الأندونيسيين زناداً يحول دون التعاون مع الأهداف الاستعمارية الهدامة ، وهم الروح القوية التي تشد أزر الإسلام في هذه البلاد وبهم تتوحد صفوف المسلمين ، كان المستعمرون يسمون ذلك العربي :

أما الأهالي فكانوا ينظرون إلى أولئك الرجال نظرهم إلى الآباء الروحيين ، فيجعلون كل ما يتصل بهم وبهذا الدين الحنيف ، وقد بلغ بهم من إجلالهم أن يتبركوا أهل القرى بآثار أقدامهم إذا مر أحدهم في القرية فيأخذون التراب الذي مسته أقدامهم وينثرونه في منازلهم ! وإذا رأى أحدهم قصاصة من الورق عليها كتابة عربية على الأرض رفعها وقبلها بكل حنان واحترام كأنها من المصحف الشريف ! .

فإذا كانت هذه الصورة من إجلالهم للعرب والعربية ، فماهيك بنفوذ تعاليمهم فيهم .

ولقد امتزج العرب الأولون حتى حدود هذا التاريخ بالأهالي وخالطوهم بالمصاهرة ، والتحمت النسبة وتبادلوا المواريث ، ولهذا انصهر الكثير من أبنائهم وأحفادهم في الأندونيسيين لغة وسحنة وعادات وأزياء بحكم البيئة والأمومة .

لقد كان ذلك العربي الطاهر النزيه هو العدو للاستعمار ، هناك بدأت السياسة الاستعمارية تفكر في طريقة للحد من هذا النفوذ ، وظلت تضرب أخماسا في أسداس كي توجد الثغرة التي تنفذ منها إلى حفر الهوة بين العرب والأهالي ، أما إيصاد الأبواب في وجوه المهاجرين فقد بدأت فيه بسن القوانين

المدرسة الجوالة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ووجوب دفع ضريبة دخول فاحشة على المهاجرين الواردين ، كما ضايقت تنقلات العرب بين القرى والمساكر بإيجاد أذونات رسمية للتنقلات لا يمكن الحصول عليها إلا بشق الأنفس تحديدا للنشاط العربى والروح الدينية.

الاستعمار يتعلق بالوشاب :

لاشىء أمام الاستعمار لينفذ منه إلا أولئك الذين وفدوا أخيرا من الحضارم كالوباء الذى يحمل معه جراثيم الانحلال والانهيار ، نعم لم يكن هناك غير المرابين المنبثين فى المساكر والمدن والقرى ، وأفسح الاستعمار لهم المجال وسمح لهم بمعاطاة الربا وبيع الأثاث المنزلى بالتقسيط المضمون قانونيا ، وعلمهم بواسطة المحامين مواد القانون الاستعمارى التى تضمن للدائن حق الحجز والمصادرة ، فاندفع أولئك الأجلاف يعيثون فى الأرض فسادا ، فأغرقوا الموظفين وأرباب المناصب الحكومية والصناع والعمال وصغار التجار حتى الجنود والشرطة بالديون الباهظة وربا ها المضاعف ، وسهلوا نظريا طريقة الدفع بالتقسيط الشهرى والسنوى وتعلموا كيف تكتب الوثائق والبوالص التى تخول لهم حق المصادرة والحجز إذا تأخر الدفع أو تقسر الحجز ، فنبغ فى ذلك البدوى الأمى الحضرمى .

ولو ثقفت يوما حضرميا
لجاءك آية فى النابغينا

وغصت المحاكم بالمرافعات بين المرابين والأهالى وأرباب المناصب والموظفين والصناع منهم . .

تشويه وتفرقة :

وهنا بدأت سمعة العرب تسوء لدى الأهالى وكانت الجرائد والمجلات الأجيرة للاستعمار تزيد الشقة اتساعا بما تنشره من الحوادث الجارية من هذا النوع لغرض تشويه سمعة العرب .

وحينئذ ألف الهولنديون كتب المطالعة باللغة الأندونيسية لتدرس فى المدارس الأهلية الحكومية ، وألهمتهم هذه الحوادث مادة لإنشاء القصص والحكايات فيها ، فصوروا الحضرى عندما يهبط إلى موانى جاوة ، وهو فى خشونة البداوة وقذارة الفقر ووحشية الجهل حافيا محيفا لا يحمل إلا وسادة متسخة وغطاء قذرا ، وصوره وهو يدور فى الشوارع على صغار الباعة يجمع الربا اليومى للدين ، متوشحا خريطة نقوده متأبطا هراوته حافيا مشمرا إزاره إلى ركبتيه ، وصوروه وقد انتفخ كرشه وترهل جسمه وغلظ وجهه وصوروه فى بيته وهو يضرب خادمه الأندونيسى وينهره ويطرده ، وأخيرا صوروه وهو يترافع فى المحاكم وبعض الأهالى ، وبين هذه الصور تساق القصص الشيقة ، بأسلوبها

(البقية على صفحة ٥٧٠)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذاهم مبصرون » . كلما ألم الشيطان بخاطرهم تذكروا عداوته للإنسان ، وتهيبوا جانب ربهم فتزول عنهم الوساوس ، وتنجلى عن بصائرهم غشاوة الغفلة فيبصرون ما كان يشغلهم عنه الشيطان من مهاوى الزلل وقبيح العاقبة ، فيثوبون إلى رشدهم ويحتفظون بنجوتهم من غضب الله ، ومن سقطاتهم فى البيئة المخالطة وغيرها .

هذه كلمات موجزة فى تكوين الشخصية ، وإن لم تكن هذه الأصول الثلاثة كل عناصرها فهى من أقوم العناصر المجدية فى اكتسابها ، ومن أشد الروابط بين صفوف المجتمع فى دنيانا .

ولعلها إذا اكتملت فى إنسان هانت عليه البقية منها ، فالجانب الخلق آكد المبادىء الإنسانية ، وأبرز مشخصات الفرد والجماعة ، وأضمن وسيلة إلى النجاة هنا وهناك .

وإن لم يكن خلق فهى إنسانية واهنة ، وكرامة مثلومة ، أو هى شخصية من باب الأضداد وإن شئت فقل : هى بهيمية ، أو أضل سبيلا .

فاللهم هيئ لنا خلقا نشيد عليه كرامتنا ، ونقيم به أركان مجتمعنا ، ونشرف به أمتنا ، ونكسب به رضوانك .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

(بقية المنشور على صفحة ٥٥٧)

المشحون بما تشمئز منه النفوس الإنسانية ، والواقع أنها صور من الواقع السيئ !! .

نقرأ هذه القصص فى كتب المطالعة المدرسية المسماة : (ماناهارى تربيت) أى شروق الشمس بأجزائها الأربعة للمدارس الابتدائية الأهلية الحكومية الاستعمارية ، وخريجوها هم الطبقة المثقفة عصريا ! والجرائد اليومية الأجيرة تنشر سلسلة المرافعات وتفاصيل محاكمة ذلك العربى الذى تزوج فتاة أندونيسية بالرغم عنها لأن أباها زوجها ذلك العربى اتقاء محاكمته فى الديون والربا المتجمد عليه بعد عجزه عن وفائها ، وتطيل المحاكم القضية نحو سنة ! وتعلق المجلات على ما تنشره الجرائد ويدوى صدى ذلك فى العالم كله ، وتبيت القضية حديث السامر !!

(البقية فى العدد القادم)

عبد القادر عبد الله الجفرى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دراسة عن علي مبارك

للأستاذ محمود الشرقاوي

— ٢ —

كان إخلاص علي مبارك وشغفه بتعليم أبناء وطنه كفيلان بأن يبلغا بجهده غاية النجاح. فقد خرج من المدارس التي كان يشرف عليها ويؤلف لها ويدرس فيها، نوابغ ومجيدون للغة الفرنسية إجادة من درسوها في فرنسا (١) ! وكان، مع ذلك، لا يشق على التلاميذ ولا يمتهنهم - كما كان الحال إذ ذاك - ولا يرهقهم. كان يمنع ضرب الأطفال منعا باتا ويشجعهم بالهدايا، ويحثهم على أن يلعبوا ويظهروا من نشاطهم البدني ما يستطيعون. ويوصي معلميهم بأن يأخذوهم بالرأفة والرقة والملاينة. وقد كانت نسبة المجانية في عهده ٤١ ٪ في المدارس الأميرية، و٢٣ ٪ في المكاتب الأهلية (٢).

وآية إخلاصه في العمل وجلده عليه ما نجده منه عند ما تولى، مرة واحدة، جملة من أخطر المناصب وأضخمها مسئولية وأعظمها شأناً وأشقها أداء. فهو في وقت واحد، مدير لسكة الحديد، ووزير للمعارف، والأشغال، والأوقاف، وناظر للقناطر الخيرية، وملحق بحاشية إسماعيل. وقد قام بجهد هذه المناصب والأعمال كلها على أتم وجه وأكمله. وكان يعمل فيها بالليل والنهار. وهو فوق ذلك كله، يشتغل بأمر التلاميذ والمعلمين وكتبهم. ويزور «ديوان المدارس» مرتين في كل يوم. ويضع، في نفس الوقت أيضا، لائحته المشهورة لإصلاح التعليم في الكتاتيب. وينشيء مدرسة دار العلوم لسد حاجة التعليم من المعلمين. وينشيء دار الكتب المصرية وينظمها. فقد صدر أمر إسماعيل بإنشائها - في ٢٠ من ذي الحجة سنة ١٢٨٦ (١٨٧٠م) بناء على مذكرة رفعها إليه علي مبارك باعتباره وزيراً للمعارف، وكانت دار الكتب أول إنشائها تابعة لهذه الوزارة.

وفي ٢٢ صفر من سنة ١٢٨٨ (١٨٧١م) أصدر إسماعيل أمراً بضم جميع المدارس إلى «ديوان المدارس»، وفصل المدارس التي تتبع وزارة الأشغال وضمها إلى هذا الديوان، وأن

---

(١) ص ٤٥ من الجزء التاسع من الخطط.

(٢) من تقرير له بتاريخ أول يوليو سنة ١٨٨٩ رفعه للخديو ونشرته جريدة الوادي بتاريخ ٢١ مارس [illegible] ٢٢٩٠].

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يستقل على مبارك بإدارة هذا الديوان ، لما رآه فى ذلك من صالح المصلحة ، كما جاء فى أمر إسماعيل .

مدرسة دار العلوم :

وفى التاسع من ربيع الثانى سنة ١٢٨٨ (يوليو سنة ١٨٧١) صدر أمر إسماعيل بإنشاء مدرسة « دار العلوم » وطلب منشئها ووزير المعارف على مبارك من شيخ الأزهر أن يختار له بعض العلماء ليدرس فيها التفسير - بمرتب أربعة جنيهات فى كل شهر - على أن يلقى فى كل أسبوع درسين زمن كل منهما ساعة ونصف . وأن يختار لهذه المدرسة عشرة من طلبة الأزهر يلحقون بها ، على أن يمنح كل منهم إعانة شهرية قدرها خمسة وعشرين قرشاً[1] وكان الذين اختارهم شيخ الأزهر للتدريس فى « دار العلوم » هم : الشيخ حسين المرصفى ، والشيخ عبد الرحمن الجيزاوى ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفى . كما اختار للالتحاق بالمدرسة عشرة من الطلبة ، نجد أسماءهم فى أمر من أوامر وزير الأوقاف ، على مبارك[2] .

وكانت دار العلوم عند إنشائها ملحقة بدار الكتب ، فى باب الخلق ، وكانت تقبل الطالب إذا كانت سنه بين العشرين والثلاثين .

وقد بدأت دار العلوم سنتها الأولى بهؤلاء العشرة من الطلبة . ولكنها عند ما بدأت سنتها الدراسية الثانية يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨٧٢ (٢٤ جمادى الأولى سنة ١٢٨٩ هـ) زاد عددهم إلى خمسين .

وممن تعلم فى دار العلوم : حسن باشا جلال ، ومحمد باشا صالح ، وعبد الرحمن باشا سيد أحمد ، ممن بلغوا أرقى الدرجات فى التعليم وفى القضاء . وكلنا يعلم مكانة دار العلوم منذ نشأتها . وفضل رجالها على اللغة والتعليم والثقافة . فهى ، بذلك ، من أبرز أعمال على مبارك . لذلك نرجو أن نعذر فى هذا الاستطراد الطويل فى الحديث عنها . إذ لولا إخلاصه وتفكيره وجلده ما كانت « دار العلوم » أو على الأقل ما كانت بهذه المثابة والمنزلة فى تاريخنا الفكرى والتعليمى والثقافى .

عالم مؤرخ أديب :

وعلى مبارك يجمع بين صفات العالم وسمات الأديب وخصائص المؤرخ . فهو فى حديثه عن الزراعة[1] مثلا يذكر نشأتها وتطورها منذ كانت عملا بدائياً يقوم به الناس فى

(١) نص خطاب على مبارك إلى شيخ الأزهر موجود فى ص ٩٣٣ من الجزء الثانى من المجلد الثالث من كتاب تقويم النيل لأمين باشا سامى .

(٢) فى ص ٩٣٨ من المصدر السابق نص الأمر وأسماء الطلبة .

(١) للمساعرة الثامنة والثمانون . ص ٨ . ١ - ١٠٤١ - جزء - ٣ - من « علم الدين » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العصور القديمة ويستعملون فيه أيديهم وأرجلهم وتلك الأدوات الساذجة البسيطة من الخشب والحجارة . ويذكر إلى ذلك إحصاءات دقيقة عن تقدم الزراعة في فرنسا في القرن التاسع عشر ونماء الثروة القومية بسببها ، وهو لا يدع حديث الزراعة حتى يذكر شيئاً من الشعر العربي القديم .

ونجد ذلك في شيء كثير جداً من مسامراته في « علم الدين » .

وكان حريصاً على المعرفة والكشف مغرماً بهما صبوراً على ما يقتضيان من مشقة وتأن وجهد . وفي حديثه عن زيارته وكشفه « لجبل المرمر »[1] في بني سويف ، مظهر واضح الدلالة على ذلك .

مصري العاطفة :

وكان مصري القلب والعاطفة منصفاً . يدل على ذلك - إلى جانب ما أسلفنا من الدلائل - ما قام به في فترة يسيرة تولى فيها أمر « وكالة مجلس التجار » ، فقد حمد له التجار المصريون عدله فيهم ، وإنصافه لهم . بعد سلفه الأرمني الذي كان يظلمهم ويتحيفهم . لذلك كان أسفهم طويلا ، وحزنهم عميقا عندما فصل من عمله هذا .

وكان طبيعيا أن تؤهل هذه الصفات والأخلاق ، وهذه الكفاية صاحبها لينال ثقة الحاكمين ، وخاصة إسماعيل ، فقد رأينا أنه ولاه في سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧ م) ثلاث وزارات . ثم نجد أمراً من إسماعيل - تاريخه ١٣ جمادى الآخرة من نفس السنة - يقضي بتعيينه « وكيلا عاما لديوان المدارس » ، وفي صيغة هذا الأمر ندرك الثقة التي كان يوليها إسماعيل إياه ، والمكانة التي نالها عنده ، وندرك الأهمية التي كان ينظر بها إسماعيل إلى مشروع علي مبارك هذا الذي وضعه لإصلاح التعليم . حتى يضع المجلس الذي يناقش المشروع تحت رياسته . ونجد بعد ذلك - في ٤ صفر من السنة نفسها - أمرا آخر من إسماعيل بتقرير النظام الذي وضعه علي مبارك وأقره المجلس[1] .

ثم نجد علي مبارك قد تولى من إسماعيل هذه الوزارات نفسها بعد ذلك مرة أخرى

---

(١) ص ٢١ جزء ١٠ من الخطط .

(١) كان أعضاء المجلس هم : الشيخ عبد الهادي الإبياري ، والشيخ اسماعيل الحلبي ، مفتي الأوقاف ووكيل الازهر سابقا ، وأحمد أبو مصطفى عمدة مليج روضة ، ومحمد الصيرفي عمدة بلشانة بحيرة ، والسيد محمود العطار من عمد المحروسة ، والحاج يوسف عبد الفتاح « سر تجار مصر » ، وعبد الله بك من أعضاء مجلس استئناف مصر ، واسماعيل بك ناظر للهندسخانة والرصدخانة ، ورفاعه بك ناظر قلم ترجمة ، وعلي بك مبارك وكيل « ديوان المدارس » : عن فرمان اسماعيل ص ٧٨٢ جزء ٣ مجلد ٢ من « تقويم النيل » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩ م) بعد ما أحرز من نجاح فيها فى المرة السابقة . فلما رأى إسماعيل بعد ذلك أن يكل أمر هذه الوزارات الثلاث إلى ابنه الأمير حسين كامل ، بعد ضم بعضها إلى بعض ، اختار على مبارك مستشارا له ، فى ٢١ جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢ م) .

وقد روى أمين باشا سامى قصة ذات دلالة كبيرة على إخلاص على مبارك لوطنه ، وعلى بعد نظره ، كما تدل على العقلية العلمية التى كانت تسيطر على تفكيره . والتى كان يريد أن تتقدم عن طريقها مصر .

فقد كان فى مدرسة « أنجال إسماعيل » التى كانت فى المنيل ، عالم فرنسى يدرس فيها علوم الرياضة والطبيعة والكيمياء ، اسمه مسيو فيدال ، ثم رأى إسماعيل أن يرسل أبناءه إلى أوربا ، وأن يستغنى عن خدمات بعض المدرسين الأوربيين ، ومنهم العالم فيدال ، وقدم مصر فى ذلك الوقت مبعوث من حكومة اليابان وطلب من فيدال أن يذهب معه إلى اليابان بمرتب أزيد مما كان يعطاه فى مصر ، على أن يزاد فى كل سنة . وعلى ألا يترك اليابان إلى فرنسا إلا مرة كل خمس سنوات ، فقبل . وعند ما علم على مبارك ذلك أبلغه إلى إسماعيل ملتمسا أن تحرص مصر على بقاء هذا العالم الكبير فيها ، لتنتفع به .

واستطاع على مبارك إقناع إسماعيل بإبقائه فبقى ، وتخرج على يديه عدد من كبار الرجال فى مصر (١) .

ونجد آثارا من طبيعة على مبارك وخصائصه النفسية ، لا فى تصرفاته وأعماله وحدها ، بل فيما يضع من قوانين ولوائح ونظم أيضا . فقد رأينا فى مشروعه الذى وضعه للتعليم وإصلاح النظم المدرسية ، أنه فرض « المصروفات المدرسية » ، ولكنه تركها من غير تحديد ، يدفع القادر منها ما يشاء عندما يشاء ، فهو لم يضع لوائح ونظما للإعفاء منها ولا لتحديد مقاديرها ومواعيد سدادها ، بل ترك للناس أن يصنعوا ذلك بوحى من ضمائرهم وخلقهم . أشعرهم بأن الحكومة لا تستطيع وحدها أن تعلمهم ، وأن ما وقف على التعليم والبر لا يكفى لتعليم أبنائهم . وأن عليهم أن يسهموا فى ذلك ، كل بالقدر الذى يستطيعه ، بلا سطوة من قانون ولا قوة ، ولا حرمان لمن لا يدفع ، ولو كان قادرا ، وهذه هى سماحة الإسلام وتربيته وتهذيبه . تلك التى تجعل للمحتاج حقا فى مال القادر ، وتجعل ضمير هذا القادر هو الحافز

---

(١) ملخص عن ص : ٨٠٦ من كتاب تقويم النيل . المجلد الثانى من الجزء الثالث .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على أن يفعل ويبذل ، وهذه أيضا هى الاشتراكية الحديثة بأرفع دلائلها ومعانيها .

وقد رأينا أن ضمائر الناس وحدها كانت سببا فى ازدهار المدارس ، وزيادة عدد التلاميذ زيادة كبيرة .

على مبارك بقلمه :

هذا الرائد المصرى العظيم ، الذى قام ، وحده ، بجهود يقصر عنه جهد العشرات من الرجال . فى دفع مصر دفعا قويا مضطردا نحو الحضارة الحديثة فى مظاهرها المادية والثقافية . كما نجد تفصيله فى هذه الدراسة ، هذا الرائد العظيم كتب بنفسه قصة حياته وجهاده [1] ، فجاءت قصته هذه صفحة من أجل وأروع ما نجد فى الأدب العربى - إلى عصره - من صفحات . وكان صدقه فيها وتسجيله ، ببساطة وإخلاص ، أحداث حياته وشقوته وشقوة أهله وأشباههم من الفلاحين ، وتسجيله ما لقى فى طفولته وصباه من المحن . كان صدقه وهو يسجل ذلك كله ، من أهم ما أضفى على هذه الترجمة من قوة وعمق ، وأبرز لها من قيمة وتقدير .

وبعض الذين ترجموا له يضيفون إلى اسمه لقب « الرومى » ، وإن كان جورجى زيدان يذكرها « الروجى » ، ولعله تصحيف . ولست أدرى هل نستطيع أن نتخذ من نسبته إلى « الروم » ، دلالة على أن فى أصله دماً غير مصرى أم لا . على أن كل الدلائل وما سمعته عن الذين كانت له بهم صلة صداقة أو قرابة أو نسب تدل على أنه كان أصيلا فى مصريته ليس فى عروقه دم دخيل .

وقبل أن نلخص هذه الترجمة الشائقة الفريدة عن سيرته . لابد أن نشير إلى أمر له دلالة كبرى فى التعريف بعلى مبارك ، وإدراك عظمته النفسية .

فهو فى هذه الترجمة يذكر أشياء ندر أن يذكرها أحد عن صباه وطفولته . وبخاصة من بلغ مبلغه من الجاه والمجد والمكانة . نجده فى حديثه عن صباه وطفولته ما لقى هو وأهله من الهوان والمذلة ، وما قاسى وقاسوا من الفقر والشقاء والمحنة . وهو يفصل ذلك تفصيلا فيه صدق وعاطفة . لاتحس معه أنه يخجل مما كان فيه من هوان وذل ، وما كان فيه أهله من فقر وشقاء ومحنة . بل لعلك واجد من حديثه بعض شىء من الفخار والاعتزاز ، لأنه استطاع بكده وجهده وصبره أن يخرج من كل هذا الفقر والذل والهوان ، وأن يعلو بقدره ويسمو بمكانته إلى أعلى مقام يمكن أن يصل إليه مصرى فى ذلك الزمان وهو بذلك يضرب أروع المثل للشباب ، وأعظم القدوة لمن يريد ألا يعرف المستحيل ولا أن يعترف به .

(١) من ص ٣٧ إلى ص ٦١ من الجزء التاسع من الخطط .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهذا الاعتراف من علي مبارك بهوان أصله وحقارة ماضية . صادق كل الصدق من الناحية الفنية ، رائع أيضا من الناحية التصويرية . فأنت تقرأ له هذه الصفحات التي أطال فيها وأجاد ، فتحس معه بالحزن او الأسف أو الغضب أو الإشفاق . حسبما يتحدث هو من وقائع حياته وإحساسه . ولكنك في كل هذا جميعا ، معجب أشد الإعجاب بقوة هذه النفس وعظمة هذه الشخصية التي لا تشعر بشيء ما من ، مركب النقص ، فيحاول صاحبها أن يخفي أو يتستر ، أو يدعي لنفسه ما يشاء . بل يجعل هذه الاعترافات منارا يهتدي به نظرائه وأشباهه من أبناء هذه الأمة من الفلاحين . فلا يعتقدون أن شيئا في الحياة ، أو منصبا مهما سما وعلا ، بعيد على جهدهم وكفاحهم وصبرهم .

وهذا درس آخر من أعظم الدروس التي نفيدها من حياة علي مبارك .

وهذه الترجمة الأمينة الصادقة المفصلة التي كتبها علي مبارك لنفسه ، انتزعها صديقه وزميله وتلميذه محمد باشا درى الحكيم وطبعها في رسالة صغيرة [1] . زاد عليها ذكر أعماله ومؤلفاته في السنين الأخيرة . منذ وقف علي مبارك بترجمته لنفسه حتى مات ، ويقول درى باشا في مقدمة رسالته أنه هو الذي رسم لعلي مبارك الصورة المتداولة عنه من الذاكرة ثم أرسلها إلى أوربا فطبعت على النحاس ، وقد صدر بها رسالته تلك وكذلك لخص هذه الترجمة المرحوم الأستاذ إلياس الأيوبي [2] ولخصها أيضا المرحوم الأستاذ أحمد أمين في ترجمته له [3] .

مؤلفاته :

لعلي مبارك عدد كبير من المؤلفات . تتناول مواضيع مختلفة كالتاريخ ، والأدب

---

(١) تاريخ حياة المغفور له علي مبارك باشا : طبعت في مطبعة محمد باشا درى التي سماها المطبعة الطبية الدرية بحارة السقايين بمصر المحمية سنة ١٣١١ هـ ١٨٤٩ م أما محمد باشا درى الحكيم فقد ولد بالقاهرة سنة ١٢٥٧ هـ (١٨٤٠ م) ثم التحق بالهندية في عهد محمد علي ، ودخل مدرسة المهندسخانة وكان ناظرها علي باشا مبارك ، ثم اتجه لدراسة الطب فدرسه في باريس حتى أصبح أقدر الجراحين المصريين في عصره ، وبعد الاحتلال الانجليزي أحيل إلى المعاش فأنشأ المطبعة التي أشرنا إليها واشتغل بها وبالتأليف حتى مات في ٣٠ يولية سنة ١٩٠٠ [توجد ترجمة وافية له في الجزء الثاني من كتاب تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر لجورجي زيدان ص ١٩٢ — ١٩٧ وكتاب البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهد عباس الأول وسعيد ، للأمير عمر طوسون ص ٥٦٦ - ٥٦٩ .

(٢) راجع ص ١٧٢ — ١٩٧ من كتابه تاريخ مصر في عهد إسماعيل الجزء الثاني .

(٣) في كتابه زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص : ١٨٤ — ٢٠١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والهندسة العسكرية ، والطب ، والجغرافية ، والحساب ، والحديث الشريف وشرحه ، والموازين والأقيسة ، والهجاء والتمرين على القراءة .

ومن عرض هذه الكتب ، نعرف أن علي مبارك كان رجلا موسوعيا متنوع الثقافة ، محيطا بشيء كثير من المعارف التي كان يحتاجها أهل عصره . وكانت مصر تحتاج إليها وإلى من يعرفها في تلك الفترة الحاسمة من تاريخها .

وهذا ما عرف من مؤلفاته : (١) .

١ — تذكرة المهندسين ، وتبصرة الراغبين . طبع سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) م .

٢ — تقريب الهندسة لاستعمال العسكرية المصرية . طبع في مطبعة وادي النيل سنة ١٢٩٨ (١٨٨٠ - ١٨٨١) م .

٣ — تنوير الأفهام في تغذي الأجسام . طبع في مطبعة المدارس سنة ١٢٨٩ هـ ثم في مطبعة الجمهور سنة ١٩٠٣ م .

٤ — جغرافية مصر . طبع في مصر سنة ١٨٩٤ م .

٥ — حقائق الأخبار وأوصاف البحار . ألفه لتلاميذ روضة المدارس المصرية طبع مطبعة وادي النيل سنة ١٢٨٧ هـ .

٦ — الخطط التوفيقية ، تكملة لخطط المقريزي . تم طبعها في مطبعة بولاق الأميرية سنة ١٣٠٦ هـ .

٧ — خلاصة تاريخ العرب . ترجمة كتاب العالم الفرنسي سيديو . طبع في مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٠٩ هـ .

٨ — خواص الأعداد . طبع في مطبعة المدارس سنة ١٢٨٩ هـ .

٩ — شرح الحديث الشريف : « اعمل لدينك كأنك تعيش أبدا » .

١٠ — طريق الهجاء والتمرين .

١١ — علم الدين ، وهو مسامرات علمية أخلاقية عمرانية . طبع في مطبعة جريدة المحروسة سنة ١٢٩٩ (١٨٨٢) م .

١٢ — الميزان في الأقيسة والمكاييل والأوزان . أثبت فيه أن أصل الأقيسة والأوزان كلها مصري . وأن الأقيسة والأوزان العبرية والرومانية مقتبسة من الأقيسة والأوزان المصرية القديمة . طبع الجزء الأول في مصر سنة ١٣٠٩ .

١٣ — نخبة الفكر في تدبير نيل مصر طبع في مطبعة وادي النيل سنة ١٢٩٨ هـ وفي آخره جدول يحتوي على غاية التحاريق وزيادة النيل والصرف ، وتحوله إلى أمتار من ابتداء سنة ٢٠ هجرية .

هذه هي مؤلفاته المعروفة ، كما سجلها سركيس ، ولكن هناك مؤلفات له لم تطبع

---

(١) نقلا عن « معجم المطبوعات العربية والمعربة » . ليوسف سركيس .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهو يقول فى ترجمته أنه ألف كتابا فى فن الاستحكامات العسكرية ، وسوق الجيوش وترتيبها ، والمناورات الحربية . ولكنه لم يطبع ، وفقد منه . وكذلك يقول فيها إنه ألف كتابا فى فن « العمارة » لم يطبع .

وكان على مبارك يستعين بمن يأنس عنده القدرة على أن يشاركه فى تأليف هذه الكتب وهو يسجل ذلك بنفسه . كما نجد فى ترجمته للمرحوم صالح مجدى بك ، فقد ذكر أنه أعانه فى تأليف كتابه « طريق الهجاء والتمرين » .

كذلك كتاب سيديو (١) « خلاصة تاريخ العرب » كان على مبارك هو الذى أمر بترجمته وراجع هذه الترجمة . ولكن الذى ترجمه إلى العربية فعلا ، هو محمد أفندى ابن أحمد عبد الرازق أحد المترجمين فى نظارة المعارف التى كان يتنظر عليها على مبارك . وقد هذب الترجمة ، وصحح عبارتها الشيخ سيد الشرقاوى الشرشيمى .

نجد فى المقدمة التى كتبها على مبارك لهذا الكتاب ما يلى : (... أمرت بترجمته وأنا ناظر على ديوان المعارف سنة ١٢٨٥ هـ المرحوم محمد أفندى بن أحمد عبد الرازق ، أحد المترجمين بقلم ترجمة الديوان ومعلمى اللغة الفرنسية . ثم أمرت أساتذة بقراءته فقرءوه ثم أمرت بطبعه ، ثم خرج على مبارك من وزارة المعارف ، فلما عاد إليها فى سنة ١٣٠٥ وجد الكتاب لم يطبع ، ومنه أبواب لم تترجم وأخرى لم تستوف حقها من الترجمة : (فترجمنا ذلك وصححنا الكتاب وقابلناه على الأصل كلمة كلمة ثم كلفنا الشيخ عبد الرحمن بن العلامة الشيخ السيد الشرقاوى الشرشيمى المتوفى سنة ١٢٨٨ بأن يراجعه من الناحية العربية وكان ما يراجعه الشيخ يعرض علينا) .

كذلك نجد فى ترجمته لمحمد أفندى عثمان الونانى (٢) - وهو أحد معاصريه الذين استكتبهم تاريخ حياتهم وضمنها كتابه « الخطط » - نجد فى هذه الترجمة أن صاحبها نقل إلى العربية قصصا فرنسية ، بتكليف من على مبارك .

ونجد على مبارك نفسه يقول فى ترجمته للمرحوم صالح مجدى بك « ... وطالما استعنت بقلمه على تأليف كتب متنوعة فى فنون شتى (٣) كما يقول فى ترجمته أيضاً ... « أحيلت على معهدى ، وإنا ناظر للقناطر الخيرية ، مأمورية تأليف كتاب الهجاء والتمرين فطلبت المترجم من ديوان المدارس ، بأمر عال ، فحضر عندى

(١) مستشرق فرنسى من القرن التاسع عشر وهو مستشرق منصف للعرب وتاريخهم وحضارتهم.

(١) ص ٦٤ - ٧٥ جزء ٧١ من الخطط .
(٢) ص ٢٣ جزء ٨ من الخطط .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

واشتغل معي بالكتاب المذكور »[1] ويقول أيضاً إنه — أي صالح بك — باشر معه « بعض التاريخ الذي عملته للديار المصرية في عدة مجلدات. وبعض رسائل جمعتها وطبعت بمعرفته في جرنال روضة المدارس التي أنشأتها في نظارتي على ديوان المدارس »[2].

ولست أدري ما هو الكتاب الذي يقصده علي مبارك، والذي ألفه عن تاريخ مصر في عدة مجلدات. هل هو كتاب الخطط نفسه؟ لأننا لم نعرف له كتابا سواه « عن تاريخ مصر في عدة مجلدات »، ولكن لماذا لم يقل علي مبارك أنه اشترك معه في تأليف « هذا الكتاب »، فقد ورد حديثه عن مجدي بك في كتاب الخطط نفسه.

هل نفهم هذا — رغم هذا الخروج عن مألوف الكتابة — أم أن لعلي مبارك كتابا آخر لم يعرف في تاريخ مصر. هو الذي قصده بهذه الإشارة وشاركه فيه صالح مجدي بك ... ؟.

وفي مقدمته لكتاب « علم الدين » يقول أنه استعان «في تهذيب عبارته وتحسين إشارته ببعض جهابذة الأساتذه، لاسيما العالم الفاضل السيد الأجل عبد الله باشا فكري وكيل ديوان المعارف — وكان علي مبارك حين ألف الكتاب وزيرا لها — فإنه صرف عنايته إلى تنقيح ما اطلع عليه من هذا الكتاب وليس بالقليل، فهذب معانيه. وشذب مبانيه وقرب مجانيه »[1].

الخطط التوفيقية :

ليس كتاب الخطط هذا أهم وأعظم مؤلفات علي مبارك فقط. بل هو من أهم وأعظم ما ألف في اللغة العربية كلها، في جميع العصور، أراد به علي مبارك أن يكمل ما فات المقريزي في خططه، وأن يسجل ما طرأ على خطط مصر وبلادها وقراها من تغيير، بعد أن وصفها المقريزي، وأن يترجم لمن لا نجد ترجمتهم في خططه ممن تركهم، أو عاشوا بعده. فهو لذلك متأثر بالمقريزي، يقتديه ويقتبس منه أشياء كثيرة.

البقية في العدد القادم

محمود الشرقاوي

(١) ص ٢٤ جزء ٨ من الخطط.

(٢) ص ٢٤ جزء ٨ من الخطط.

(١) ص ٧ — ٨ من الجزء الأول

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

الشخصية الأدبية ومقوماتها

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

ا ـ خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين .

ب ـ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم .

من خصائص الإنسان وصفه بالشخصية إن كان ذا شخصية .

وقد اتسع مجال القول فى تحديدها ، وبيان عناصرها . . ونحن نجد أن مفهوم الشخصية يتنوع ، وأن لكل نوع منها عناصر تواتمه فى بابه ، كشخصيات الأبطال فى الحروب ، والسياسة وعباقرة العلم ونحو هذا .

وما قصدت الاستيعاب ، ولا الموازنة فى مقامنا هذا ، وحسبنا أننا حينما نشهد لامرئ بشخصيته لا يشق علينا أن نذكر عناصرها البادية فيه ، والتى حملتنا على اعتباره ذا شخصية بين الرجال أو النساء ، بل بين الأحداث من الولدان .

وإنما قصدت الحديث عن الشخصية المرموقة فى القرآن . فوجدتنى أمام فيض واسع من النعوت الكريمة التى يشهد الله لأصحابها ، ويعتبرهم فى مقدمة الجماعات الإنسانية .

وهم بمقتضى هذا أصحاب شخصيات ولا جرم ، وكذلك الناهجون منهجهم فى أى جانب من جوانب العظمة يكونون أشبه بهم إلى الحد المستطاع فى شأنهم المفروض .

وغير خاف أن الشخصية فى مثلها الأعلى من كل وجه إنما تتوافر عناصرها فى إنسان تعهده الله بالتربية ، وفضله على جميع خلقه ، وختم به رسالاته ، وشهد له بما لم يشهد به لغيره من أنه « على خلق عظيم » ، وأن فيه لنا أسوة حسنة ، أو هو الأسوة الحسنة بالذات . فإذا شئنا التماس العناصر الأدبية فى شخصية هذا الإنسان الكامل ، وشئنا الاقتباس منها للأسوة به عزت علينا الإحاطة بها إلا فى جهد غير يسير ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ولدينا الآن فى هذا الحديث آيتان ، فيهما ثلاثة أصول كافية لمن شاء الأخذ بنصيب من كمال الشخصية بين خلطائه وعارفيه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١ — خذ العفو — بهذا يأمر الله رسوله ومن تبعه على دينه . . والعفو واسع المفهوم فهو التجاوز عن المسيء ، وهو الترفق بالناس فيما يطلب إليهم ، وفيما يبدو عن طبائعهم قولا ومعاملة ، والترفق بهم فى التوجيه إلى الطاعات ، والمواساة بما تسمح به أنفسهم من المال بعد حوائجهم ونحو هذا من التيسير على الناس دون تعسير .

والعفو بهذا التصوير الشامل أصل فى مكارم الأخلاق ، وفى الأخذ به دعم للشخصية . .

وهو من وراء ذلك أساس عتيد فى بناء المجتمع ، وغرس المحبة المتبادلة ، وبهذا التعميم أمرنا الرسول فى سنته كما علمنا فى مسلكه وسياسته فقال : (يسروا ، ولا تعسروا) وقال (أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم)

ولكن العفو على عمومه المرغوب فيه لا يكون شاملا للمسىء فى دينه ، والمنتهك لحقوق الله ، والمتعدى لحدوده فيما نهى عنه وإلا كان العفو مضيعة للحقوق . ونقضا لنظام المجتمع ، ونبذا لمبادىء الدين ، وليس الأمر كذلك .

٢ — « وأمر بالعرف » والعرف يرادف المعروف . وهو كل ما يكفل خيرا للناس مما شرع الله فى دينه أو تعارف عليه الناس فى مجرى حياتهم المتجددة ، أو اهتدت إليه العقول المستنيرة مما يساير المصالح المنشودة ، ولا يناقض مبادىء الدين ، ولا يكون ناجما عن الأهواء والتحلل والمعروف بهذا التفسير الفسيح يقابله المنكر : مما نهى الله عنه أو يكون مجلبة للضرر بالنفس أو بالغير فى شخص أو فى مال أو بنظام اجتماعى .

ومبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعتبر خصيصة من خصائص الدين الحق على ألسنة الرسل جميعاً .

وقد نبه القرآن أمة محمد بالذات على أن هذا المبدأ شعار يتصل بها أكثر من سواها . ثم زكاها القرآن بهذا المبدأ ، حتى كأنه شأن خاص بها ، وذلك باعتبار ما تهيأ لها من دين كامل ، وتهذيب واسع حتى تيسر لها أن تتبادل النصح ، وتتسابق إلى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ولم يتهيأ لسواها أن يبلغ هذا المدى « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر » .

وليس ذلك مدحا فقط . بل هو حض وإغراء على التزام هذا المبدأ ، وفيه ترفع عما كان عليه بنو إسرائيل « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

ومن مقتضيات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن تثور أحقاد الفئات الخبيثة ، وأن تطول ألسنة السفهاء ، حتى تنال من شخصيات النصحاء المخلصين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيكون الموقف بحاجة إلى صلابة فى الحق ، واستمرار على حسن التوجيه وإعراض عن سفه السافهين وذلك هو الأصل الثالث فى الآية .

٣ — « وأعرض عن الجاهلين » .

نعم ! ! من مقتضيات النجاح فى الخير إهمال الحمق ، وعدم النزول إلى مساربتهم والاعتزاز بالذات وفى هذا المبدأ أكثر من سواه تتمثل عظمة الإنسان على من دونه شخصية .

وفى هذا المبدأ ترجمة لما تنطوى عليه النفس من كرامة ، واقتناع بالخير ، وبذله فى ارتياح إليه .

فهيهات أن تنجح دعوة ليست نابعة من القلب ، وليست نفحا لما فيه من إيمان مستقر بالمثل العليا .

هذه أصول ثلاثة ذات أثر كبير فى تكوين الشخصية فى الأفراد ، وربط الوشائج فى صفوف المجتمع .

غير أنها كما تحدثنا عنها أصول تعليمية ، تحتاج إلى حمل النفس عليها لتعتادها ، حتى تكون خلقا كسبيا ، وينعكس ضوءه على مسلك الإنسان فى حياته الخاصة ، والعامة .

لذلك كانت بحاجة إلى تعهدها من نزغات الشيطان ، والتحصن من هجماته الثائرة وخفاء .

٤ — وقد رسم الله كيف نصده بسلاح لا يفل ، فقال سبحانه : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، إنه سميع عليم » .

فالاستعاذة بالله سياج لتلك الأصول الأدبية أن ينتزعها الشيطان ممن يركن إليها ، ويأخذ بها .

والركون إلى الله كفيل — ولاشك — بحفظ المقومات الأدبية من الذبذبة والوهى ، فإن الشيطان دائب على غواية الإنسان كما تحدى ربه بذلك « لأغوينهم أجمعين » .

ولكن الله — تعالى — ألزم نفسه أن يرعى المحتمين فى جنابه ، ويدرأ عنهم الشيطان ومكايده « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين » .

وقد يئس الشيطان نفسه من فتنة المستعيذين بالله منه ، فقال بعد تبجحه ، وتحديه . إلا عبادك منهم المخلصين — بفتح اللام — يعنى لن أتغلب على من استعاذوا بك دائما ، واستخلصتهم من شرورى ، وهديتهم بهديك يا الله ! ! .

وقد كان الركون إلى الله والاستعاذة به سنة أسلافنا الصالحين ، ولا يزال شأنهم كذلك : وقليل ما هم فى الجماعات اليوم .

والله — سبحانه — يردنا إلى معالم ديننا . ويوجهنا إلى القدوة بصالحينا ، فيشيد بهم لنأخذ مأخذهم ، ونتأسى بهديهم فنفوز فوزهم أينما كنا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذاهم مبصرون » . كلما ألم الشيطان بخاطرهم تذكروا عداوته للإنسان ، وتهيبوا جانب ربهم فتزول عنهم الوساوس ، وتنجلى عن بصائرهم غشاوة الغفلة فيبصرون ما كان يشغلهم عنه الشيطان من مهاوى الزلل وقبيح العاقبة ، فيثوبون إلى رشدهم ويحتفظون بنجوتهم من غضب الله ، ومن سقطاتهم فى البيئة المخالطة وغيرها .

هذه كلمات موجزة فى تكوين الشخصية ، وإن لم تكن هذه الأصول الثلاثة كل عناصرها فهى من أقوم العناصر المجدية فى اكتسابها ، ومن أشد الروابط بين صفوف المجتمع فى دنيانا .

ولعلها إذا اكتملت فى إنسان هانت عليه البقية منها ، فالجانب الخلق آكد المبادىء الإنسانية ، وأبرز مشخصات الفرد والجماعة ، وأضمن وسيلة إلى النجاة هنا وهناك .

وإن لم يكن خلق فهى إنسانية واهنة ، وكرامة مثلومة ، أو هى شخصية من باب الأضداد وإن شئت فقل : هى بهيمية ، أو أضل سبيلا .

فاللهم هيئ لنا خلقا نشيد عليه كرامتنا ، ونقيم به أركان مجتمعنا ، ونشرف به أمتنا ، ونكسب به رضوانك .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

(بقية المنشور على صفحة ٥٥٧)

المشحون بما تشمئز منه النفوس الإنسانية ، والواقع أنها صور من الواقع السيئ !! .

نقرأ هذه القصص فى كتب المطالعة المدرسية المسماة : (ماناهارى تربيت) أى شروق الشمس بأجزائها الأربعة للمدارس الابتدائية الأهلية الحكومية الاستعمارية ، وخريجوها هم الطبقة المثقفة عصريا ! والجرائد اليومية الأجيرة تنشر سلسلة المرافعات وتفاصيل محاكمة ذلك العربى الذى تزوج فتاة أندونيسية بالرغم عنها لأن أباها زوجها ذلك العربى اتقاء محاكمته فى الديون والربا المتجمد عليه بعد عجزه عن وفائها ، وتطيل المحاكم القضية نحو سنة ! وتعلق المجلات على ما تنشره الجرائد ويدوى صدى ذلك فى العالم كله ، وتبيت القضية حديث السامر !!

(البقية فى العدد القادم)

عبد القادر عبد الله الجفرى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من شعراء الأزهر :

العاطفة الدينية في شعر أحمد شفيع

للأستاذ محمد رجب البيومي

رحم الله أستاذنا الكبير أحمد شفيع السيد فقد كان مع شاعريته الأصيلة ، راوية قوى الحافظة ، وأكبر مميزات الأديب لديه أن يكون واسع المحفوظ من تراث الأوائل ، فإذا أتاه طالب من أبنائه يعرض عليه بعض آثاره استمع إليه ، ثم اتجه إلى مناقشته فيما يحفظ ويروى للشعراء . وكان ينسب الركاكة والتهافت فى بعض ما نقرأ من الشعر الحديث إلى ضعف الرواية وقلة الإلمام بالروائع من أشعار السابقين . ونحن الآن بحاجة ماسة إلى أساتذة من أمثاله يذودون عن البلاغة العربية والعبارة الحرة بما يروون من نماذج ويحللون من شواهد . إذ أن أكثر متشاعرى اليوم لا يلتفتون إلى الآثار الشعرية فى ادب العرب قدر ما يلتفتون إلى المذاهب المعاصرة فى الأدب الأوربى فهم يلوكون المصطلحات الفنية لوكا سطحيا . ثم يأتون فى قصائدهم بما يخيل إليهم أنه السبق الجرىء فى مضمار التجديد ، وتقرأ ما تقرأ ، فلا تطالع غير الإسفاف الركيك ، والتهافت المتخاذل ، ولو رجع هؤلاء إلى مذهب شفيع فى الرواية والإلمام لردوا على الشعر العربى ديباجته الناصعة ، وارتقوا باللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون - كما يحلو لهم أن يقولوا الآن - ارتقاء تحمد عقباه .

وطبيعى أن يكون شعر أستاذنا الجليل من الطراز الأول نصاعة بيان . وصلاسة تركيب وسنقصر الحديث هنا على عاطفته الدينية ، وأثرها فى إنتاجه الحافل ، إذ أن صداها القوى فى تراثه الأدبى قد فاق كل صدى سواه ، والرجل كأستاذ كبير بالأزهر له ثقافته الإسلامية الواسعة ، وروحه الدينى الشفاف يخضع لتأثير روحى يجذبه إلى نطاق الرسالة المحمدية ، فهو يجيد القول فى كل موضوع إسلامى مهما تكررت مناسبته ، وتعددت ظروفه ، فأنت تجد له إنتاجا متعددا فى موضوع واحد كالهجرة النبوية إذ لا يكاد يمر عام دون أن يستلهم هذا الحدث التاريخى الفذ ، فيفيض خاطره بإلهام رفيع ! ! وقل مثل ذلك فى المولد النبوى ، وفى الإسراء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والمعراج ، وفى ذكريات بدر ، وفتح مكة ، ومع تقارب هـذه الموضوعات وتشابه ملابساتها تشابها يدعو إلى التكرار والترديد ، فلن تجد فى شعره الديني على كثرته فضولا تضيق به ، أو توافقا تنكره ، فلكل قصيدة جوها الفريد وينبوعها المبكر الذى يتدفق نميراً صافياً دون أن تغشى صفحته الوضيئة غاشية من سأم أو فتور ، وبعض الشعراء يكثرون القول فى الذكريات الإسلامية ، ولكنهم يتطرقون إلى الحاضر السياسى عرارا من الرتابة المألوفة والحديث المعاد ، ولكن شفيعا لا ينتقل من جوه الروحى الخالص ، بل يعرض لوحاته الشعرية مصقولة زاهية ، متميزة متفردة ، وفى معارج الخيال آفاق متباعدة تطل على مشاهـد تختلف منحى وموضوعا ، وتتحد هدفا وغاية . وهنا تأتى الطرافة الخالبة ، طرافة الخيال المجنح الذى يجانب الواقع المألوف بجانبة تجعل لكل موضوع زوايا كثيرة ، وفى كل زاوية منظر خاص ينفرد بلونه وجوه وأصدائه ، فتتلون المشاهد ، وتتفرج الزوايا ، والموضوع هو الموضوع .

خذ مثلا موضوعا إسلاميا كرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فإنك واجد فى الحديث عنها ألفانين مختلفة ، ففى قصيدة أولى يتجه الشاعر إلى هلال محرم وهو ذو صلة وثيقة بتطور الرسالة ، فيتحدث عن تألقه فى الأفق ، ويزوغه آلاف السنين دون سأم أو لغوب ، ويصور تعلق الأبصار برؤيته ، وازدياده على التعاقب لمانا وجدة ، ويرسم أدوار القمر من هلال وليد إلى بدر كامل إلى محاق أسيف ثم يفلسف هذا التسلسل فيذكر أدوار الحياة للإنسان من طفولة مبشرة ، إلى شباب مونق إلى كهولة باهتة . ثم ينتقل بعد هـذا التصوير الخيالى إلى موضوعه الأصلى فينسج حوله أضواء لامسة تتجه إلى مشرق الشمس التى عميت عنها العيون ، والخفاش الذى يتراقص فى الوهج المشع دون أن يبصر ضياء الضحى ورونق الصباح ، والنعام الهاجع فى كناسه ، والآساد الواثبة من أجم إلى أجم ، كل ذلك فى ديباجة مشرقة ووضوح مونق يتجلى فى مثل قوله عن الهلال .

طوى الأرض آلاف السنين فما ونت
ركائبه يوماً ولا كل دائره
وكم تشخص الأبصار فى مستهله
فأعجب إذ لا يسأم الدهر ناظره
تعد به الأعوام مهما تطاولت
فيا لسجل لم تحبر دفاتره
يمثل أطوار الحياة ، طفولة
يليها شباب يقطر الحسن ناضره
وبعدهما شيب ، كذاك هلاله
يكمل بدرا ، والمحاق أواخره

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يذكرنا مسراه فى هدأة الدجى
بمسرى رسول الله برعاه آمره
رفيقان فى غار خفى توواريا
وحولهما نور تفيض بواهره
لقد عشيت عن مشرق الشمس أعين
يرين عليها من ضلال دياجره
وما يبصر الخفاش فى رونق الضحى
فهل يبصر الكفار ما الله ساتره
وليس فرارا ما أتاه محمد
فليس يطيق الضيم إلا أصاغره
يقيم النعام وادعا فى كناسه
وتجلو عن الغاب المهين قساوره

وهو فى قصيدة ثانية يصور البعثة المحمدية تصويرا جميلا يبرز أثرها فى العالم، وصداها فى تقويم الأخلاق، وتصحيح المعايير، فيشبهها تارة بالمطر يهمى على الجديب المقفر فيورق ويخصب ويهتز، وتارة بالشفاء الناجع يحل محل الداء المستفحل، فينفح الجسم بالعافية والفتاء، وتارة بالربيع المزهر الموفق وقد كسا الروض ديباجة خلابة تتراقص بها الطيوف والأضواء، وتعبق فيها الورود بالشذى المعطر. وتارة أخيرة بالصباح يبسم فى الكون بعد ظلام حالك مئيس فيرتفع ضياؤه منيرا فى الوجود وقد بهر العيون وخلب الألباب، ثم يفلسف الفكرة فيعقد موازنة بين نور الشمس ونور الرسالة وبين الشك واليقين، وكيف يمور الريب فى القلوب موراً يبعث الكدر والوحشة والانقباض، ولكن اليقين يبعث ارتياحا رائقا، وانسابهيجا، وهل الإيمان غير يقين رسخ أصله، وعمقت جذوره واستطالت سيقانه فتهدلت عليها الغصون بالأثمار.

أرأيت السماء تمطر قوما
بعد جدب يطول فيهم ثواؤه
أرأيت الشفاء وافى مريضا
بعدما أيأس الأساة شفاؤه
أرأيت الربيع يخطر فى الرو
ض فيهتز نوره ورواؤه
أرأيت الصباح يبسم فى الكو
ن فيسمو فوق الوجود لواؤه
إنه أحمد النبيين وافى
أزها الكون واستنارت سماؤه
مشرق الشمس دون مولد فذ
فاض فى الكون بالسلام ضياؤه
وضياء القلوب أجدى وأبقى
من ضياء إلى الجنون انتهاؤه
رب قلب يمور بالشك موراً
زال بالدين ريبه ومراؤه
فاطمأنت من القلوب صدور
طاح عنها الهوى وطار عماؤه
يكدر القلب إذ يداخله الشك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويبدو عند اليقين صفاؤه
وكذاك النفوس بالشك خيرى
وضياء الإيمان فيها جلاؤه

ثم فى قصيدة ثالثة يتجه الشاعر إلى القطر الحجازى ! هذا القطر الجديد الموحش يفيض عليه خير السماء فماذا ينبت ؟ ! إنه ينبت للوجود خير الورى محمد بن عبد الله ! فيصير أخصب بقعة ذات رواء واخضرار ! ! هذه الحقيقة الهادئة تدفع الشاعر إلى فلسفة هادئة مثلها فينظر إلى الجدب الحقيقى فيراه فى النفوس الماحلة من الخير لا فى الصحراء القاحلة ذات الرمال والسموم ! ويظر إلى شعوب ترتفع بهمة بطل عظيم فيصل بها إلى المجد والعزة والاستقلال ، وشعوب ينتشر أبناؤها انتشار الجراد فى كل صقع ، ولكنهم يكرون عليها بالنوائب القاتلة ، والبلاء المحيق ، فمجد العرب فى مبدئه مجد بطل واحد هو الرسول الأعظم وإذا أنبتته الصحراء القاحلة فأى بنات ذاك الذى سمت به على الحدائق والرياض ! ! ذلك تصوير شعرى وتفكير منطق زاوج بينهما الأستاذ حين قال :

تبسمت الدنيا فناح القوافيا
وعاد صباحا مابدا قبل داجيا
وأسفر نور الدين فى الكون كله
فأضحى به القطر الحجازى زاهيا
قفارا ولكن أنبتت أطيب الورى
وجدب ولكن كان أخصب واديا
وما الجدب إلا فى النفوس رخيصة
وما الخصب إلا فى النفوس غواليا
ورب شعوب مجدها مجد واحد
وأخرى من الآلاف تشكو الدواهيا

هذه نماذج مختارة من قصائد ثلاث ، تصور تعدد الزوايا المختلفة فى نظرة شاعر مؤمن إلى نبيه الكريم وللأستاذ غيرها - فى الموضوع نفسه - كثير وكثير . ومجلة الأزهر فى سنواتها المختلفة حافلة بقصائده الإسلامية وقد ألمحنا ببعضها فى هذا النطاق لنرى كيف يخلق الخيال من النهر الدافق جداول متشعبة متفرعة تختلف مجرى ولونا وسعة ، وتلتقى عذوبة واطرادا وصفاء ، وهى بعد نزهة العين وبرد الصدر وشفاء القلوب .

وإذا كانت عاطفته الدينية قد ظهرت شفافة رائعة فى قصائده المحمدية فقد اتخذت لها إطارا آخر فيما قال الشاعر تمجيدا الأزهر وزيادا عن رسالته ، إذ يراه - كما هو بحق - معقل الدين ومنار الهدى ، وموئل الحنيف ، والأستاذ فى إطراء الجامعة الأزهرية شوارد سوائر ، وفرائد سوامر ، يؤيدها بالتاريخ الناطق ، والدليل الصادق ، فيتساءل عن زعماء الشعب من أبنائه ، وحماة البيان من أدبائه وأعلام الشريعة من فقهائه ، ويرد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على خصومه ردودا مقنعة لا تنحدر إلى المهاترة ولكنها تدعو إلى سبيل الحق بالحكمة الرائعة والموعظة الحسنة ، كأن يقول : ـ

معقل الدين وهو فى ريعانه
ومنار الهدى ومعلى مكانه
نهض الشرق بالرسالة فى الناس
وشب الحنيف فى إيوانه
لم يقم جوهر بناء ولكن
شاد صرح العلوم فى بنيانه
كم تولى بلاد مصر ولاة
فاستمدوا الولاء من سلطانه
زعماء البلاد منه أفاضوا
وحماة البيان من فرسانه
لغة العرب فى ذراه استطالت
فأراها بوارف من جنانه
جنة الأرض حين أقفرت
الأرض ولج الزمان فى عدوانه
قل لمن رام بالكنانة كيدا
فى الكنانى عصمة من طعانه
سائلوا مصر يوم ثار بنوها
كيف كان الجهاد من فتيانه

وهذا دفاع جميل له أمثاله الكثيرة فى قصائد متعددة سمعتها منه قديما دون أن أجد لها مصدرا مطبوعا يرجع إليه الناس ، وللشيخ ـ رحمه الله ـ فى أعلام الأزهر من الراحلين مراث جيدة شفعها بدفاع حار عن رسالته فى نصرة الإسلام ، وحماية اللغة ، وصيانة العلم والأدب ، ولا أزال أذكر من بينها مرثيته الرائعة لصديقه الأستاذ محمود أبى العيون ، فقد جزع الرجل لمصرعه الأليم جزعا توججه اللهفة ، ويضرمه الالتياع ، وقد ملك الزمام فلم يندفع وراء عاطفة إلى النواح والعويل ، بل نظر نظرة موضوعية إلى جهاد الفقيد وكفاحه الدينى والسياسى فقال كلمة التاريخ عنه فى إطار شعرى جميل ، وأشهد لقد وفق فى مرثيته تلك ، فكرة وتصويراً وتعبيراً ، فهو يصور آثاره المتتابعة بالشآبيب الهاطلة ، وصوته المجلجل بالعاصفة المدوية ، وبيانه الرائع بالنمير تارة ، وباللظى تارة ثانية ، ثم يرسم صورة دامية آسفة ليوم نعيه ، وقد صبغ النهار بحالك غريب ، فالليل ممدود الرواق ، وقد أمسكت العنادل لهواتها عن الشدو ، بينما انفجرت الغربان بالنعيب صور رائعة مشجية يضفى عليها الحزن ثوبا من الجلال والروعة والوقار ، وهى بعد عاطفة حية ترى فى الطبيعة انعكاسا صادقا لمرآة النفس الحزينة ، وما يشيع فى جنباتها من وحشة وانقباض ، ودونك بعض ما قال عن أبى العيون :

فى كل ناحية ترى آثاره
كالغيث شؤبوبا على شؤبوب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كم ذا يجلجل صوته فيهزنا
كالعاصفات تهز كل قضيب

وتخال من عجب نمير بيانه
تارا تلظى فى نهى وقلوب

يا يوم نعى أبى العيون تركتنا
ربع النهار بحالك غربيب

فالليل ممدود الرواق مخيم
والصبح آذن ضوؤه بمغيب

وترى العناصل أمسكت لهواتها
شجنا ، وللغربان شر نعيب

أدى رسالة ربه حتى إذا
هتف الحمام أجاب خير مجيب

ويستطيع القارئ أن يلمس روح البحترى فى هذه الدمعة الحارة ، فالوضوح والسلاسة والرقة مع الشجن واللوعة والأسف كل ذلك يذكرنا بمراثى الوليد !! وما زال البحترى صاحب مدرسة خاصة ترسم عواطف النفوس شفافة رقراقة تطالعها العيون دون ستار ، وقد كانت هذه الروح الصافية تسود شعراء الجيل الماضى فتتضح كثيرا فى أشعار صبرى وحافظ والرصافى والهراوى والجارم على تفاوت مختلف ، وها هى ذى تلوح فيما نطالعه من قصائد شفيع !! وأكاد أجزم أن الشاعر مع إعجابه بالمتنبى فى دروسه بالكلية لا يسير معه فى طريق ، وإنما أستاذه البحترى رضى

أم أبى فهو حتى من عينه ... ويسير فيها وتها
وكم للبحترى من أبناء معروفين !.

على أن الإنصاف يدفعنا إلى الحديث عن الشعر الفكاهى الذى ساقه الأستاذ فى بعض أبنائه الأزهريين ، فهو مع تعصبه المفرط لمعهده الجليل ينحو باللائمة والنادرة على من يحيد عن القصد فى رأيه . وعندى قصيدة مرحة — لم تنشر بعد — قالها الشاعر فى طالب أزهرى ظل يرتدى العمامة والكاكولة ردحا من الزمن ، ثم انقلب فجأة لا إلى الطربوش بل إلى القبعة ، فكان مرآه مدعاة عجب كثير ، ولم يفت شفيعا أن يرسم له صورة فكهة تتسم فى أولها بالجد والتوجيه ، ولكنها تنتقل شيئا فشيئا إلى الدعابة الطريفة حتى تثير الضحك ، ومن لا يضحك فينا من صورة ديك نافش لا يصحب عزم دجاجة ضعيفة ، ومن عجاجة ثائرة تنهض خلف الذيول الضافية التى تكنس كل طريق ، وقد أرسلت من غير حاجة !! مع أن الشاعر نفسه يرتدى الجبة الواسعة والقفطان الفضفاض ولكنه يقول:

أصبح الشيخ خواجة
بعد ما بدل تاجه

تاج عز وفخار
أطفأ الحمق سراجه

لم يبال الذوق لما
عرضت للنفس حاجة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آثر الضيق حتى ضيق الله رتاجه
أشعث الرأس حزينا كدر الدهر مزاجه
نافش كنديك لكن ماله عزم الدجاجه
وشيوخ العلم إن ساروا أثاروها عجاجه
ذات ذيال طوال أرسلت من غير حاجه

كنت كل طريق لم تدع حتى فجاجه ! !

فهل يكون هذا التندر الطريف غير إذعان مطيع لروح مطراب يرفرف فى جوانح الشيخ ويميل به إلى الترويح والتفنيس ! ! ولو شئنا أن نسجل طرائف الرجل فى هذا المجال لاحتجنا إلى بحث آخر ، ولكننا نقف عند هذا القدر مترحمين على الراحل العزيز سائلين له أعلى الدرجات فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

محمد رجب البيومى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الرجل والعصفور

فى المثل أن رجلا نصب للعصافير فخا ، فارتبن به وبالفخ . وضربه للبرد . فكلما مشى إلى الفخ وقد انضم على عصفور قبض عليه ودق جناحه وألقاه فى وعائه دمعت عينه مما كان يصك وجهه من برد الشمال . فتشاورت العصافير فى أمره ، وقلن : لا بأس عليكن ، فإنه رجل صالح رحيم رقيق الدمعة ، فقال عصفور منها :

« لا تنظروا إلى دموع عينيه ، ولكن انظروا إلى عمل يديه » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صفحات مشرقة من تاريخ القضاء في الإسلام

للدكتور جمال الدين الرمادي

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولى أمور القضاء بنفسه في صدر الإسلام، وكذلك كان شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أول الخلفاء الراشدين، فلما ولي عمر بن الخطاب الخلافة كانت رقعة الأمة الإسلامية قد امتدت واتسعت، وكانت أمور المسلمين قد تعددت وتعقدت وبلغ نفوذهم الشام والعراق ومصر وغيرها من الأقطار والأمصار مما دعا الخليفة عمر بن الخطاب إلى التفكير في أمر القضاء بين الناس، وقد ساعده على هذا التفكير أن الخليفة كان قائد الجيوش، والمشرف على الأعمال الحربية، وشتى الغزوات والشئون الإدارية للجيش والحكومة.

ولذلك عول عمر بن الخطاب على فصل الولاية العامة عن القضاء، وخرجت فكرة الخليفة من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ، ومضى يعين من ينوب عنه في القضاء والفصل في المنازعات والخاصمات بين الرعية فولى أبا الدرداء على المدينة وولى شريحا على الكوفة وولى أبا موسى الأشعري على البصرة.

وكان عمر بن الخطاب يحاول بهذا النظام توزيع الأعمال الكبرى في ولايته.

رسالة عمر بن الخطاب إلى الأشعري:

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رسالة قيمة توضح كيفية التقاضي في الإسلام، وتعتبر من أروع النماذج الرفيعة في قوانين المحاكمة والقضاء، ففيها يقول عمر «سو بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك».

وهو يشير في هذه الفقرة إلى وجوب التسوية بين الخصمين في كل شيء، ومما يروى في هذا الصدد أنه كان بين أبي بن كعب وعمر ابن الخطاب منازعة وخصومة في حائط فقال بيني وبينك زيد بن ثابت. فأتياه فضربا عليه الباب فخرج فقال: يا أمير المؤمنين ألا أرسلت إلي حتى آتيك..؟ فقال عمر في بيته بؤتى الحكم، فأخرج زيد وسادة فألقاها عمر وقال: هذا أول جورك، وأبى أن يجلس عليها.

وهكذا أبى عمر بن الخطاب أن يجلس على وسادة وهو أحد الخصمين حتى لا يظن ظان أن القاضي يؤثر أحد الخصمين على الآخر بل يجب أن يسوي بينهما. فلا يرفع عظيما، ولا يضع حقيرا.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وطلب عمر فى هذه الرسالة أن يصغى القاضى إلى مقال الخصمين ، وفى ذلك يقول فافهم إذا أدلى إليك الرجل بالحجة ، فامض إذا فهمت ، وامض إذا قضيت ، فإنه لا ينتفع منكم بحق لا نفاذ له .

بعض ما تضمنته الرسالة العمرية :

طالبت الرسالة العمرية بإحضار البينة حتى يستطيع القاضى أن يحكم بمقتضاها حسب قواعد الشريعة الإسلامية السمحاء . كما أشارت إلى الشهود حين ذكرت « المسلمون عدول إلا مجلوداً فى حد أو مجربا عليه شهادة الزور أو ظنينا فى ولاء » .

ونصحت بكظم المشاعر والعواطف وعدم الضيق والضجر كما وضحت موارد الشريعة الإسلامية الغراء .

وصفوة القول أنها أرست قواعد القضاء فى الإسلام لما تضمنته من نصائح غالية للقضاة توجههم إلى سواء السبيل ، وتحول بينهم وبين اقتراف المنكر او الجنوح نحو الباطل والانحراف عن العدالة .

ولذلك اختار الخلفاء المسلمون القضاة أحسن اختيار ، واتقوا فى ذلك الله ما استطاعوا . ولم يعينوا فى هذا المنصب إلا كل من وثقوا فى أخلاقه وسيرته ، بل إنهم كانوا يمتحنون القضاة قبل أن يسندوا إليهم هذه الوظيفة ، واشتهر من القضاة المسلمين القاضى « شريح » الذى ظل فى منصبه نحو ستين عاما ، وطار صيته فى الآفاق .

واشتهر من قضاة الدولة الأموية عامر الشعبى إذ سأل عبد الملك بن مروان عن رجل يوليه القضاء فقال له روح ابن زنباع : « أدلك على رجل إن دعوتموه أجابكم ، وإن تركتموه لم يأتكم ، ليس بالملحف طلبا ، ولا بالمعز معروفا ، عامر الشعبى » .

فولاه قضاء البصرة . وفى ذلك يقول ابن عيينه « ابن عباس فى زمانه والشعبى فى زمانه ، والثورى فى زمانه » . وذلك لحفظه ومكانته فى الفقه ، وثقة فى الحديث ، ورياسة فى العلم كالشمس فى الآفاق .

القضاء فى الدولة العباسية :

واعتمدت الدولة العباسية على طائفة ممتازة من القضاة نذكر منهم يحيى بن سعيد الأنصارى ، قاضى أبى العباس السفاح ، وشريك قاضى أبى جعفر المنصور ، وابن أبى دؤاد قاضى المعتصم والواثق .

كما نذكر منهم كذلك يحيى بن أكثم قاضى المتوكل ، والقاضى إسماعيل المالكى . وكان يقال له : مالك الأصغر . وفيه قال المعتضد لوزيره ابن وهب :

واستوصى بالشيخين الفاضلين اسماعيل بن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اسحق القاضي - وموسى بن اسحق الخطمي خيرا، فإنهما ممن إذا أراد أحد بأهل الأرض سوءا دفع عنهم بدعائهما.

واشتهر في المغرب والأندلس من القضاة أسد بن الفرات والباجي وابن العربي وابن رشد وعياض والمقري ومنذر بن سعيد وغيرهم من الثقاة.

مقر امتحانات للقضاة :

وكان قاضي قضاة المتوكل يحيى بن أكثم يتولى امتحان من يترشح للقضاء بنفسه حتى لا يتعين في منصب للقاضي إلا من أثبتت التجارب وأثبت ماضيه أنه جدير به. وجاء في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة أن يحيى ابن أكثم كان يمتحن من يريدهم للقضاء فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه، فولد لكل واحد من امرأته ولد، ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه.

وليس هذا الامتحان شططا من العمل أو بدعة جديدة أتى بها المسلمون المتأخرون إذ يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم امتحن معاذا لما أراد بعثه لقضاء اليمن فقال له : بم تحكم ؟ فقال : بكتاب الله والحديث الخ...

ولما أراد ابن هبيرة تولية إياس أرسل سحنون فسأله بقوله : أتقرأ القرآن ؟ قال نعم، قال : أتفرض الفرائض ؟ قال : نعم. قال : أتعرف من أيام العرب شيئا ؟ قال نعم؟ قال أتعرف من أيام العجم شيئا قال : أنا بها أعرف فولاه القضاء.

وجاء في كتاب فتح الطيب لأبي العباس المقري : « كانوا في عاصمة الخلافة في الأندلس لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره، وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في أغلب الأحوال ».

وهكذا كان الامتحان عنصرا من عناصر التعيين في مناصب القضاة كما كان التعيين بالمعرفة السابقة أي بطول الخبرة دون تحيز أو محاباة، أو بشهادة الثقة أي أن يشهد له جماعة من الثقاة بطول الباع في فهم كتاب الله والسنة وغير ذلك من أمور الشرع الشريف.

شريح القاضي يحكم على الوالي :

وقد كان القضاة المسلمون يحكمون بالعدل والقسطاس المستقيم دون أن يخافوا لومة لائم بل إنهم كانوا لا يترددون في الحكم على الخليفة نفسه إن لم يستطع إحضار البينة. ومثال ذلك أن علي ابن ابي طالب تقاضاه شريح في درع له لقي نصرانيا يبيعها فقال له علي : هذا درعي، بيني وبينك قاضي المسلمين، ولما حضرا مجلس القضاء قال علي : اقض بيني وبينه يا شريح فقال : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ فقال علي : هذه درعي ذهبت مني

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منذ زمان فقال شريح : ما أرى أن تخرج من يده ، فهل لك بنيه ؟ فقال على : صدق شريح . فقال النصرانى : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، أمير المؤمنين يختار قاضيه ، وقاضيه يقضى عليه ، هى والله يا أمير المؤمنين درعك اتبعتك مع الجيش ، وقد زالت من جملك الأورق فأخذتها ، فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال على : أما إذا أسلمت فهى لك ، وحمله على فرس عتيق .

عزل القضاء فى الأندلس :

وحدث ما يشبه ذلك فى الأندلس على يد القاضى منذر بن سعيد البلوطى الذى تولى منصب القضاء فى خلافة الناصر الأموى وذلك أنه احتاج إلى شراء دار من قرطبة لحظية من نسائه ، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا اخى نجدة وكانت بقرب القناطر فى الربض الشرقى منفصلة عن دوره ، ويتصل بها حمام له غلة واسعة ، وكان أولاد زكريا أخى نجدة أيتاما فى حجر القاضى فأرسل الخليفة من يقومها . وأرسل ناسا أمرهم بمداخلة وصى الأيتام فى بيعها عليهم . فذكر أنه لا يجوز بيع هذه الدار إلا بأمر القاضى منذر ، فقال لرسوله : البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجوه منها الحاجة ومنها الوهى الشديد ومنها الغبطة ، فأما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الأيتام إلى البيع ، أما الوهى فليس فيها ، وأما الغبطة فهذا مكانها فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين الغبطة أمرت بوصيهم بالبيع ، وإلا فلا ، فمثل جوابه إلى الخليفة فأظهر الزهد فى شراء الدار طمعا فى أن يتوخى رغبته فيها .

وخاف القاضى أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأيتام سورتها فأمر وصى الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ، ففعل وباع الأنقاض فكانت لها قيمة أكثر مما قومت به للسلطان .

فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها وأمر بتوقيف الوصى على ما أحدثه فيها ، فأحال الوصى على القاضى أنه أمره بذلك فأرسل عند ذلك للقاضى منذر وقال : أنت أمرت بنقض دار أخى نجدة ؟ فقال له : نعم : فقال وما دعاك إلى ذلك ؟ قال : أخذت فيها بقول الله تعالى : « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها . وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » فقومك لم يقوموها إلا بكذا ، وبذلك تعلق وهمك ، فقد بعنا أنقاضها بأكثر من ذلك . وبقيت القاعة والحمام ، ونظر الله تعالى للأيتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك وقال : نحن أولى منك فى إنفاذ الحق .

والشاهد فى هذه القصة أن القاضى منذر ابن سعيد البلوطى لم يتأثر بكلام الخليفة ، بل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تصرف فى حدود الشرع الشريف دون خوف ولا وجل ورائده فى ذلك كتاب الله العزيز وسنته الكريمة ووجه الحق لا يرضى بغيره بديلا .

اختصاصات القاضى :

وقد استقر الرأى فى الشريعة الإسلامية على أن تولية القاضى إن كانت عامة شمل نظره فصل المنازعات والخصومات واستيفاء الحقوق وإيصالها إلى مستحقيها ، بعد الثبوت ، واختيار الأوصياء على من لا يجوز تصرفه من المجانين والصغار والسفهاء ، والمفلسين ، والنظر فى الأوقاف ، وتنفيذ الوصايات ، وتزويج الأيامى ، وإقامة الحدود ، والنظر فى المصالح العامة من منع الضرر فى الطرقات والأفنية وإحداث ما يضر بالمارة من البناء وغيره ، وتصفح الشهود والنواب عنه .

وقال ابن سهل فى مقدمة كتاب التبصرة : إن خطة القضاء أعظم الخطط قدرا وإليها المرجع فى الجليل والحقير بلا تحديد ، وإن على القاضى مدار الأحكام ، وإليه النظر فى جميع وجوه القضاء من القليل والكثير بلا تحديد وقال : ويختص القاضى بوجوه لا يشاركه فيها غيره من الحكام ، ومن ذلك النظر فى الوصايا والأحباس والترشيد والتحجير والتسفيه ، والقسم والمواريث والنظر للأيتام ، والنظر فى مال الغياب ، والنظر فى الأنساب ، وزادوا الجراحات والديات والتسجيل والإثبات .

وقال ابن الأمين القرطبى : « وللقاضى النظر فى جميع الأشياء إلا فى قضية الخراج واختلف هل له قبض أموال الصدقات وصرفها فى مستحقها إذا لم يحضر الناظر فقيل ذلك له وقيل لا .

المحتسب :

وأسندت إلى المحتسب بعد ذلك أمور النظر فى مصالح الأبنية من ضررها والمضايقة فى الطرقات ، كما أسندت إليه ثلاثة أنواع من الدعوى أحدها فيما يتعلق ببخس فى ثمن أو مثمن أو تطفيف ونقص فى كيل أو وزن ، وثانيها فيما يتعلق بفسق أو تدليس فى ثمن أو مثمن ، وثالثها فيما يتعلق بمطل غنى فى دين ثابت دون مناكرة ، ومن ذلك النفقات المقدرة من المجلس الشرعى على الزوجات والأقارب التى يماطل أصحابها .

كما يتفقد المحتسب مجارى المياه العامة فى المدينة فإن احتاجت إلى إصلاح أصلحها إن أمكن وإلا نبه ذوى السلطة إلى الإصلاح ، كما يأمر بتنقية الشوارع وتنظيفها ، كطرح الأزبال والقاذورات وإراقة المياه التى تنشأ عنها الأوحال ، وربط الدواب ونحوها والمرور

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بأحوال الحطب الكبيرة التى من شانها إيذاء المارة وإطلاق الكلاب الضارة المؤذية ، وإلزام أصحاب البناء المتداعى بهدمه أو إصلاحه . كما أسندت إليه أمور النظر فى الأسواق كترتيب مقاعد الباعة حتى لا تقع مضايقة أو شجار ، واختيار الغرماء والأمناء فيها ، واختيار القائمين على الوزن والكيل واختيار السماسرة والدلالين وفحص المبيعات التى يدخلها الغش كالسمن والزيت واللبن والدقيق ، ومراقبة بيع الفاكهة واللحوم حتى لا يختلط الجيد بالردىء منها ، ومنع الباعة من احتكار أو خزن ما يحتاج إليه الناس من طعام ونحو ذلك .

والمحتسب كذلك النظر فى الحمامات والمساجد والمعاهد العلمية والوقوف فى مواطن الريب ، وارتداء الملابس الخارجة ونحو ذلك .

أما ما خرج عن هذه الأمور من سائر الدعاوى فى العقود والمعاملات ، والحقوق والمطالبات التى تتوقف على الشهود والبينات فلا دخل للمحتسب فى الحكم فيها ولو كانت الدعوى فى شىء يسير

نائب المحكمة :

وكان الخلفاء المسلمون يدققون فى اختيار كاتب المحكمة ويروى ابن عبد ربه فى كتاب العقد الفريد ، أنه يشترط فيه أن يكون عالماً بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث .

ولذلك امتلأت وأمرا الخلفاء العباسيين وغيرهم بالتوصية فى اختيار الكاتب الذى يكتب المحاضر ويحرر السجلات ، ويوقع إعلانات الحضور .

الحاجب :

أما الحاجب فهو صاحب الباب الذى يقدم إلى القاضى أرباب الدعاوى والحاجات ويستأذن فى دخولهم إليه ، وفى ذلك يقول الحافظ بن حجر فى الفتح : وظيفة البواب أو الحاجب أن يطالع الحاكم بحال من حضر ولا سيما من الأعيان لاحتمال أن يجىء مخاصماً ، والحاكم يظن أنه جاء زائرا فيعطيه حقه من الإكرام الذى لا يجوز لمن يجىء مخاصماً ، وإيصال الخبر للحاكم بذلك أما بالمشافهة وإما بالمكاتبة .

أعوان القاضى :

وكان للقاضى أعوان وخدمة للعدالة . والأعوان هم بمنزلة الشرطة للوالى وهم حرسه وجنده الذين يستعين بهم على جلب العصاة وزجر الطغاة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما الخدمة فهم خدام العدالة ويروى ابن ميارة أنهم من لهم معرفة ببعض مبادىء الخصام وفصول الكلام وهم الذين يتكلمون فى المسائل المهمة ويسمون الوكلاء .

رواتب القضاة :

وكان للقضاة يمنحون رواتب سخية حتى يتفرغوا للأحكام بعد أن يطمئنوا على معاشهم ورزقهم وقال الكرابيسى من الشافعية : « لا بأس للقاضى ان يأخذ الرزق على القضاء عند أهل العلم قاطبة لا أعلم بينهم اختلافا . وقد كره ذلك قوم منهم مسروق ولا أعلم أحدا حرمه »

وقد اتسعت أرزاق القضاة لما ولى عمر ابن الخطاب وامتدت رقعة الأمة الإسلامية وفى طبقات ابن سعد أن عمر رزق عياض ابن غنم حين ولاه حمص كل يوم دينارا وشاة واحدة .

وكان راتب القاضى فى مصر ألف دينار . ففى حسن المحاضرة ، ثم ولى عبد الرحمن الخولانى وجمع له القضاء والقصص وبيت المال فكان يأخذ رزقه فى السنة ألف دينار ، وفى الدولة العباسية كان راتب القاضى فى المدينة المنورة أربعة آلاف دينار ، وجاء فى كتاب القضاة للنباهى : « وعرض أمير المؤمنين الرشيد على المغيرة ابن عبد الرحمن المخزومى قضاء المدينة وجائزته أربعة آلاف دينار ، فامتنع ، فأبى الرشيد إلا أن يلزمه فقال : والله يا أمير المؤمنين لأن يختقنى الشيطان أحب إلى من القضاء ، فقال الرشيد : ما بعد هذا شىء . واعفاه وأجازه بألفى دينار .

القاضى والإمام العادل :

والشاهد فى هذه القصة أن القضاة كانوا يمنحون رواتب سخية فى شتى العصور الإسلامية لما كان لمنصب القاضى من حرمة ومكانة بل كان بعض المسلمين يتخوفون منه خشية أن يجوروا فى أحكامهم . وهذا مما يزيد المنصب رفعة وعلوا .

وجاء فى حديث عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل أتاه الحكمة فهو يقضى بها . وجاء فى حديث عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال : هل تدرون من السابقون إلى ظل الله تعالى يوم القيامة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : الذين إذا أعطوا الحق قبلوه ، وإذا سئلوه بذلوه ، وإذا حكموا للمسلمين حكموا كحكمهم لأنفسهم .

وفى الحديث الصحيح سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه وبدأ بالإمام العادل »

جمال الدين الرمادى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الرسول ... الإنسان

للأستاذ فتحي عثمان

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »

على قدر (واقعية الرسالة) .... يكون نصيبها من النجاح .

وعلى قدر (إنسانية الرسول) .... يكون إدراك الناس لطبيعة الرسالة الواقعية .

فالناس يعرفون الرسالة من خلال (شخصية) صاحبها ....

وقد تبهر الناس (الشخصية الملائكية) القدسية إلى حين ، ولكنهم لا يستريحون لصحبتها دواما في كل حين .

وقد تبهر الناس (الشخصية الساحقة الطاغية) . ولكن مثل هذه الشخصية إن صلحت للزعامة الموقوتة ، لا تصلح للهداية الموصولة والرسالة الخالدة .

ومن هنا كانت شخصية محمد (الرسول الإنسان) ، خير دعوة ودعاية لرسالته ... فيها البساطة الآسرة ، والإنسانية الغامرة ، والجاذبية الساحرة !

فيها يعرض الرسول الإنسان نفسه .... على كل إنسان !

فيها يكون المثل الأعلى قريبا ... قريبا .. إلى العقول والقلوب !

* * *

كان اختيار البيئة العربية لرسالة الإسلام في ذلك الوقت . أول إشارة لطبيعة هذه الرسالة .... فالعرب كانوا خير النماذج (للإنسانية) في عصرهم .

* كانوا بسطاء .... ولكنهم ليسوا بالسذج التافهين . ففي أدبهم وشعرهم دليل الحكمة والحصافة ، والشعور والوعي ، والذوق والرقة .

* كانوا يحيون حياة الحرية والمساواة .... يحيونها ولا يفلسفونها ، ولذا لم يحتج الإسلام إلى تقرير هذين الأصلين تقريرا مباشرا كثيرا ، إذ هما شيء قائم وأمر واقع في (حياة) العرب ... في مشاعرهم ووجدانهم ، في عاداتهم وتقاليدهم ... بديهية مقررة في كيانهم ذاته ، لم يعرفوا (الحق الإلهي المقدس) لحكم ، ولا (الدم الأرستقراطي الرفيع) لأسرة !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

* كانوا يجيون حياة التكافل، والتعاون، وكانت فوارق الثروات فوارق مادية لا إنسانية .. كان هناك حقا أغنياء ومترفون، ولكنهم لم يكونوا متسلطين أو متألهين ! ! كان العربي الفقير يخاطب أغنى الأغنياء في بساطة وقوة ...

ولنترك وضع (الرقيق) جانبا ، فقد كان وضعا اجتماعيا عالميا ، وكان عند العرب أهون منه في كثير من المجتمعات .

ومن هذا (الرصيد الإنساني) الكبير ، جاء (الرسول الإنسان) :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم
عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم
بالمؤمنين رءوف رحيم »

* * *

ولم تأت رسالة محمد من السماء إلى هذه البيئة الإنسانية . لتروع برهبة الغيب ، أمن منه الواقع القائم ...

* فمحمد لا تربطه بالسماء أسباب غير الوحي ...

« قل إنما أنا بشر مثلكم ... يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

« قل إن أدري أقريب ما توعدون ، أم يجعل له ربي أمدا . عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بما لديهم ، وأحصى كل شيء عددا » .

« قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ـ إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، إن إنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

* ومحمد ليس رسولا من الملائكة ، وإنما هو الرسول الإنسان ...

« وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

* وشاهد الرسول على رسالته هو المنطق والبيان ..

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى في السماء ـ ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ! ! وما منع الناس أن يؤمنوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبعث الله بشرا رسولا ؟؟ قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا . قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا » .

« والوحى الذى ينزل على الرسول يقرئه القرآن ، فالسماء لا تنزل رسالتها ألواحا وقراطيس ، ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم ، لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » ! ! .

لقد استنفدت المعجزات الحسية الصارخة أغراضها . وأضحت غير ذات موضوع ...

« وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفا » .

وجاء الإسلام يكرم العقل الإنسانى ويخاطبه بالبرهان ، ويصرفه عن التماس الدليل فى غير الكون الفسيح وبغير المنهج الرشيد ...

« وقالوا : لولا نزل عليه آية من ربه ، قل إن الله قادر على أن ينزل آية ، ولكن أكثرهم لا يعلمون . وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون » .

« والوحى الإلهى الذى ينزل على الرسول يسد كل ذريعة للتعالى والتحكم باسم الله او شريعته ...

« إنما أنت منذر ولكل قوم هاد »

« إن عليك إلا البلاغ »

« لست عليهم بمسيطر »

« قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ، وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم ، أنلزمكموها - وأنتم لها كارهون ؟ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ، إن أجرى إلا على الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا ، إنهم ملاقو ربهم ، ولكنى أراكم قوما تجهلون . ويا قوم من ينصرنى من الله إن طردتهم ، أفلا تذكرون . ولا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إنى ملك ، ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ، الله أعلم بما فى أنفسهم إنى إذن لمن الظالمين » .

ولقد كان رسول الإسلام بعيدا عن الثروة أو السطوة . فلم يكن نبيا ملكا كداود أو سليمان ، بل كان يجوع ويشبع ، ويصبر على الضعف حتى يقوى .

« قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله ، لكل أمة أجل ، إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

« قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إنى ملك ، إن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أتبع إلا ما يوحى إلى ، قل هل يستوى الأعمى والبصير ـ أفلا تتفكرون ؟ ؟ » .

« وقالوا : مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ! أو يلقى إليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ! انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا . . ، وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ـ أتصبرون ؟ وكان ربك بصيرا » .

* * *

ورسول الإسلام ، إنسان فى مشاعره وأحاسيسه .

« قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين . وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء ـ فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فلا تكونن من الجاهلين » .

« فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك ، وضائق به صدرك ـ أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك . إنما أنت نذير والله على كل شئ وكيل » .

« وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره ـ وإذن لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا . إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيرا » .

« فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

« وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » .

« عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى ؟ أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى . كلا إنها تذكرة » .

نحن نحس إننا أمام الرسول الإنسان ، الذى تتبادله مشاعر الخوف والرجاء ، والإشفاق والثبات ... إنه لا يدعو بعجرفة الدعى المتعاظم ، أو الفارغ الأحمق .

« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة الذين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، وإن الظالمين لفى شقاق بعيد . وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ، وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم » .

« حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ، فنجى من نشاء ، ولا يردّ بأسنا عن القوم المجرمين » .

* * *

ولقد كان رسول الإسلام يحيا حياة الإنسان : يصوم ويفطر ، ويقوم وينام ، ويتزوج النساء ، ويعلن أن هذه شريعته وسنته « فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

ورسول الله ، الأتقى والأعلم بالله ، والأزهد فى الدنيا ، الأحرص على الآخرة ، نسمع منه هذا اللحن الإنسانى الرائع : حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة !

ورسول الله ، إنسان فى مشاعره تجاه الزوجة والولد ... حتى ليهمّ أن يحرّم على نفسه ما أحل الله له يبتغى مرضاة أزواجه !.. وحتى يصرح أن ابنته فاطمة قطعة منه — يريبه ما رابها ! ... وحتى يطيل السجود ، لأن ابنه ارتقى ظهره وهو ساجد ، فكره أن « يعجله » إلى الهبوط قبل أن يقضى رغبته فى الصعود ! ! .

فإذا ماقسى الرسول الإنسان يوما على نفسه ، فهو يعنى أمته من المتابعة والاقتداء ... إنه يواصل الصيام وينهى المسلمين عن الوصال ويقول « لست كهيئتكم ، إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » .

وشريعته يقوم التكليف فيها على الطاقة والوسع « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » ، والرسول الإنسان يقول « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . ومن هنا جاءت الشريعة بالإباحة فى حالة الضرورة : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم — إلا ما اضطررتم إليه » ، والرسول الإنسان يقول « رفع عن أمتى الخطأ ، والنسيان ، وما استكرهوا عليه » .

ذلكم هو الرسول الإنسان ، الذى تحتاجه الإنسانية فى كل زمان ...

بلا تهاويل ولا طلاسم ...

بلا تأسيس على الخوارق ...

بلا طغيان ولا تفزيع ...

« فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر . فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين » .

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » .

فتحى عثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مراكز اللغة العربية في الهند

للأستاذ محمد اسماعيل الندوى

ظلت الهند حصنا من حصون اللغة العربية طوال تاريخها الإسلامى المجيد . فقد فتح العرب السند سنة ٩١ هـ ، ومنذ ذلك الوقت بدأ تفاعل الثقافتين العربية والهندية . وظهر من الهنود أدباء وشعراء باللغة العربية أمثال أبى عطاء السندى ، شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، وابن الأعرابى لغوى شهير ، وأبى معشر نجيح السندى ، محدث شهير صاحب كتاب المغازى .

ولما انفصلت الهند عن الدولة العباسية بعد ما استشرى الضعف والانحلال فى جسد الخلافة العباسية ، تكون للهند كيان مستقل ، وظلت تحت حكم الأتراك والمغول من المسلمين إلى القرن الثامن عشر الميلادى . وفى غضون هذه المدة استخدمت اللغة العربية لغة دينية وعلمية ، وألفت بها جميع الكتب فى الدين والعلم . وظهر من الهنود أدباء وشعراء ومصنفون وقد ألف الإمام حسن بن محمد الصغانى من رجال القرن السابع الهجرى ، « العباب الزاخر » الذى عد من مراجع اللغة العربية . وألف الشيخ محمد أعلى التهانوى من رجال القرن الثانى عشر ، كشاف اصطلاحات الفنون ، وهو معجم للمصطلحات العلمية يغنى عن مراجعة آلاف من الصفحات . وألف السيد مرتضى البلكرامى المشهور بالزبيدى الذى دفن فى مصر سنة (١٢٠٥ هـ) كتاب « تاج العروس » ، وهو أشهر من أن يعرف . وألف الشيخ محمد بن طاهر الفتنى سنة (٩٦٦ م) كتاب « مجمع بحار الأنوار فى التنزيل ولطائف الأخبار » جمع فيه غريب الحديث وما ألف فيه ، فجاء كالشرح للصحاح الستة .

وفى الشريعة الإسلامية أضاف العلماء الهنود إلى المكتبة العربية ثروة كبيرة ، مثل كتاب « كنز العمال » للشيخ على بن حسام الدين المتقى من رجال القرن العاشر . وهو ترتيب « جمع الجوامع » للسيوطى . وكتاب حجة الله البالغة للإمام ولى الله الدهلوى سنة (١١٧٩ م) فى أسرار أحكام الشريعة الإسلامية وفلسفة التشريع وهو كتاب مبتكر فى موضوعه لا يوجد له نظير فى المكتبة العربية على سعتها .

المركز الأول : المدارس العربية

هذه صورة اللغة العربية إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى . وبعد هذه الفترة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من الزمان حدثت حوادث هائلة فى الهند ، ومن أهمها احتلال الانجليز والثورة الكبرى ضدهم تلك التى قام بها العلماء المسلمون سنة ١٨٥٧ م . وقد ابتلى المسلمون بالانجليز فأوقفوا نشاطهم الدينى ، وأعدموا العلماء والزعماء ، ونفوا كثيراً من رجال الدين إلى البحر الأسود . وكانت هذه أكبر نكبة على كيان الأمة الإسلامية ومستقبلها فى الهند ، وعلى تراثها الدينى المجيد .

ونشأت هناك بعد ذلك نزعات عديدة لدى المسلمين للحفاظ على كيان الدين والتراث الإسلامى الذى توارثوه عن أجدادهم طوال هذه القرون ، وللذود عن الإسلام ضد الحملات المسيحية التى تمثلت فى الحركتين التبشيرية والاستشراقية .

وقد أنشأ صفوة من العلماء وعلى رأسهم العالم الجليل الشيخ محمد قاسم النانتوى معهدا عربيا كبيرا وهو مدرسة « دار العلوم » بمدينة « ديوبند » سنة ١٢٨٣ هـ . وكان من أهداف هذه المدرسة المحافظة على التراث العربى الدينى ودراسة اللغة العربية والشريعة الإسلامية ، وتخريج مجموعة من رجال الفكر والدين والزعماء المسلمين ليقودوا الأمة الإسلامية فى الهند .

ولم تكن هذه المدرسة حديثة ولا فريدة فى نوعها ورسالتها فى الهند . بل سبقتها مراحل شتى فى هذا المضمار . وظلت هذه المدارس العربية أكبر مركز للغة العربية وثقافة الإسلام طوال العصور الإسلامية . وقد مرت هذه المدارس بخمس مراحل فى تاريخها المجيد .

١ — القرون الثلاثة من السابع إلى العاشر الهجرى (١٣ — ١٦ م) .

٢ — من العاشر إلى الحادى عشر الهجرى (١٦ — ١٧ م) .

٣ — من الحادى عشر إلى الثانى عشر الهجرى (١٧ — ١٨ م) .

٤ — من الثانى عشر إلى الثالث عشر الهجرى (١٨ — ١٩ م) .

٥ — من الرابع عشر إلى يومنا هذا (١٩ — ٢٠ م) .

وكانت مدرسة ديوبند على منوال مدرسة نظام الدين فى المناهج ونظام التدريس . ولا يزال منهجها يسمى بالمنهج النظامى . وأما مدرسة نظام الدين فكانت تسمى بالمدرسة النظامية . نسبة للشيخ ملا نظام الدين (ولد سنة ١٦٧٩ م وتوفى سنة ١٧٤٨ م وكانت له فى الهند شهرة لاتضارع) . ولم تكن مدرسة بالاصطلاح الحديث الذى تنقسم فيه المدرسة إلى مرحلتين ثانوية وابتدائية ، بل كان لها نظامها المأخوذ عن المدرسة النظامية التى كانت فى بغداد . وإذا أردنا أن نحدد هذا النظام فى ضوء النظم الدراسية المعاصرة ، فإننا نستطيع القول بأنها كانت ولا تزال تجمع بين المرحلتين التحضيرية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والجامعية فى آن واحد . وكان الشيخ ملا نظام الدين قد وضع منهجا جديدا لمدرسته . يشتمل على اللغة العربية أدبا ونحوا وصرفا وبلاغة ، والحديث والتفسير والفقه والأصول ، والمنطق والفلسفة . ولم يكن هناك نظام المحاضرات الذى اشتهرت به العصور الإسلامية واشتهر فيه أبو على القالى ، صاحب الأمالى ، والمبرد ، صاحب الكامل ، والمحدثون والفقهاء . بل كانت تدرس الكتب المشهورة فى المواد الأساسية التى ذكرناها . وهذا المنهج فى اختصار هو كما يلى :

(١) فى الصرف — « الميزان » و « المنشعب » ، الصرف للمبرد و « الشافية » .

(٢) فى النحو — « النحو المبرد » و « الكافية » ، وشرح الجامى .

(٣) فى المنطق — « إيساغوجى » ، و « الصغرى » و « الكبرى » و « التهذيب » . و « القطب » .

(٤) فى الفلسفة — « الميبذى » ، و « صدرا » . و « سمس البازغة » .

(٥) فى الرياضيات — « خلاصة الحساب » و « الإقليدس » .

(٦) فى البلاغة — « المختصر المعانى » و « المطول » .

(٧) فى الفقه — « شرح الوقاية » و « الهداية » .

(٨) فى الأصول — « نور الأنوار » و « التلويح » ، و « مسلم الثبوت » .

(٩) فى الكلام — « العقائد النسفية » و « شرح العقائد للجلال » ، والمير الزاهد و « شرح المواقف » .

(١٠) فى التفسير — « تفسير الجلالين » و « تفسير البيضاوى » .

(١١) فى الحديث — مشكاة المصابيح .

ومن أهم ميزات هذا المنهج أن نظام الدين لم يركز جهوده كلها على الحفظ الأصم لهذه الكتب المقررة ونصوصها بل كان يهدف إلى أن يحصل الطالب على ملكة تفتح بواسطتها بصيرته على آفاق من العلوم المختلفة ، ويتمكن من البحث والتنقيب بغير أن يقتصر على الكتب المقررة .

وكان هذا النوع من المناهج مفيدا جدا لأهل القرن السادس والسابع عشر الميلاديين .

ولكن مدرسة ديوبند التى أنشئت فى بداية القرن العشرين لأهداف سامية — وهى إنشاء طائفة من العلماء الذين يحافظون على التراث العربى الإسلامى القديم ويقودون الأمة الإسلامية ويردون الحملات المسيحية — كانت الغاية من إنشائها تتطلب إعادة النظر فى هذا المنهج ونظم التدريس . ولكن هؤلاء العلماء لم يبالوا بهذه الحقيقة .

وقد ازدهرت مدرسة ديوبند بمرور الأيام وبدأت تسمى بالأزهر الآسيوى لكثرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

طلابها وأساتذتها وشهرتها فى الشرق الإسلامى ثم أنشئت مئات من المدارس العربية على منوال مدرسة ديوبند فى شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها . ومن هذه المدارس التى تعتبر كمدارس ثانوية أو كليات لجامعة ديوبند فى أنحاء الهند المدارس الآتى ذكرها بعد :

اسم المدارس	المدينة	الولاية	زمن إنشائها
مدرسة مظاهر العلوم	سهارنبور	يوبى	سنة ١٨٦٦م أنشأها الشيخ سعادت على
المدرسة الأمينية	نيودلهى	دلهى	سنة ١٣٠٥ هـ أنشأها الشيخ أمين الدين .
مدرسة الإصلاح	سراى مير	يوبى	سنة ١٣٢٧ هـ أنشأها الشيخ أصغر حسين .
جامعة مفتاح العلوم	مئو	يوبى	سنة ١٢٩٦ هـ الشيخ إمام الدين البنجابى
جامعة مظهر العلوم	بنارس	يوبى	بعد سنة ١٩٠٠ .
مدرسة الشاهى	مراد آباد	يوبى	سنة ١٩٠٠ م .
الجامعة الحسينية	راندير	بومباى	سنة ١٩١٧ م أنشأها الشيخ محمد اسماعيل .
المدرسة الأشرفية العربية	كجرات	بومباى	الشيخ أحمد على السهارنبورى .
الباقيات الصالحات	ويلور	مدراس	أنشأها الشيخ شاه عبد الوهاب بعد سنة ١٨٥٧م .
جامعة دار السلام	عمر آباد	«	أنشأها الشيخ محمد عمر سنة ١٩٢٤ م .
المدرسة الجمالية	مدراس	«	أنشأها الحاج جمال الدين راوتر .
الجامعة اللطيفية	ويلور	«	قبل سنة ١٨٥٧ م أنشأها الشيخ عبد اللطيف .
مدرسة معدن العلوم	وانمباوى	«	بعد سنة ١٩٠٠ م .
مدرسة إشاعة الحسنات	بيارم بيت	«	بعد سنة ١٩٠٠ .
مدرسة منبع الأنوار	لال بيت	«	قبل سنة ١٨٥٧ م .
دار العلوم بهوپال	بهوپال	مدهيابهارت	سنة ١٩٠٠ م .
الجامعة المحمدية	داى درج	آندهرا	بعد سنة ١٩٠٠ م .
المدرسة الإسلامية	كرنول	آندهرا	أنشأها الشيخ سلطان أحمد سنة ١٨٩٦م .
المدرسة الإسلامية	غاريبور	«	بعد سنة ١٩٠٠ م
كلية حشمة رحمت	«	«	«
دار العلوم سلفية	لهراى سراى	«	«
المدرسة النظامية	حيدر آباد	«	«
جامعة مدينة العلوم	بلكل	كيرالا	«

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اسم المدارس	المدينة	الولاية	زمن إنشائها
مدرسة سبيل الرشاد :	بنكلور :	ميسور	بعد سنة ١٩٠٠م
المدرسة العربية العالية :	كلكتا :	بنجال	الحكومة الهندية .

هذه صورة موجزة لأشهر المدارس العربية فى الهند . وهناك مئات من المدارس الأخرى فى كل ولاية من الولايات التى تضم أكثر من عشرين مديرية ، ويرسل الطلاب من هذه المدارس إلى مدرسة ديوبند للتخصص فى الحديث أو التفسير أو المنطق أو الفلسفة أو الفقه الحنفى . وقد تركنا مئات من المدارس العربية التى تقوم برسالتها فى أنحاء الهند ولكنها لم تنل أى شهرة . وعلى سبيل المثال نذكر بعض المدارس فى ولاية بيهار وحدها التى تشتمل على أكثر من عشرين مديرية ولم نذكرها فى الجدول السابق . ففى مديرية بتنه مثلا توجد مدرسة شمس الهدى والمدرسة العزيزية ، والمدرسة الإسلامية كندرى ، والمدرسة المحمدية والمدرسة القومية ، والمدرسة الحنفية ، ومدرسة منار الإسلام ، والمدرسة الإسلامية بهابورة وفى مديرية « آره » توجد أربع مدارس ، وفى مديرية « جيا » خمس مدارس ، وفى مديرية « مظفربور » ثلاث مدارس ، وفى مديرية « تسارة » ثلاث مدارس ، وفى مديرية « چمپارن » ثلاث مدارس ، وفى مديرية « دربهنكا » ست مدارس ، وفى مديرية « بهاكل پور » تسع مدارس ، وفى مديرية « سنتال پرجنا » ثلاث مدارس ، وفى مديرية « پورنية » عشر مدارس ، وفى مديرية « ناكپور » مدرسة واحدة ، وفى مديرية « أريسة » ست مدارس ، وفى مديرية « بوزولية » مدرسة واحدة ، وفى مديرية جهانى باسة مدرسة واحدة وكذلك حال الولايات الأخرى ومديرياتها فى أنحاء الهند ولا يمكن لنا أن نستوعب جميع هذه المدارس .

ويدرس فى جميع هذه المدارس نفس المنهج الذى سميناه بالمنهج النظامى ، وبمرور الأيام أنشئت بمدرسة ديوبند شعب وفروع للتخصص ، وقد لعبت مدرسة ديوبند دورا رائعا فى الهند وأنجبت كثيرا من العلماء والزعماء والمصنفين والكتاب .

ولكن هذه المدرسة أو الجامعة لم تهتم بالأدب العربى كما اهتمت بالصرف والنحو واللغة والمنطق ، ولا يدرس هناك فى الأدب العربى إلا المقامات الحريرى . وديوان المتنبى وديوان الحماسة لنوال السنين الجامعية ، وبذلك كان طلاب هذه المدرسة بعيدين عن تذوق الثقافة العربية السليمة ، ولم يظهر منها الأدباء والشعراء فى اللغة العربية كما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ظهروا فى العصور الماضية ، وكان حال هذه المدرسة الكبيرة وشقيقاتها فى شرق الهند وغربها إلى الآن كشأن الأزهر القديم قبل سنة ١٩٠٠ م والعلوم التى لا تزال تدرس فى هذه المدرسة وشقيقاتها لا تصلح للعصور التى نعيش فيها الآن ، ولا يتمكن الطالب الذى يتخرج من هذه المدارس العربية أن يفهم الإسلام فهما سليما . ولا يستطيع هؤلاء المتخرجون أن يسيروا مع موكب الحضارة كما فشل هؤلاء فى قيادتهم وزعامتهم للأمة الإسلامية فى القرن العشرين .

ولذلك قام مصلح كبير فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى لإصلاح المنهج النظامى الذى لا يزال يدرس فى المدارس العربية ولا سيما فى مدرسة ديوبند ، وهو العلامة محمد شبلى النعمانى ، وهو أيضا تخرج على أيد العلماء القدماء ولكنه اشترك فى الحركة الإصلاحيه مع السيد أحمد خان منشئ الجامعة الإسلاميه بعليكرة فى بداية الأمر .

مدارس الهند والقرن العشرون :

ونحن لا نريد أن نتحدث عن السيد أحمد خان والجامعة الإسلامية بعليكرة . لأن الجامعة لم تكن جامعة عربية بل كانت على طراز الجامعات المعاصرة فى أوربا . ولم تكن تدرس فيها اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلا كمواد إضافية كشأن جامعات العالم . ولذلك استطاع محمد شبلى النعمانى أن يحمل لواء الإصلاح فى الهند . فنقد المنهج النظامى ودعا إلى تغيير هذا المنهج وتقريبه إلى حياتنا المعاصرة . وبدأ ينشر مقالاته النقدية باللغة الأردية من سنة ١٨٩٠ م . وقد أتيحت له الفرصة بعدئذ لكى يسافر إلى مصر ويتصل بالشيخ محمد عبده معاصره فى الحركة الإصلاحية وعلى مبارك باشا منشئ دار العلوم بالقاهرة . وقد انصب نقد شبلى النعمانى على الأهمية الزائدة التى أعطيت للنص ومعانيه وما يفرع عنه من استنتاجات وقلة العناية بالنواحى الواسعة من الموضوع . وكان مما نبه إليه أن الشيئين المهمين فى الدراسة اللاهوتية هما : أولا تحصيل الفرع الخاص ، وثانيا تعميق الفكر والقدرة على الدرس المستقل كما أوضح أن امتلاك ناحية العربيـــة لم يزل بعد دون المستوى المطلوب وأنه من الواجب مضاعفة الاهتمام بالعلوم القرآنية وعلى الأخص بدراسة الإعجاز . وأشار أخيراً إلى ما لاحظه من أن العلوم التى اتخذها العرب عن الإغريق لا تزال تدرس كما أخذت خلال العصور الوسطى دون أى تقدم .

ولم يكن لهذا النقد جدوى . لأن المدارس العربية فى الهند أثارت خصومات شديدة هذه وكفره علماء مدرسة ديوبند ولكنه استمر فى دعوته ونقده حتى قامت فى الهند منظمة كبيرة باسم « ندوة العلماء » لاصلاح المنهج

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النظامى وإنشاء مدرسة عربية جديدة لتحقيق الأهداف التى ينادى بها المفكرون الجدد وقد انضم شبلى إلى هذه المنظمة وانشئت مدرسة « دار العلوم لندوة العلماء » فى مدينة « لكهنأو » سنة ١٣٨٣ هـ لتحقيق هذه الأهداف واختير محمد شبلى مديراً لهذه المدرسة ، والشيخ عبد الحى الحسنى صاحب نزهة الخواطر وكيلا لها . وقد وضع محمد شبلى منهجا جديدا لهذه المدرسة الحديثة وألغى المنهج النظامى القديم وأضاف إلى هذا المنهج كثيرا من الكتب الأدبية واللغوية أمثال « نهج البلاغة » وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز والكشفات الزمخشرى ، والمفصل الزمخشرى ومغنى اللبيب لابن هشام ومادة الإنشاء والتعبير والعلوم الحديثة الرائجة فى ذاك الوقت فى الجامعات المعاصرة .

وقد نجحت هذه المدرسة نجاحا عظيما فى رسالتها وانجبت رجالات كبيرة مثل البحاثة والمؤرخ الكبير السيد سليمان الندوى الذى وضع قاموسا عصريا للغة العربية من العربية إلى الأردية .

والأسف أن مدرسة دار العلوم لندوة العلماء قد تناست رسالتها بمرور الأيام ، وتتقرب كل يوم إلى مدرسة ديوبند لأن قادة هذه المدرسة لم يبذلوا جهودهم فى السنين التالية لتغيير المنهج القديم الذى وضعه محمد شبلى النعمانى لبداية القرن العشرين وتقريبه إلى حياتنا المعاصرة فى نهاية القرن العشرين .

ولذلك نوافق نحن الدكتور فيضى مدير جامعة كشمير فى الهند الذى وجه نقده إلى جميع المدارس العربية فى محاضرته التى ألقاها فى مؤتمر الثقافة الإسلامية بجامعة برنستون فى الولايات المتحدة سنة ١٩٥٣ م. إذ قال : « إن دراسات المستشرقين من الغرب ليست معروفة عند علماء الهند ، والذى تسوقه الصدفة منها إلى علمهم يقابل بالعداء الذى يكاد يصل إلى حد التعصب الأعمى وأنه لا اهتمام هناك بالتقدم الحديث فى العلم والفلسفة والتاريخ والدين المقارن ولا تقدير لضرورة معرفة اللغات السامية الأخرى كالسريانية ، والعبرية ، والآرمية ، والحبشية مع أهميتها للبحث النقدى . وأن معرفة اللغات الأوربية الحديثة ـ الانجليزية ، أو الألمانية تعتبر عند هؤلاء علما فارغا .

واضح ـ إذن ـ أن التربية الدينية التى كانت فى تلك المدارس تحتاج إلى إصلاح كبير من وجهة نظر القرن العشرين وليس من المستطاع مقارنتها بالدراسة الجامعية فى اللاهوت ، فى أى جامعة حديثة مثل أكسفورد أو روما أو شيكاجو . إذ لا اهتمام فى المدارس العربية فى الهند بدراسة التاريخ الحديث والدين المقارن والمنطق والحديث وعلم النفس والميتافيزيقيا كما يفهمها العصر الحديث .

(البقية فى الجزء القادم)

محمد اسماعيل الندوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اختلاط الجنسين في نظر الإسلام

للأستاذ سعد الدين الجيزاوي

لم تغفل التشريعات الإسلامية أمر اختلاط الجنسين باعتبار أن ذلك أمر تقتضيه ظروف الحياة الاجتماعية التي عنى الإسلام بتنظيمها وبنائها على أسس سليمة غفل عنها الناس وأخذوا يتخبطون فيها ويلتمسون لمجتمعاتهم نظما يقتبسونها من الغرب أو من الشرق. فكان هذا العثار الذي لا قومة منه إلا بالأخذ من مناهل النظم التي اختطها الإسلام.

ونود هنا أن نعرض لموضوع اختلاط الجنسين على ضوء التعاليم الإسلامية لنرى كيف عالج الإسلام هذا الموضوع الحساس.

وقد هدانا البحث إلى إن أهم ما عنى به الإسلام حول هـذا الموضوع يرجع إلى أصول أربعة:

١ ـ الأصل الأول: وهو قاعدة عامة نطق بها الرسول الكريم تحدد ما ينبغي أن تكون عليه حال المختلطين حين تضطر الظروف الناس إلى اختلاط، وذلك الأصل هو قول النبي عليه الصلاة والسلام: «ما اختلى رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما». وبديهي أن المراد هنا المرأة الأجنبية عن الرجل، لا زوجته ولا إحدى محارمه، وإذن يكون منبع الفساد الناشئ عند الاختلاط إنما هو من الانفراد.. انفراد الرجل والمرأة لا من مجرد اختلاط بين مجموعة من النساء والرجال.

وإذا نحن سألنا أنفسنا عما نشاهده ونراه ونسمعه تأكدت لنا دقة هذه القاعدة وعمق فلسفتها

ولا يتسع بنا المقام لذكر ما ورد على لسان الشعراء عن (الرقيب) وما يتمناه الشاعر من الخلوة والانفراد بمن أحب كيفما كانت النتائج.. كقول جميل بثينة على سبيل المثال:

وما أنسى م الأشياء لا أنسَ قولها
وقد قربت نضوي: أمصر تريد؟

ولا قولها: لولا العيون التي ترى
أتيتك. فاعذرني، فدتك جدود

ونحن نعلم ما رتبه الفقهاء على الخلوة الصحيحة التي يختلي فيها الرجل بامرأة بحيث لا يدخل عليهما أحد في مكان الاختلاء إلا بإذن. إذ جعلوا هذه الخلوة كالدخول الحقيقي فيما يتعلق بأحكام العدة والمهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والنفقة ... فى حين أنهم اعتبروا الخلوة التى يمكن أن يدخل فيها على المختلين شخص آخر فى مكان الاختلاء بدون إذن . . خلوة فاسدة ولم يرتبوا عليها ما رتبوا على سابقتها من أحكام .

ومن هنا نرى أن الاختلاط من حيث هو اجتماع عدد من الجنسين لضرورة غير ممنوع ، وإنما الذى تجب مراعاته والحيلولة دونه هو اختلاط شخصين اثنين ذكر وأنثى فى خلوة وبعد عن أعين الناس . . لأن الغرائز الجنسية حينئذ تنطلق بعيدة عن « قيود المجتمع » أو « أعين الرقباء » كما يقول الشعراء ، وتجد النظرات منافذ إلى القلوب لا تتاح لها فى ملأ من الناس ، والأحاديث تجد حرية لا تجدها على مسمع من الناس فيحدث ما يحدث من مفاسد .

ومن ثم نجد الآباء والأمهات يشددون الرقابة على أولادهم وبناتهم . ويحولون بقدر الإمكان دون إتاحة الفرصة لاختلاط أبنائهم بالغير فى مثل هذا الاختلاء .

ولنلق نظرة إلى مجتمعنا الحديث : هل اختلاط الفتيان والفتيات فى الجامعات وغيرها من المرافق العامة مدعاة إلى الفساد إذا روعيت حدود الآداب واللياقة ؟ .

لنعد إلى الماضى : فقد كانت هناك نسوة الرسول عليه الصلاة والسلام ونسوة الصحابة الكرام ، يخرجن وراء الجيوش ، ويقمن بإعداد الطعام للمقاتلين . . وكن يضمدن جراح المصابين : من أزواجهن وغير أزواجهن . .

وكان نسوة يذهبن إلى النبى الكريم يسألنه عن أمور دينهن ، وكان رجال يذهبون إلى السيدة عائشة رضى الله عنها بعد انتقال الرسول الكريم يسألنها : « ماكان النبى يصنع فى بيته » ؟ وغير ذلك من أمور الدين .

وعلى مر العصور كان نساء يتعلمن من رجال ويسرن وراء الجيوش ، وكان رجال يتعلمون من نساء . ولم نسمع أن هناك فساداً نشأ من مثل هذا الاختلاط . . فإذا حدث إذاً ؟ ؟ .

إنه التبرج والاستهتار بالقيم الإنسانية لا مجرد الاختلاط ، لقد كانت المرأة فى العصور السالفة تحترم أنوثتها وتضن بها أن تبتذل وترخص . ومن ثم كانت لا تضار بالاختلاط .

أما اليوم فإن المفاسد التى تنشأ من الاختلاط الذى تدعو إليه الضرورة لم تنشأ من مجرد الاختلاط وإنما تنشأ من تبذل المرأة والفتاة وإرخاصهما لأنوثتهما ، وإبراز المحاسن التى ينبغى أن تضن بها المرأة العاقلة . ثم هذه المبالغة فى الزينة بلزوم ومن غير لزوم . إن نساءنا وفتياتنا لو فكرن قليلا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ورجعن إلى عقولهن ، لأدركن قيمة خطئهن ، وما وصلن إليه من إعتبار لأنوثتهن بل لآدميتهن .

وأمسك عن تفصيل هذا الابتذال فهو أظهر من أن ينبه عليه قلم ! !

٢ — الأصل الثانى : وهو منع اختلاط الأطفال فى النوم عند بلوغ سن معينة ولو كانوا إخوة وأخوات وذلك الأصل قرره الحديث الشريف : « علموا أولادكم الصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

فالأطفال قبل السابعة أو الثامنة مثلا لا يميزون ، ولا يدركون المسائل الجنسية ولكن متى بدأ شعورهم يتجه إلى هذه الناحية فى العاشرة وما بعدها فهنا تجب اليقظة ، والتفريق بين الذكر والأنثى فى مكان النوم ؛ لأن ذلك أدعى إلى صرف الذهن عن التفكير ، وخير ألف مرة من وعظ الطفل أو زجره فى هذه المرحلة .

إن الأطفال فى هذه السن لا يميزون بين أخوة أو غيرها ، ومن ثم فالحديث الشريف يرشدنا إلى عزل الأطفال الذكور عن الإناث فى أماكن النوم ، لأنها أكثر مظنة لتوجيه النظر عند ما تبدأ الغرائز الجنسية فى التفتح .

٣ — والأصل الثالث : هو تخصيص الصفوف الخلفية للنساء فى صلاة الجماعة بالمساجد .

فللمرأة الحق فى أن تنال فضل ثواب الجماعة بالمسجد أسوة بالرجل ، ولها أن تصلى الجمعة ، وهى لا تؤدى إلا فى جماعة بالمساجد ...

فماذا كان موقف التشريع من ذلك ؟ ؟

إن التشريع لم يمنع الاختلاط لأداء الصلاة ، ولكنه نظمه تنظيما دقيقا يتناسب وحالة الصلاة التى تتكرر فى اليوم خمس مرات طوال العمر .

لقد جعلت الصفوف الأولى للرجال ، والتى تليها للصبيان والأخيرة للنساء . أتدرى لماذا لم يترك الاختلاط هنا على إطلاقه كما سترى فى الحج ؟ ذلك لأن الصلاة فى الجماعة تؤدى فى صفوف منتظمة تتلاحق فيها الأكتاف والأيدى بل سائر الأجساد لفترة قد تبلغ خمس عشرة دقيقة فى كل صلاة ، وفى هذا ما فيه من تنبه الغرائز الجنسية عن قصد أو عن غير قصد رغم هيبة المكان والحالة التى يكون عليها المصلون من الخشوع والهيبة ... فلم يكن مناص إذن من منع الاختلاط على هذه الصورة فى المساجد وفى أثناء الصلاة بالذات .

أما الاختلاط من حيث هو فى مجموعة من النساء والرجال بالمسجد ، وائتمام النسوة برجل ، واستماعهن إلى وعظه ، وسؤاله عن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أمور دينهن فليس هناك ما يمنعه ما دامت قد روعيت الشروط الأخرى : فلا تبرج ولا تلاصق بالأجسام ولا خلوة بين اثنين .

٤ — والأصل الرابع : هو إباحة الاختلاط على إطلاقه فى مناسك الحج جميعا: فالرجال والنسوة يشتركون فى الطواف حول الكعبة وفى السعى بين الصفا والمروة ، وعند الوقوف بعرفة وعند رمى الجمرات ... دون تخصيص وقت لكل فريق أو تحديد صفوف للرجال وأخرى للنساء .

ولو تأملنا ذلك لوجدنا فلسفة عميقة وراء إباحة هذا الاختلاط فى أطهر الأماكن وأقدس الأوقات .

إن هذا الاختلاط فى تلك الظروف يعتبر مدرسة تدريب عملى ، وإعداد للنفوس إعدادا روحانيا حتى تواجه الاختلاط الذى يضطر إليه الناس فى ظروف كثيرة بعزيمة .

نعم : هناك فى المطاف وفى المسعى وفى عرفات ، يجد الرجل نفسه إلى جانب المرأة كتفاً لكتف بل جسما إلى جسم ، ووجها إلى وجه فيتحاشى الالتصاق بها أو مسها ولو كانت زوجته ، وينفر من الاحتكاك بها على أية صورة نفوراً شديدا .

إنه لو خرج عن حدود الآداب قيد أنملة ارتكب جناية بل قد يفسد حجه نهائيا فهو إذن مضطر إلى الصبر ومقاومة النفس عن كل ما يتعلق بالمرأة ولو كانت حلالا .

ثم إن هذه المناسك تجمع النسوة من مختلف الجنسيات ، وقد يكون بينهن الفاتنات بقوامهن أو جمال وجوههن فلا يستطيع أن يفكر فى التأمل وإعطاء العين حقها كما يقولون أو التغزل ولو كان من المستهترين لهيبة الموقف والشعور الذى يستولى على المرء حينذاك بأنه يقف بين يدى أحكم الحاكمين .

إن مدة الإحرام التى يقضيها الحاج يكون فيها منع عن أمور كثيرة مما هو مباح ، كالتطيب ولبس المخيط وقص الشعر ليشعر بعد الإباحة بقيمة النعيم ويحس بلذة امتثال الأمر ... وفى هذا ما فيه من تدريب النفوس على الصبر واحتمال المشقات عند الظروف التى تضطر الإنسان إلى الامتناع عن تناول المباح .. فما بالك إذن بتدريب النفس على منعها من المحرمات أو ما يؤدى إلى الحرام ؟؟ .

إن الزحام الذى يحدث فى المجتمعات العامة كالأسواق والسيارات يؤدى حتما إلى احتمال حدوث المفاسد ، فإذا أعدت النفس إعدادا قويا ، وتدربت على تذكر المثل العليا والقيم الروحية التى يعيش فيها الإنسان أثناء مناسك الحج . كان ذلك بمثابة مناعة تحول دون الشر .

وبعد : فهذه عجالة نحو موضوع هام يتصل بحياتنا العامة وما ينبغى أن تكون عليه من مثالية فى ظلال تعاليم الإسلام .

هدانا الله جميعا ووفقنا إلى الصواب .

سعد الدين الجيزاوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام دين الوحدة الكبرى

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومى

يتميز الإسلام بأنه دين الوحدة لا الفرقة ، ودين الأمة لا الطبقة . وكانت هذه الميزة من الخصائص الذاتية للدين الإسلامى الحنيف ! ولذلك كان دينا ممتداً بطبعه ، زاحفا بقوانينه وشرعته ! ! .

ولقد أسس الإسلام هذه الوحدة على أقوى الدعائم وأمتن البنيان . بدأها بالوحدة فى الفرد ، فطلب منه أن يكون متناسق القلب والعقل ، والعاطفة والشعور ، واللسان والجوارح ، فلا يحب الإسلام من المسلم أن يكون العقل شاكا والقلب مؤمنا ، ولا يحب منه أن يكون اللسان مسلما واليد باطشة بظلم ، والبطن آكلا الحرام ، فلسان العاقل من وراء قلبه ، ولا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ! !

وإذا كان الدم يتوزع فى الجسم كله من مكان واحد حساس ، فقد أعطى القلب هذه السلطة فى توزيع الإيمان على جميع الجوارح لتكون الوحدة فى السلوك متميزة كل التميز : « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .

وتوسع الإسلام فى الوحدة فجعلها فى الأسرة بين الزوج وزوجه : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » [١] : وكانت الوحدة بين الأب وأبنائه ! ! « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » [٢] وإذا كانت الوحدة فى الفرد قائمة على الوازع النفسى المؤمن « ثم لم يرتابوا » . فإن الوحدة فى الأسرة قائمة على المودة والرحمة كما أشار القرآن الكريم ، والوحدة فى الأبوة مبنية على الطاعة والرعاية « إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » [٣] .

وتوسع الإسلام فى الوحدة فجعلها فى الأخوة النسب ، وقرابة العصب ، وفى العائلة أو القبيلة

[١] الروم - ٢١ .
[٢] الإسراء - ٢٣ .
[٣] الإسراء - ٢٣ ، ٢٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو العشيرة ، فوكد للتواصل ، ووزع المغانم والمغارم والديات ، ليكون العبء أخف ، والمصيبة أهون ، وبذى القربى ، ولذلك كانت الرحم مشتقة من اسم الرحمن ، من وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله . واشترط الإسلام لهذه الوحدة أن تكون المناصرة على الحق لا على الظلم ، لأنه لا يقر العصبية ولا يعترف بها ، « ليس منا من قاتل على عصبية » . وبذلك تميز الإسلام عن وحدة العائلة ، أو القبيلة ، أو العشيرة فى الجاهلية وفى البيئات غير المتدينة.

ثم جعل الإسلام الوحدة بين الجار والجار ، « والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب »[1] . وقد أفاضت الأخبار فى التواصى على حسن معاملة الجار ، حتى ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل سيورثه . وليس معنى حسن الجوار مشاركة المجاملة فى كلمات التهانى والعزاء ، كما يفعل المتمدينون فى هذه الأيام ، إنما هى مشاركة تغوص فى أعماق النفس ، وتتبنى مشاكل الحياة .

وانظر إلى الحلقة الكريمة التى أحاط الإسلام بها الجوار عند ما جعلها تشمل الجار القريب والجار الجنب والصاحب بالجنب ، وهل الأمة إلا جار يتلوه جار .

ثم جعل الإسلام الوحدة بين أهل الحى الواحد . وجعل كل فرد مسئولا فيهم عن أبناء حيه فلا يصح أن يجوع أحدهم أو يعرى ، « أيما أهل عرصة بات امرؤ منهم جائعا فقد برئت منهم ذمة الله » ولقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعريين ، لأنهم كانوا متعاونين متواحين متآلفين .

ثم جعل الإسلام الوحدة بين الحاكم والمحكوم ، وأسسها على العدل والرحمة ، والمشورة فى الأمر ، والتساوى فى الحقوق . « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »[1]

لقد كان الحاكم عند الأكاسرة من سلالة الآلهة ، وكان فى بعض الأمم لا يعارض ولا يدانى ، فجاء الإسلام بشرعة الوحدة بين الحاكم والمحكوم « لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نتقبلها » .

ثم توسع الإسلام فى الوحدة فجعلها بين أفراد الأمة المسلمة جميعا . وجعلها قائمة على التعاون الحسن : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »[2] وعلى التواصى بالصبر والرحمة « وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة »[3] « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »[4] .

---

(١) ـ النساء ـ ٣٦ .

(١) ـ النساء ـ ٥٨ .

(٢) ـ المائدة ـ ٢ .

(٣) ـ البلد ـ ١٧ .

(٤) ـ العصر ـ ٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأسس الإسلام هذه الوحدة على التكافل الاجتماعي الصحيح ، فالأمة مسئولة عن الجوعى والعاطلين . « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »[1] . « من كان عنده فضل ظهر ، فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد ، فليعد به على من لا زاد له » وأخذ رسول الله يعدد من أصناف المال حتى ظن الصحابة أنه لا حق لأحد منهم فى الفضل . وقال عمر : « والله ما أحد أحق بمال الدولة من أحد ، وما أنا أحق به من أحد ، والله ما من أحد من الناس إلا وله فى هذا المال نصيب ، فالرجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته . والله لئن بقيت لهم ليأتين الرجل بجبل صنعاء حظه من المال وهو فى مكانه يرعى » .

وكذلك اشترط الإسلام أن تكون الوحدة فى الأمة قائمة على الحقوق المشروعة . والعدالة المفروضة ، ومراعاة إخواننا من أهل الذمة ما داموا قد عاشوا بيننا ، ولهم مالنا وعليهم ما علينا : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم . إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »[1] .

ونحب أن نضع هنا بعض البنود من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رسم فيه سياسة الأمة المسلمة بعد هجرتها إلى المدينة : سياستها مع أفرادها المسلمين ، وسياسة المسلمين مع غيرهم من أبناء الديانات الأخرى . ولقد ورد هذا الكتاب فى سيرة ابن هشام وهذه هى البنود : —

١ — وحدة الأمة المسلمة من غير تفرقة بينها .

٢ — تساوى أبناء الأمة جميعاً فى الحقوق والكرامة .

٣ — إجارة أدناهم على أعلاهم .

٤ — تكاتف الأمة كلها دون الظلم والإثم والعدوان والفساد كائنا من كان الظالم والمفسد .

٥ — اشتراك الأمة فى تقدير العلاقات مع أعدائها ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن .

٦ — تأسيس المجتمع على أحسن النظم وأهداها وأقومها .

٧ — مكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام ووجوب الامتناع عن نصرتهم .

---

(١) ـ الذاريات ـ ١٩ .

(١) للممتحنة ـ ٨ ، ٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٨ — حماية من أراد العيش مع المسلمين مسالما متعاونا والامتناع عن ظلمهم والبغى عليهم .

٩ — لغير المسلمين دينهم وأموالهم لايجبرون على دين المسلمين ، ولا تؤخذ منهم أموالهم .

١٠ — على غير المسلمين فى الدولة الإسلامية أن يتعاونوا معهم لدرء الخطر عن كيان الدولة ضد كل عدوان .

١١ — على غير المسلمين أن يسهموا فى نفقات الدولة كما يسهم المسلمون .

١٢ — وعليهم ان يشتركوا فى نفقات القتال ما داموا محاربين .

١٣ — وعلى الدولة أن تنصر من يظلم منهم كما تنصر كل مسلم يعتدى عليه .

١٤ — وعلى المسلمين وغيرهم أن يمتنعوا عن حماية أعداء الدولة ومن يناصرهم .

١٥ — إذا كانت مصلحة الأمة فى الصلح وجب على جميع أبنائها المسلمين وغير المسلمين أن يقبلوا الصلح .

١٦ — لايؤاخذ إنسان بذنب غيره ، ولا يجنى جان إلا على نفسه .

١٧ — حرية الانتقال فى داخل الدولة وخارجها مصونة بحماية الدولة .

١٨ — لا حماية لآثم ولا لظالم .

١٩ — المجتمع يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان .

٢٠ — هذه المبادىء تحميها قوتان : قوة معنوية وهى إيمان الشعب بالله ومراقبته له ورعاية الله لمن برّ ووفى ، وقوة مادية وهى رئاسة الدولة التى يمثلها النبى صلى الله عليه وسلم [١] .

على هذه المبادىء الكريمة سارت الأمة المسلمة موحدة الصفوف ، عالية البنيان ، شامخة الذرى ، فشادت وسادت وحافظت على الأمجاد وسجلت تاريخا دونه كل تاريخ .

ولقد أكد القرآن الكريم حرص الأمة الإسلامية على وحدتها فقال فى سورة الأنبياء « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » [٢] . وفى سورة المؤمنون : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » [٣] .

والأمة المسلمة لم تعرف الهزيمة فى صفوفها أو التأخر فى ثقافتها إلا بعد أن فرط الاستعمار عقدها ، وجزأ حدودها . وأوجد السدود بين دولها وإماراتها ، إن الفرقة غريبة عن طبيعة الإسلام ! .

ولم يقف الإسلام عند الوحدة بين الأمة المسلمة ، بل توسع فجعلها وحدة إنسانية بين الإنسان والإنسان فى كل زمان ومكان ، فالمسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله . والإنسان أخو الإنسان :

---

[١] راجع كتاب اشتراكية الإسلام .
[٢] الآية : ٩٢ .
[٣] الآية : ٥٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ووحد بين الناس لا البعد مبعد
عن الساحة الكبرى ولا القرب مقرب
فليس لدى الإسلام شرق ومشرق
وليس لدى الإسلام غرب ومغرب

وقد أكد القرآن هذه الوحدة الإنسانية فقال : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » [١] .

وقال : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » [٢] .

وهذه الوحدة الإنسانية تميز بها الإسلام من غيره من الأديان والشرائع ، فلم يكن ديانة شعب معين يسمى نفسه (شعب الله المختار) ولم يكن ديانة قلب يهتم بالوصايا الخلقية فقط ، بل كان دينا وشريعة ودستوراً ومنهاجا يضم إلى حناياه جميع البشر : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » [٣] .

وقد توسع الإسلام بعد هذه الوحدة الإنسانية القائمة على التعاطف والتواصل والتراحم ، فانتقل إلى الوحدة الكونية بين السماء والأرض ، إذ جعل العلاقة بين سكان السماء وسكان الأرض علاقة الود والرحمة ، فالملائكة حفظة لنا ، وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا » [١] .

والملائكة يرصدون حسناتنا ويتعاقبون فينا بالليل والنهار ، وتحف أجنحتهم بطلبة العلم وهكذا ، وهذه الوحدة الكونية تميز بها الإسلام عن الحضارات المادية التى تفصل الأرض عن السماء ، وتفصل بين سكان الأرض وسكان السماء حتى إن أرادت الحضارة المادية الاتصال بالفضاء فإنما تتصل به اتصال غزو واستكشاف لا اتصال إيمان ويقين .

وتوسع الإسلام مع هذا كله فجعل القلب المسلم يحمل فى طياته الوحدة بين الدنيا والآخرة ، وجعل العقل المسلم يذكر فى وقت واحد الموت والحياة .

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » [٢] : البقرة .

« الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » . [٣] .

---

[١] النساء : ١ .
[٢] الحجرات : ١٣ .
[٣] سبأ : ٢٨ .

[١] غافر : ٧ .
[٢] البقرة : ١٧٧ .
[٣] الملك : ٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبهذه الوحدة الممتدة من وحدة الفرد المنتهية بالوحدة بين الدنيا والآخرة انفرد الإسلام وتميز من غيره من جميع الأديان والشرائع والمذاهب الأرضية ، ولعل اتحاد المسلمين على القبلة فى الصلاة وجعلها شرط صحة لهذه العبادة أكبر دليل على أنه دين التناسق والاجتماع .

ولقد كانت هذه الوحدة الكونية بارزة المعالم واضحة الخطوط فى هذا الدعاء الذى كان يستفتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم تهجده عند ما كان يقف بين يدى ربه :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال : اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق ، والساعة حق : إلخ إلخ .

ثم شد الإسلام الإنسانية كلها فى حبل متين ورباط قويم إلى ماذا ؟ إلى الله ، فأينما تولوا فثم وجه الله »[1] .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »[2]

وبهذا كله كنا نحن المسلمين مأمورين بأن نكون دعاة وحدة ، وقواد إصلاح ثوريين على الفرقة بجميع أنواعها ، ومحاربها فى جميع أشكالها وألوانها :

« ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم »[1] .

وإذا كان اليهود يتكتلون اليوم على صهيونيتهم ، والرأسماليون يتكتلون اليوم على رأسماليتهم والملحدون يتكتلون اليوم على إلحادهم ، فنحن معشر العرب يجب أن نتوحد اليوم على إسلامنا وعروبتنا .

ولغة الكفاح وحدها ستفرض نفسها لتزيل الأشواك من الطريق ، وتصفى الماء من الكدر وما ذلك على الله بعزيز .

ولا يصح أبدا أن ننساق وراء الحوادث الانفصالية الأخيرة فى الإقليم الشمالى فيدب اليأس فى قلوبنا ونستبعد وقوع الوحدة الشاملة .

إن الحروب الصليبية قبيل عهد صلاح الدين استطاعت أن تمزق الوطن العربى وتصل إلى فلسطين وتبقى فيها عشرات السنين ، ولكن صلاح الدين الأيوبى استطاع بتوفيق الله أن يحطم الجيوش الصليبية ، ويوحد الوطن العربى من جديد .

أحمد عبد الجواد الدوخى

---

[1] البقرة : ١١٥ .

[2] آل عمران : ١٠٣ .

[1] آل عمران : ١٠١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مع قضايانا

إنّنا عائدُون

للأستاذ احمد الشرباصي

— ٢ —

إننا عائدون بإذن الله إلى فلسطين ، لأنها بلدنا ووطننا وحمانا ، نحن العرب ما بين مسلمين ومسيحيين ، ففلسطين تضم المسجد الأقصى ثالث المساجد المقدسة فى الإسلام ، كما تضم كنيسة المهد وهى أقدس الكنائس فى نظر أتباع المسيح عليه السلام ، وفلسطين تضم مسجد عمر كما تضم كنيسة القيامة ، وكنيسة القيامة هى التى أبى عمر الفاروق أن يصلى فيها يوم زارها عقب فتح الإسلام القدس باسم الله عز وجل ، وخرج فصلى صلاته على مقربة منها ، فأقام المسلمون مكان صلاته مسجدا سموه مسجد عمر ، وتكرر بناء المساجد التى يسمى كل منها مسجد عمر فى بلاد فلسطين ، وكأن هذه إشارة دقيقة وعميقة إلى أن هذا الوطن العربى الفلسطينى يصون حرية العبادة لهؤلاء وهؤلاء ، ويضم أشياء مقدسة فى نظر المسلمين ، كما يضم أشياء مقدسة فى نظر المسيحيين ، فيجب أن يتضافر الجميع على تحرير هذا الوطن وصيانته وإعزازه.

بل هناك ما هو مشترك القداسة بين المسلمين والمسيحيين: هناك المكان الذى ولد فيه عيسى ، وأقيم عليه بناء كنيسة المهد ، فإن هذا المكان يثير ذكريات جميلة وجليلة فى نفس المسلم ، وإن كان متعلقا بالمسيح ، وإذا ذكر الإنسان المسلم مهد عيسى تذكر آيات كريمة كثيرة فى كتاب ربه عز وجل تتصل بهذا المهد وهذا الميلاد ، كقوله تبارك وتعالى : « واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا . قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا . فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نسياً منسيا ، فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربُّك تحتك سريا . وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا ، فكلى واشربى وقرى عينا ، فإما ترينّ من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا . » .

ولقد « زرت بيت لحم » أكثر من مرة ، وهى البلدة التى ولد فيها نبى الرحمة عيسى عليه السلام ، ونزلت فى أعماق كنيسة المهد بها ، ووقفت أمام المكان الذى ولد فيه عيسى .. وقفت ولا تكاد تحملنى قدماى . فقد مادت بى الذكرى . إذن هنا جاءت مريم العذراء الطاهرة البتول سيدة نساء العالمين ، وهنا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، ومكانا قصيا . وهنا جاءها رسول ربها ليهب لها غلاما زكيا ، ليجعله آية للناس ورحمة منه وكان أمراً مقضيا ، وهنا حملت مريم ابنة عمران « التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » ! .

وهنا وضعت طفلها المسيح الذى جعله ربه « وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » !

هنا يقف المسلم خاشعا ويقف المسيحى خاضعا . وهنا يلتقى المسيحى والمسلم على تكريم ذكرى المسيح وتنزيه البتول العذراء ، وهنا يتذكر المسيحى والمسلم على السواء أن هذه دارهما ، وتلك ذكرياتهما ، فلا يمكن لهما أن يفرطا فى هذا التراث الروحى العظيم ، ولا أن يهملا هذا الحمى الغالى العزيز ، ولا أن يتركاه ليستبد به الأخساء من الأعداء الدخلاء .

وإننا عائدون إلى فلسطين ، لأن فلسطين قد انتزعت من أيدينا بليل الخيانة والغدر ، ونحن لا نقبل أن نظل ضحية لهذه الخيانة وهذا الغدر ، وإلا لما كنا عربا ولما كنا مسلمين

فى مطلع الحرب العالمية الأولى ، وفى سنة ١٩١٥ بالذات خدع الإنجليز - وهم دهاقنة الاستعمار - الشريف الحسين بن على ، ومنوه بتاج يضعونه على رأسه عقب الحرب مباشرة وبأن يكون ملكا للعرب ، بعد أن يوحدوا له الدولة العربية الكبرى ، كما أوهموه يوم ذاك ، وتم التفاهم على هذا بين الملك حسين وبين الجنرال هنرى مكماهون المعتمد البريطانى وذلك فى مقابل أن ينضم العرب إلى انجلترا وحلفائها .

وبينما كان الحسين يهيم فى أودية الانخداع بهذا الوعد الكذوب ، كان الانجليز يعطون وعد بلفور فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ لتكون فلسطين وطنا قوميا لليهود ، وبينما كانوا يمنون على اليهود بذلك كانت معاهدة (سايكس بيكو) قد سبقت هذا الوعد وهى المعاهدة التى عقدت بين انجلترا وفرنسا ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتضمنت تمزيق أوصال الدول العربية لتأخذ كل منهما نصيبها .

ثم كان التوطين ، والتهجير ، وبيع الأراضي وتتابع الثورات ، ومكائد الانتداب البريطاني وفظائع اليهود ، وإنهاء الانتداب اللئيم الخبيث الخسيس في الرابع عشر من مايو سنة ١٩٤٨ بعد التمكين للصهيونية كي ترتكب فظائعها ومآثمها ، ثم كانت مأساة الحرب الفلسطينية ومهزلة الجيوش السبعة التي دخلت على غير اتفاق أو وفاق . بل دخل بعضها بلا إخلاص من قادته أو أخلاق . وعجب الناس أن تهزم سبعة جيوش عربية أمام حفنات من أبناء صهيون . ولكن أحد المفكرين أجاب على هذا العجب بقوله : « لا يجوز أن يقال إن العرب خسروا معركة فلسطين . مع أنهم كانوا سبع دول ، بل يجب أن يقال إن العرب خسروا معركة فلسطين لأنهم كانوا سبع دول » ! .

وإننا عائدون إلى فلسطين ؛ لأن ديننا الإسلامي قد علمنا العودة ، وتاريخنا قد علمنا العودة ، وإذا كنا نقرأ في تاريخنا الإسلامي أن أسلافنا قد هاجروا مرة ومرة ومرة ، فنحن نقرأ كذلك أن هؤلاء الأسلاف قد عادوا من هجرتهم مرة ومرة ومرة . ولقد أخرج الاحتلال الصهيوني الآلاف المؤلفة من أبناء فلسطين من ديارهم وعقارهم ، وشردهم في بقاع الأرض ، وسماهم بالمهاجرين ولكن هؤلاء المهاجرين سيعودون كما عاد أسلاف لهم مهاجرون من قبل .

لقد هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة ، وقال لهم النبي : « إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » ، وخرجوا وكلهم أمل في العودة ، وبعد شهور بلغتهم أنباء تقول إن قريشا قد عقلت فعدلت فاهتدت إلى سواء السبيل ، فرجع المهاجرون وعاد اللاجئون إلى ديارهم ولكنهم لم يجدوا تصديق الأنباء التي بلغتهم ، بل وجدوا الأذى أمامهم أشد مما كان ، فعادوا إلى الحبشة دون أن ينالهم يأس أو قنوط : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » ؟ !

وكان هؤلاء المهاجرون في أثناء لجوئهم وهجرتهم أعزة كراما ، لا يذلون ولا يهونون ؛ يقودهم جعفر بن أبي طالب ويدخل على النجاشي ، فيسألهم من بباب النجاشي : من أنتم ؟ فيجيب جعفر : جعفر بن أبي طالب ومعه حزب الله !

ويدخل جعفر فيسلم بتحية السلام والأمان قائلا : السلام على من اتبع الهدى ، فيقال له : ما لك لا تسجد الملك كما تفعل الرعية معه ؟ فيستنكر جعفر ذلك ويقول : نحن لا نسجد لغير الله عز وجل ! .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويسألهم النجاشي عن تعاليم دينهم فيجيب جعفر دون أن يراني أو يداهن ويقول فيما يقول : « بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه » . ثم يقول بعد أن يعدد تعاليم الإسلام : « فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك».

ولما أرسلت قريش وفدها بهداياها إلى النجاشي ، لتحاول إرجاع هؤلاء اللاجئين لتفتنهم عن دينهم . وتعذبهم في دنياهم ، دافع المهاجرون عن أنفسهم حتى استبان للنجاشي الحق ، ولما قال الوفد للنجاشي: إنهم يخالفون عقيدتك في عيسى ، ذكر جعفر للنجاشي ماجاء في القرآن عن عيسى من تكريم وتمجيد من ناحية ، ومن وصف له بالنبوة مع العبودية من ناحية أخرى . . .

وهكذا لم يبال المهاجرون ولم يداهنوا ، بما جعل النجاشي يقدرهم ويصون حرمتهم ، ويرد الوفد القرشي خائبا ...

ومرحين من الزمن قويت فيه شوكة المسلمين . فعاد المهاجرون الأولون ليأخذوا حظهم في خدمة الدعوة وإعزاز كلمة الإسلام، وبقي منهم جعفر بن أبي طالب حتى عاد يوم فتح خيبر وإخراج اليهود البغاة منها . ففرح به الرسول فرحا شديدا ، وقبله بين عينيه وقال : « ما أدري أنا بقدوم جعفر أسر أم بفتح خيبر » .

وقد هاجر المسلمون هجرة أكبر وأوسع بعد هجرة الحبشة ، هاجروا إلى المدينة ، وهاجر معهم رسولهم . ويروى أنه نزل عليه في أثناء هجرته قول ربه : « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ، قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين».

وقد روى الضحاك أن النبي لما خرج من مكة وبلغ « الجحفة » اشتد شوقه إلى مكة فأنزل الله عليه قوله : « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد » وإذا كان هناك من المفسرين من يقول : إن المعاد هو يوم القيامة ، فإن الرازي المفسر يرجح أن المراد بالمعاد « مكة » ؛ لأن ظاهر المعاد أنه كان فيه وفارقه وحصل العود ، وذلك لا يليق إلا بمكة ، وإن كان غير هذا التفسير محتملا . . .

وما هي إلا سنوات حتى عاد المهاجر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأعظم ، الذى خرج وليس معه فى هجرته إلا صديق واحد ، عاد ومعه جيش قديرى الرائى أوله ثم لا يرى آخره ، أو يرى آخره ثم لا يرى أوله ، لكثرته وامتداده ، وعاد إلى مكة التى آذته وأخرجته وألبت عليه الجموع والأحزاب . ودخلها فاتحا قادرا ، وبسط فيها يد الرحمة والمغفرة والتطهير والتعمير .

فمن كان يظن يومئذ أن هذه الخطوات المهاجرة اللاغبة ستكون هى الخطوات الفاتحة المعمرة ؟ ومن كان يظن أن الذى خرج وليس معه إلا رفيق واحد سيعود ومعه الآلاف والآلاف ؟ ومن كان يظن أن الذى اختبأ فى الغار سيسطع سطوع البدر ، ويطوف بالكعبة ويحطم الأصنام قائلا : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ؟ ومن كان يظن أن الذى خرج مهاجرا مطاردا من قوم سيعود ليحكم هؤلاء القوم ويسيطر عليهم ، ويقودهم إلى ساحات المجد وميادين الفخار ؟ ومن كان يظن أن المهاجر الذى خرج مرغما مشتاقا كل الشوق إلى وطنه الذى أخرج منه ، حتى يقول لمكة يخاطبها وهو يغادرها : « والله إنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ، وأكرمها على الله ، وإنك لأحب أرض الله إلىّ ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك قهرا ما خرجت » ، سيعود عزيزا كريما ، فلا يبغى ولا يطغى ، بل يمن على من قهروه بالأمس وعذبوه ، ويقول لهم يوم الفتح : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فأرادوا أن يستثيروا نزعة الخير عند الكريم النبيل فقالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء !! .

وهكذا علمنا ديننا كيف تكون الهجرة مفتاحا للعزة والحرية : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة » ، وعلمنا تاريخنا الإسلامى أن الذين هاجروا عقدوا العزم على أن تكون هجرتهم طريقا للعودة ، وعلمنا إمامنا وقائدنا عليه الصلاة والسلام كيف تتصل الهجرة فى تاريخ المسلمين ، ليتخذوا منها منفذا نحو السيادة والقيادة فى عالمى المادة والروح فقال : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » ، أى عند قرب انتهاء الدنيا وإقبال الآخرة ! .

فإذا كان المشردون من أبناء فلسطين قد هاجروا ولجئوا حتى صاروا يسمون باللاجئين والمهاجرين ، فعما قريب يعودون ، فيسمون بالعائدين المنتصرين : « إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا » ! .

وإننا لعائدون الى فلسطين لأننا مؤمنون راجون آملون ، علمنا ديننا ألا نعرف اليأس أو نألف القنوط ، فصار ما نرتله فى كتاب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ربنا ، ونتعبد بتلاوته وطاعته هذه الآيات البينات الساطعات : « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » ، « لا تقنطوا من رحمة الله » ، « فلا تكن من القانطين » ، « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ، « فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا » ، « وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد » .

ومن شعرائنا الذى قال :

إذا اشتملت على اليأس القلوب
وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت
وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها
ولا أغنى بحيلته اللبيب

أتاك على قنوط منك غوث
يمن به اللطيف المستجيب
فكل النائبات إذا تناهت
فموصول بها الفرج القريب

ومنا الشاعر الذى قال :

وإنى لأرجو الله حتى كأننى
أرى بجميل الظن ما الله صانع !

ومنا مصطفى كامل الذى قال : « لا حياة مع يأس ولا يأس مع الحياة » ، فمن واجبنا ألا نعرف اليأس ، وألا ينالنا القنوط . بل نؤمن بأن فلسطين لن تضيع ، ونؤمن بأننا سنرجع إليها مستردين لها ونحن نهتف : إننا عائدون .

أحمد الشرباصى

من غريب قصص الحلم

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقرى : رأيته قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه ، حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول : فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ! فوالله ما حلّ حبوته ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه ، فقال له : يا بن أخى ، أثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : قم يا بنى فوار أخاك . وحلّ كتاف ابن عمك ، وسق إلى أمك مائة ناقة دية ابنها ! .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دراسات فى علم المعنى

« السيمانتيك »

للدكتور كمال بشر

— ٢ —

علم المعنى اللغوى :

تحدثنا فى المقال السابق[١] عن نقطتين رئيسيتين تتعلقان بالسيمانتيك أو علم المعنى ، وهاتان النقطتان هما :

١ ـ أهمية هذا العلم فى الدراسات المختلفة بوجه عام .

٢ ـ الاتجاهات الرئيسية التى اتبعت فى دراسته .

وهذه الاتجاهات أو الدراسات هى ـ بحسب ترتيبها الزمنى ـ دراسات لغوية ، وأخرى فلسفية ، ثم دراسات ذات طابع عام ، تستهدف تعريف عامة الناس بهذا العلم ، وترمى إلى محاولة علاج أدوائهم الاجتماعية عن طريق دراسته والبحث فيه .

والنوع الأول من هذه الدراسات هو الذى يعنينا فى هذا المجال بوجه خاص ؛ فهو الأصل الذى تفرعت عنه الاتجاهات الأخرى ، وهو الأساس الذى نما وامتدت جذوره حتى أصبح علما ذا قواعد ثابتة وأصول محددة . ويتضح من الفكرة التاريخية التى أشرنا إليها فى البحث السابق أن السيمانتيك أو علم المعنى اللغوى يعد أحدث فروع علم اللغة بمعناه الحديث . أما ما قد يدعيه البعض من أن علم الأصوات التنظيمى (Phonology) وعلم الأساليب (stylistics) ينازعانه هذه الحداثة ، فيمكن رفضه أو الرد عليه بأن هذين العلمين الأخيرين ما هما فى الواقع إلا فرعان تابعان ـ بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور ـ لدراسات قديمة ثابتة : دراسات تتمثل فى علم الأصوات العام (Phonetics) وعلم التراكيب أو علم النحو بمعناه الصحيح (syntax)[١] . كما أنه من الجائز أيضا الحكم على هذين العلمين بأنهما مجرد طرق فنية حديثة فى هذه الدراسات القديمة ، أو أنهما مجرد مناهج تطبيقية أو تنظيمية للحقائق أو القواعد العامة التى تتوصل إليها هذه الدراسات . أما علم

---

[١] نشر بعدد ربيع الآخر ١٣٨١ هـ .

(١) ويرى البعض ـ وبخاصة ممن ينتمون إلى المدرسة الفرنسية ـ أن stylistics (أى علم الأساليب) ليس فرعا من فروع علم اللغة ، وإنما يعدونه شقيقا له ذا فروع مماثلة ، ولكن مناهج الدراسة فيه مختلفة .

See Ullmann, The Principles of Semantics,p 1.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المعنى فله استقلاله الخاص ، وهو - مع هذا أو فوق هذا - ذو حدود ومجالات معينة ، لا تختلط بحدود أو مجالات غيره من العلوم ، ومن ثم فهو فى نظرنا فرع قائم بذاته من فروع علم اللغة ، وهو بهذا المعنى أيضا يعد أحدث هذه الفروع جميعا .

ومهما يكن من شيء ، فإن دراسة المعنى على مستوى لغوى كانت فى بداية أمرها تتسم بالطابع التاريخى الصرف ، حيث كان الباحثون فى علم المعنى آنذاك يوجهون كل اهتمامهم وعنايتهم إلى البحث فى التغيرات التى تصيب معانى الكلمات على فترات متعاقبة من الزمن ، وحيث كانوا يعنون بتقسيم هذه التغيرات إلى أنواع ومجموعات مختلفة ، كالتوسع فى المعنى والتضييق فيه ، أو تعميمه وتخصيصه ، أو تحويله إلى معنى آخر عن طريق المجاز أو الاستعارة أو نحو ذلك .

ولقد ارتبط هذا المنهج التاريخى فى انجلترا بأسماء مجموعة من اللغويين الذين كانوا يعرفون « بالباحثين فى أصول الكلمات وتاريخها » (the Etynologists) كما كان هذا النوع من الدراسة معروفا ومألوفا فى الدراسات اللغوية قبل ظهور رسالة بريال (Bréal) المسماة Essai de Sémantique والتى كان لها دور الريادة فى كثير من القضايا التى تتعلق بدراسة المعنى . ومن هذه القضايا ابتكار مصطلح la Sémantique الذى انتقل إلى اللغة الانجليزية فيما بعد باسم Semantics والذى أصبح الآن علماً على كل الدراسات والبحوث التى تتعلق بالمعنى ومشكلاته . أما قبل ظهور هذا المصطلح . وفى أثناء القرن التاسع عشر كله تقريبا — فقد كان المتبع عند الدارسين الانجليز هو إطلاق الاسم Semasiology على هذه الدراسات التاريخية للمعنى وما يلحقه من تغيرات .

يتضح من هذا أن دراسة المعنى فى ذلك الوقت كانت فى الواقع دراسة تغير المعنى . والتغير — كما يتصوره أصحاب هذا المنهج — يعنى أن هناك شيئا ذا جوهر ثابت ومظاهر متغيرة ، أو شيئا مستمر الوجود فى صور مختلفة . أو بعبارة أخرى ، يستلزم التغير وجود شيء أصلى أو أساسى لا يتغير إلى جانب وجود الصور الفرعية أو الثانوية المتغيرة لهذا الشيء الأصلى أو الأساسى فى الوقت نفسه . هذه الفكرة عن التغير كانت ولا تزال الأساس الذى بنى عليه الدارسون فى تغير المعنى فلسفتهم الخاصة بهذا الموضوع لقد كان هدف هؤلاء الدارسين البحث عن أصول الكلمات ومعانيها الأساسية أو الحقيقية ، ومحاولة ربط هذه المعانى بما اشتق منها أو تفرع عنها من معان أخرى وفى هذا الصدد يقول سكيت (Skeat) أحد الباحثين فى أصول الكلمات وتاريخها : « يمكننا أن نلخص الموضوع كله بقولنا :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن هدفنا هو تاريخ الكلمات الذى بوساطته يمكننا أن نعطى فكرة صحيحة عن الأصل الحقيقى لهذه الكلمات ، . وأصرح من هذا وأوضح فى بيان هذه الفلسفة وهذا الهدف الذى كان يرمى إليه هؤلاء اللغويون ما صرح به ترنش Trench — أحد رواد هذا المنهج التاريخى فى دراسة المعنى — حيث يقول : « إن متابعة القدر المشترك بين المعانى الكثيرة للكلمة ، ومتابعة ما يربط هذه المعانى بعضها ببعض لا يمكن أن تتم إلا بالوصول إلى الأساس ، أى إلى المعنى الأصلى الذى تتفرع عنه المعانى الأخرى ، شأنه فى ذلك شأن البذرة الخصبة المثمرة »[1] . ومضمون هذا الكلام أن الكلمة لها نوع من الأصل الحقيقى ، وأن لها معنى واحدا فى بادئ الأمر ، وأن كل المعانى الأخرى يمكن إرجاعها إليه وربطها به .

ولم تقتصر أعمال هؤلاء الباحثين وأمثالهم على وضع المبادئ والنظريات التى تعالج على ضوئها مشكلات تغير المعنى ، بل تعدوا ذلك إلى مجال التطبيق ، فأوردوا لنا الأمثلة الكثيرة التى يمكن أن يحتذيها كل من عنده الرغبة فى أن يسلك هذا المسلك فى دراسة المعنى من ذلك ما قام به ترنش من تتبع تاريخ الكلمة الانجليزية post ، ومن تتبع معانيها المختلفة فى الاستعمالات والسياقات المتنوعة . وجد ترنش أن هناك علاقة قوية تربط بين هذه المعانى جميعا ، هذه العلاقة تدور حول فكرة « الشىء الموضوع أو الثابت فى مكان ما » . كما وجد أن تاريخ هذه الكلمة يرجع إلى الكلمة اللاتينية positus التى تفيد هذا المعنى نفسه وكذلك فعل جرينو وكتردج (Greenough and kiettredge) ، بالنسبة للكلمة الانجليزية head ، فإنهما بعد أن سجلا عشرة معان مختلفة لهذه الكلمة ، يصرحان بأن « كل معنى من هذه المعانى يمتد امتدادا مباشرا من المعنى المركزى أو الأولى لها »[1] .

وكان من الضرورى أيضا أن يعرض الدارسون لمسألتين أخريين اقتضاهما منطق البحث فى تغير المعنى . المسألة الأولى — وقد أشرنا إليها آنفا — تتمثل فيما قام به هؤلاء اللغويون من تقسيم التغيرات التى تلحق بالمعنى إلى أنواع أو مجموعات ، كتعميم المعنى أو تخصيصه ، أو نقله إلى معنى آخر وهكذا . وكان الهدف من هذه الخطوة — فيما نرى — هو إخضاع الأمثلة الفردية الكثيرة لنوع من التنظيم والتنسيق بوضعها ضمن قاعدة أو إطار عام ، يضمن لها سهولة الحصر والمتابعة كما يضمن الحد نسبيا من ذكر التفاصيل والجزئيات .

(1) See J.R. Firth, Papers in Linguistics, 2nd.ed.pp. 815.

(١) انظر فيرث المرجع السابق ص ٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما المسألة الثانية التى نعنيها هنا فتختص بالبحث عن الأسباب التى تكمن خلف هذه التغيرات وعن الظروف التى دفعت بالمتكلم إلى مجاوزة المعنى الأصلى للكلمة واستغلالها فى معنى أو معان أخرى .

ولقد اختلف الباحثون فيما بينهم إزاء الأسباب الحقيقية أو المباشرة للتغير فى المعنى فبينما يميل البعض إلى رد التغيرات إلى أسباب منطقية ، نرى فريقا آخر يعزوها إلى أسباب نفسية ، وهناك فريق ثالث يرجع هذه التغيرات إلى أسباب اجتماعية صرفة ، ومن سلك المسلك الأول فى هذه القضية دارمستتر الذى لخص الظروف والأسباب المنطقية لتغير المعنى تحت عنوان مألوف فى الدراسات اللغوية ، هو « المجاز » بأنواعه .

وقد كان بريال أكثر ميلا إلى التفسير النفسانى لتغير المعنى ، ولكنه فى الوقت نفسه كان يبدى اهتماما ببعض الأسباب الاجتماعية ، أما الاعتماد على التفسير النفسانى الصرف فيظهر واضحا فيما ذهب إليه سبيربار (Sperber) فى هذا الشأن .

وقد ركز هذا العالم اهتمامه على مشكلات أو مجالات معينة ، هى مجالات الاستعارة (wetaphors) ، حيث يرى أن التفسير النفسانى لتغير المعنى فى هذه المجالات واضح بين ، أما ميبه (Meillet) فيرى أن تغير المعنى يرجع إلى مجموعة من الأسباب أهمها وأوضحها الأسباب اللغوية والتاريخية والاجتماعية . وقد تجتمع هذه الأنواع الثلاثة فى المثال الواحد وقد تنفرد ، ويتبين لنا من هذا أن ميبه يمثل مدرسة قائمة بذاتها فى هذا المضمار .

والذى نود أن نؤكده هنا - على كل حال - هو ما تضمنه هذا المنهج التاريخى فى دراسة المعنى من مبادئ . هذه المبادئ تتلخص فى ثلاث نقاط مهمة . هى أساس التفرقة بينه وبين المنهج الوصفى الذى سنشير إليه فيما بعد . هذه النقاط الثلاث هى :

١ — دراسة المعنى من الزاوية التاريخية تعنى دراسة التغير الذى يصيب هذا المعنى من فترة زمنية إلى أخرى .

٢ — الكلمة الواحدة لها معنى أصلى واحد مستمر الوجود فى صور أو معان مختلفة . هذه الصور أو المعانى يرتبط بعضها ببعض بوجه من الوجوه ، ويمكن إرجاعها جميعا إلى هذا الأصل الأول .

٣ — هذا المنهج يستلزم تشقيق المعنى إلى أجزاء أو عناصر ، أى أنه يقتضى تشقيقه أو تحليله إلى ما يسمى بالمعانى الأصلية أو المركزية أو الأولية من جهة ، وإلى ما يسمى بالمعانى الفرعية أو الهامشية أو الثانوية (أو التطبيقية) من جهة أخرى . وهذه النقطة الأخيرة - كما نرى - تتضمن أن كلمة « المعنى » نفسها تستعمل فى أكثر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من معنى أو مدلول ؛ فهى سرة تطلق على المعنى المركزى ، وأخرى على المعنى الهامشى وهذا .

وقد ظلت دراسة المعنى تسير على هذا النهج التاريخى حتى جاء دى سوسير (de Saussure) فى أوائل هذا القرن وفرق تفريقا فنيا بين نوعين من الدراسة فى البحوث اللغوية : دراسة دياكرونية (diachronic) أو تاريخية (historical) ، ودراسة سينكرونية (Synchronic) أو وصفية (descriptive) . وكان من الطبيعى أن يطبق هذا التقسيم الثنائى على البحوث الخاصة بالمعنى ؛ فظهر فى الحقل اللغوى ما يعرف بالمنهج التاريخى أو الديناميكى (dynamic) والمنهج الوصفى أو الإستاتيكى (static) فى دراسة المعنى . واختص المنهج الأول بدراسة تغيرات المعنى والعلاقات بين هذه التغيرات من عصر إلى عصر ومن فترة زمنية إلى أخرى . أما المنهج الوصفى فوظيفته البحث فى المعنى فى حالة معينة من حالات اللغة وفى فترة زمنية محددة .

وبالرغم من أن دى سوسير قد حدد مجالات كل منهج واختصاصاته على حدة ، بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر ، هناك حالات كثيرة يجتمع فيها المنهجان ويعتمد فهم كل منهما على فهم الآخر . فالمشترك اللفظى مثلا (أى إذا أخذ فى حالة وفترة معينة) ظاهرة لغوية ثابتة ، ويقع بحثه حينئذ فى نطاق المنهج الوصفى ولكن التعارض أو الاختلاف فى المعنى بين أفراده لا يمكن فهمه أو الوقوف عليه إلا إذا تتبعنا تطوره التاريخى الذى أدى إلى هذا التعارض أو الاختلاف .

فكما ابتكر بريال المصطلح la Sémantique لإطلاقه على الدراسات الخاصة بالمعنى ، أو بعبارة أدق ، لإطلاقه على دراسة تغيرات المعنى ، كان دى سوسير الرائد الأول فى التفريق العلمى بين منهجى البحث فى المعنى المشار إليهما فيما سبق . ويفهم من كلامه فى هذا المجال أنه يقصر (Semantics) La Sémantique على المنهج الدياكرونى أو الدراسة التاريخية الخاصة ببحث تغير المعنى ، وهذا فى الواقع ما فعله كثير من اللغويين القدامى منهم والمحدثين على السواء . أما النظرة السنكرونية أو علم المعنى الوصفى فهو فى نظر دى سوسير يمثل جانبا واحداً من جوانب علم عام لم يتطور بعد سماه Semiology (أو علم الرموز) . هذا العلم الأخير وظيفته دراسة استعمال الرموز بوجه عام ودراسة وظائفها فى غمار الحياة اليومية . ومن البديهى أن تطبق هذه الدراسة على الكلمات والجمل ؛ فهى رموز أو مكونة من رموز لغوية .

ويعلق دى سوسير أهمية بالغة على هذا العلم الجديد فى ميادين مختلفة . فلو أخذنا الطقوس والشعائر الدينية والعادات والتقاليد مثلا ، ونظرنا إليها على أنها رموز عرفية ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لاستطعنا أن نلقي ضوءاً على حقائق اجتماعية كثيرة ، ولاتضح لنا في الوقت نفسه ضرورة ضم هذه « الرموز » إلى بحوث هذا العلم (أي علم السيميولوجيا) ؛ حيث إن قوانينه — فيما لو وجد وتطور — كفيلة بتفسيرها وتوضيحها . ويرى دي سوسير أن « علم اللغة نفسه ماهو إلا جزء من علم الرموز العام » كما يرى أن علم اللغة لا يستأهل أن يكون علما ، ولن تصبح له قيمة العلوم الأخرى إلا إذا اعترفنا بعلاقته وارتباطه الوثيق بهذا العلم(١) .

ويؤخذ من هذا الكلام أن العلاقة بين « علم الرموز » وبين علم اللغة هي علاقة العام بالخاص ، ومن باب أولى تكون العلاقة بين العلم الأول وبين علم المعنى السنكروني أو الوصفي ؛ حيث إن هذا الأخير ماهو إلا فرع من فروع علم اللغة(٢) .

(1) See de Saussure, Cours in General Linguistics, translated into English by W. Baskin, pp. 16—17.

(٢) يفهم من كلام أستاذنا فيرث أن دي سوسير قد جعل للمصطلح Semiology (علم الرموز) مرادفا للمصطلح Semantics Synchronic [أي علم للمعنى السنكروني أو الوصفي] . وقد تبع فيرث في ذلك زميلنا الدكتور تمام حسان . والحق أن دي سوسير لم يجعل أحدهما مرادفا للآخر ، وكلامه واضح في أن علم للمعنى الوصفي (بل علم اللغة نفسه) ليس إلا جانباً من جوانب علم الرموز العام . انظر فيرث : المرجع السابق ص ١٧ ، والدكتور تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ص ٢٥١ ، ودي سوسير : المرجع السابق ص ١٦ — ١٧ .

ومهما يكن من أمر فإن هذا المنهج الجديد الذي ابتكره دي سوسير في دراسة المعنى (وفي دراسة مشكلات اللغة بوجه عام يعد أخطر حدث ظهر في الحقل اللغوي في القرن العشرين ، كما يعد فاتحة البحوث اللغوية الدقيقة المتخصصة . ذلك بأن التفريق بين ما هو تاريخي وبين ما هو وصفي ، أو الفصل بين منهجين متميزين من مناهج الدراسة — قد جنب العلماء كثيراً من التخبط الذي وقع فيه السابقون من اللغويين ؛ إذ كانوا يعقدون قضاياهم ويطمسون حقائقهم بالخلط بين مناهج الدراسة وأساليب البحث في اللغة .

ولما ظهر هذا المنهج الوجود أخذت تتلقفه العواصم الأوربية المختلفة ، وعكفت على دراسته حتى استبانت معالمه واتضحت مزاياه ، ومنذ ذلك الوقت ودراسات المعنى (بل والدراسات اللغوية بوجه عام) تسلك مسلكين متميزين : مسلكا تاريخياً وآخر وصفيا ، وأصبح لكل مسلك أو منهج أنصار وأتباع بل ومدارس لغوية مستقلة . ويبدو أن المنهج الوصفي كان أكثر حظا من صاحبه ؛ حيث إنه اليوم أكثر شيوعا بين اللغويين المعاصرين ولعل ذلك راجع إلى سمة العصر الذي نعيش فيه من اهتمام بالحاضر والواقع الملموس .

الدكتور كمال بشر
مدرس علم اللغة العام بكلية دار العلوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع

للأستاذ محمد محيي الدين المسيري

ولد عبد الرحمن بن خلدون فى تونس فى غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) وهو سليل أسرة عز ومجد . تقلب أجداده فى قصور الأندلس والمغرب، وتولى كثير منهم مناصب الدولة الرفيعة . أما والده فقد أخلد إلى التحصيل والدرس وبرز فى الفقه وعلوم اللغة ، وقد أخذ ابن خلدون عن أبيه حبه للعلم والتحصيل ودرس على أشهر أساتذة تونس ، وكانت حلقات العلم فيها مزدهرة . فما بلغ العشرين إلا وقد قرأ القرآن وحفظه ودرس الفقه والحديث وبخاصة الفقه المالكى وهو المذهب السائد فى المغرب والأندلس . وقد دأب ابن خلدون على التحصيل كلما وجد إلى ذلك سبيلا فدرس المنطق والفلسفة وتفوق فيهما

وقبيل بلوغه العشرين نادته الحياة العامة كما نادت أجداده من قبل فنزل إلى ميادينها وخاض غمارها . وكانت نفسه تجيش برغبة تجديد تقاليد أجداده فى إدارة الدولة وتصريف أمورها ، وكان والده قد جانب تلك التقاليد وآثر عليها العزلة والاعتكاف للدراسة والبحث العلمى . وقد استطاع ابن خلدون أن يحقق أمنيتين كبيرتين ، وهما مجد الرياسة والمجد العلمى . فتابع سيرة أبيه من حيث العلم وجدد سيرة أجداده وبزهم من حيث السياسة ، وكان العالم المبتكر النابه والسياسى الحاذق الماهر والمقاتل الصامد المدبر والسفير الحكيم الموفق ورجل الدولة البصير الحازم والكاتب البليغ والشاعر المبدع والقاضى العالم ... والأستاذ الفقيه ...

وقد تولى ابن خلدون بنفسه كتابة تفاصيل حياته فى كتابه « التعريف والعبر » فأغنانا بذلك عن الغوص عليها والجهد فى اجتلائها .

تميز ابن خلدون فى حياته بكثرة الأسفار ونحن نراه قبل أن يكتب المقدمة ينتقل من تونس إلى فاس إلى غرناطة إلى بجاية إلى الجزائر ... تلك الأسفار أتاحت له فرصة الاختلاط بمختلف الأوساط العلمية ، كما زودته بثروة نفيسة من التجارب . وهو فى تنقله بين تلك البلاد قد درس الحضر والبدو وحالة الأسواق والتجارة والصناعة وطرق المعاش مما أفاده اطلاعا وتجربة ستكون لها أثر كبير فى تدوين المقدمة ... فالمقدمة وإن استغرقت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كتابتها خمسة أشهر إلا أنها ثمرة تفكير وتحصيل وفير سابق .

لقد كانت الحضارة بلغت شأوها فى الأندلس والمغرب ، فهناك المكتبات الحافلة بالمؤلفات ، وهناك جامعات منتشرة بين أرجائها ، وهناك تكريم العلماء من قبل أصحاب الدول . إذ كانوا يقربون اليهم العلماء . وكان تنافسهم على تقريب العلماء أحد أوجه التنافس السياسى الشديد الدائر بينهم . فالأندلس والمغرب شيع ودويلات . وحول كل قصر حاشية من أهل العلم يسعى صاحب الدولة إلى أن يكسب دولته بهم أبهة وشهرة .

فالوسط العلمى المحيط بابن خلدون كان مشجعا له على المضى فى تحصيله وإنتاجه لولا كثرة الفتن والاضطرابات السياسية ... وأما الأحوال المعيشية فقد شهد ابن خلدون منها البدو على شدة بداوتهم والحضر فى مزيد من تنعمهم . فبادية المغرب يسكنها البربر الذين اشتهروا بشظف العيش . والأندلس وحواضر المغرب قد بلغت الحضارة فيها أوجها ... لذلك كانت تنقلات ابن خلدون فى بقاع المغرب والاندلس مكسبة له ثروة لا تقدر من المعلومات عن أحوال الناس المعيشية . فإذا أضفنا تجاربه إلى تحصيله العلمى إلى تشجيع أصحاب الدول على الإنتاج العلمى أدركنا أثر الزمان والمكان فى إنتاج ابن خلدون المبدع ، وخاصة فى مقدمته .

الطابع العلمى فى مؤلف ابن خلدون :

تمتاز النظرة العلمية الحديثة بتحكيم قانون السببية فى الظواهر المراد دراستها وتلك النظرة هى الفاصلة بين العتيق البالى من الدراسات وبين القديم المحافظ على قيمته العلمية . والعبرة فى الدراسات العلمية ليست فى الوصول إلى نتائج لاتخضع للإصلاح أو التقويم وإنما مقياس قيمتها فى الطريقة العلمية المتبعة فيها . أما نتائج الدراسات فلا زالت تخضع للتغيير والتبديل ، والنظريات الجديدة تحل محل النظريات القديمة أو تعدلها أو تكملها .

وقد بدأت تلك النظرة العلمية أول ما بدأت فى مجال الظواهر الآلية والمحسوسة مثل الكيمياء والطبيعة حيث يمكن للباحث تحقيق المسائل العلمية فى سهولة . ثم انتقلت تلك النظرة إلى مجال الظواهر الاجتماعية المجردة وأخذ العلماء يقررون أن بين الظواهر الاجتماعية علاقات تلازم ولزوم ، وأن هنالك قوانين ثابتة تحكمها وقد وضحت هذه النظرة العلمية فى دراسة الاقتصاد فى كتاب آدم سميث (ثروة الأمم) وإليه ينسب فضل تأسيس أول مدرسة علمية فى الاقتصاد .

وفى القرن الرابع عشر أى قبل آدم سميث بأربعة قرون درس العلامة ابن خلدون الظواهر العمرانية دراسة عميقة على أساس علمى متين مقرراً أن الظواهر العمرانية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى تزاحمها وتوالبها تحكمها قوانين . ومن تلك الظواهر العمرانية الظواهر الاقتصادية . وكانت وسيلته فى الدراسة الاستقراء والقياس وإن كان يغلب عليه طابع الملاحظة والاستقراء أكثر من مجرد تتبع الأفكار التجريدية . وهو إلى صواب طريقته وسعة آفاق بحثه وعمق تفكيره يمتاز باتزان فى الحكم واعتدال فى الرأى .

ربما لم يتصل افكار الاقتصادى لابن خلدون بالمدرسة الاقتصادية الحديثة وقد يكون صوته قد ظل من غير صدى فى الأزمنة الحديثة التى شهدت تقدم علوم الاقتصاد ولكن هذا لا يقلل من فضله . فإن كتابته جديرة بأن تكون نقطة البدء للمدرسة العلمية فى الاقتصاد . فهى ليست مجرد جمع لمعارف منوعة ولكنها مجموعة معارف منظمة ومرتبة ينطبق عليها لفظ العلم فى معناه الدقيق او كما يلاحظ الأستاذ شميدت [1] أنها مما يطلق عليه لفظ (wissenscheft) وليس مجرد لفظ (wissen) ، وأن البحوث الحديثة وإن كانت تستند إلى وسائل بحث أنجع إلا أنها فى شكلها وموضوعها مماثلة لبحوثه [1] مما جعل الأستاذ فلينت يقول : « إن ما ألفه ابن خلدون عظيم الشأن كبير القيمة بحيث يحفظ اسمه وشهرته فى سجل الخالدين بين الأجيال المتعاقبة [2] » .

لقد اكتملت لابن خلدون سبعة قرون من الحضارة الإسلامية تعاقبت فيها دول وظهرت أحزاب وشيع وتنازعت ممالك وإمبراطوريات وبدو وحضر وأدخلت صناعات جديدة وحاجات جديدة وأترفت مجتمعات . فوجد فى حوادث القرون السبعة مادة للتأمل ووجدت عبقريته فيها ، وفى حوادث التاريخ الآخر مجالا للبحث والتدقيق والتحليل والاستنتاج لكشف سير العمران واتجاهاته وأسباب قوة الشعوب وأسباب الانحلال ، من وجهة الاقتصادى

(1) "When Ibn Khaldoun speaks of science (ilm) he does not mean knowledge in the rough but that certain and systematized knowledge which to us is science not wissen but wissenschaft."

N, Schmidt, ibn Khaldoun, Historian, sociologist and philosopher P. 21.

(1) "The work is of genuine merit. This .is best evidenced by the fact that a similar structure is being built to day ona more solid basis. In its genesis and growth it resembles his . . ."

N. Schmidt, P. 21.

(2) "The work he left is sufficiently great and valuable to preserve his name and fame to latest generations. . ."

R. Flint, Historical Philosophy 1893, P. 157.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ورجل الدولة السياسى والاجتماعى والعالم النفسانى . وأن تقديم المدرسة العلمية فى الاقتصاد أربعة قرون بنسبتها إليه لما له أهميته بالنسبة لتاريخ الحضارة عموما والحضارة الإسلامية خاصة وبالنسبة لعلم تاريخ النظريات الاقتصادية .

مقدمة ابن خلدون والغرض منها :

ومقدمة ابن خلدون هى أشهر كتبه وهى الجزء الأول من كتابه المكون من ثلاثة أجزاء المسمى كتاب العبر فى ديوان المبتدأ والخبر عن العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر وهو محاولة لتحرير تاريخ عالمى مع توجيه عناية خاصة بتاريخ المغرب ..

وقد لاحظ ابن خلدون عند كتابة تاريخه أن المؤرخين كثيراً ما يقتصرون على النقل مع أن الروايات التاريخية يختلط فيها الغث بالثمين والباطل بالصحيح على مر الزمن . فلابد من رد تلك الروايات على معيار يبين وجه الصحة أو الخطأ فيها .

فالتاريخ الجدير بهذا الاسم ليس مجرد تسجيل وقائع تاريخية وأسماء ملوك وسنين مواقع وتعاقب أناس ودول . إنما هو ذلك العلم الذى يخرج للناس صورة حقيقية واضحة لتطور العمران والمجتمع البشرى .

ولكى يحقق مثل هذا العلم المقصود منه يجب أن يستند إلى معرفة طبائع العمران . وعلى المؤرخ أن يستند فى نقده الخبيث من الطيب إلى علم العمران يقيس على قواعده الروايات التاريخية . فما اتفق منها والسير الطبيعى للعمران أخذه بعين الاعتبار . وما كان غير ذلك أسقطه ونبذه .

تلك هى مهمة المؤرخ أصلا . فالمؤرخ ليس فقط ناقلا عليه إثبات صحة النقل إنما هو ناقل وناقد يتحرى صحة النقل واحتمال صحة المنقول ويحاول أن يستخلص من الجزئيات كلا متماسكا يمثل سير العمران على مر السنين .

ومهمة المؤرخ هذه كما صورها ابن خلدون تفترض وجود قواعد للعمران مقررة ومسلما بها ، يستعين بها المؤرخ . وقد أحس ابن خلدون بالنقص الحاصل لزمنه فى هذا الباب فأخذ على عاتقه تقريرها . ومحاولته هذه استغرقت الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر وهو الجزء المعروف بمقدمة ابن خلدون .

يقول ابن خلدون موضحا غرضه هذا « وأما الإخبار عن الواقعات فلا بد فى صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة لذلك وجب أن ينظر فى إمكان وقوعه وصار فيها ذلك أهم من التعديل ومقدما عليه إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة . وإذا كان ذلك فالقانون فى تمييز

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحق من الباطل فى الإخبار بالإمكان واستحالة أن ننظر فى الاجتماع البشرى الذى هو العمران وغير ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن ان يعرض له - وإذا فعلنا ذلك كان ذلك انا قانونا فى تمييز الحق من الباطل فى الإخبار والصدق من الكذب بوجه برهانى لا مدخل للشك فيه . وحينئذ فإذا سمعنا عن شىء من الأحوال الواقعة فى العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه وكان ذلك لنا معياراً صحيحا يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الأول من تأليفنا وكأن هذا علم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو العمران البشرى والاجتماع الإنسانى وذو مسائل وهى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى ، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقلياً (١) » .

فالغرض من المقدمة إذا ايجاد مقاييس أو قواعد علم العمران نعرض عليها الروايات التاريخية (٢) . وعلى ذلك يكون موضوع المقدمة هو ما نسميه علم الاجتماع . ويكون ابن خلدون بذلك مكتشف علم الاجتماع أو العلوم الاجتماعية .

لم يقتصر ابن خلدون على وضع أسس علم الاجتماع بل اكتشف فوق ذلك علم التاريخ . ذلك أنه رأى بين الظواهر التاريخية علاقات تلازم وتباين واستنتج أنه لا بد من وجود قواعد وقوانين ثابتة تنظم تلك الظواهر فسعى لاستخلاصها وكانت محاولته هذه الحجر الأول فى بناء علم التاريخ .

ولو أنه سجل جزئيات من هذا العلم لكفاه ذلك فخرا . لكنه أراد أن يسلك تلك الجزئيات فى عقد منتظم فوصل إلى فكرة كلية شاملة فى تفسير التاريخ . وتدل كتابته على أن التاريخ يخضع إلى حد كبير لعوامل اقتصادية فيكون ابن خلدون المؤسس الأول لمدرسة تفسير التاريخ تفسيرا اقتصاديا .

وعلى ذلك تكون مقدمة ابن خلدون دائرة معارف فى علوم الاجتماع وفى علم التاريخ وفى تفسير التاريخ . وإن كان الغرض الأول منها مجرد إيجاد قواعد لضبط الروايات التاريخية .

أثر المقدمة فى تاريخ ابن خلدون :

أفاض ابن خلدون فى شرح آرائه العلمية عن سير العمران فى كتاب المقدمة وقصد بحشد آرائه فيها إلى إظهار ما لعلم العمران من طابع مستقل فهو يقول : « وكأن هذا علم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو

(١) مقدمة ابن خلدون - المقدمة الأولى من الكتاب الأول ص ٣٦

(٢) يقول ابن خلدون : لا بد من رد الاخبار إلى الأصول وعرضها على القواعد المقدمة ص ٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العمران البشرى والاجتماع الإنسانى وذو مسائل وهى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى (١) » .

لذلك تناول فى الفصول التاريخية غرضا آخر فاقتصر على سرد كبريات حوادث التاريخ فى ترتيب محكم وتبويب دقيق وعالج تلك الحوادث لا على طريقة التأريخ (annaliste) أى حسب جداول السنين ، وإنما قسم تاريخه كتبا وقسم الكتب أبوابا وفصولا ، وضرب صفحا عن جداول السنين ، واتخذ الدولة المتصلة وحدة لمباحثه ، وإن كان قد سبقه إلى هذه الطريقة بعض المؤرخين المسلمين مثل المسعودى وابن عبد الحكم المصرى .

وقد رمى بعض المؤرخين ابن خلدون بالقصور فى بعض نواحى تاريخه ، على أنه هو نفسه يبادر بالاعتذار فيقول : « وأنا ذاكر فى كتابى هذا ما أمكننى منه فى هذا القطر المغربى إما صريحا أو مندرجا فى أخباره وتلويحا ، لاختصاص قصدى فى التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأممه . وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الأقطار لعدم اطلاعى على أحوال المشرق وأممه وأن الأخبار المتناقلة لا توفى كنه ما أريده منه (٢) » . فالقصد الأول هو ذكر تاريخ بلاد المغرب وتسجيل غير المدون من حوادثها . وتناول بالإضافة حوادث المشرق فكان من المتوقع أن يكون فى كتابه بعض القصور فيما يخص أخبار المشرق .

وفى الكتاب فصول كثيرة قيمة تعتبر من المراجع التاريخية النفيسة ، خاصة ما تعلق منها بدول البربر ودولة العرب فى صقلية وتاريخ الدول المسيحية المعاصرة .

يقول دوزى عن تاريخ ابن خلدون : « إن مؤرخا نصرانيا لم يوفق إلى كتابة تاريخ أية دولة إسلامية بمثل الدقة والوضوح اللذين امتازت بهما كتابة ابن خلدون عن دولة النصارى فى أسبانيا » .

ويقول شميدت : « لو أن ابن خلدون لم يترك سوى كتابه فى التاريخ لظل هذا رمزا قائما للبحث العميق والعلم الغزير والحكم الدقيق » .

وتناول ابن خلدون تاريخه ، فى مصر ، ببعض الإضافة . وفى هذه الإضافات يظهر طابع ابن خلدون كمناقد اجتماعى مثال ذلك الفصول الخاصة بدولة السلطان برقوق ، إذ تراه يطبق نظريته فى العصبية وطغيان الحضارة عليها واندثار الدولة بتأثير الترف وانتقال الملك إلى من كانوا أكثر بداوة وبثهم روحا جديدة فى الدولة ، وكذلك تراه يطبق نظريته هذه بالنسبة لدولة المماليك المصرية .

(البقية فى العدد القادم)

محمد محيى الدين المصرى

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٣٦ .

(٢) ابن خلدون المقدمة ص ٣٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مقومات التطور فى الاسلام

الأستاذ عباس طه

تطور الجماعات فى الناحيتين الأدبيـــة والاجتماعية من الأمور التى يجب أن تعنى بها الشرائع لأنها من أمس الأمور بحياة الأمم . فالجماعات التى تعيش على حالة واحدة . تقف حيث هى ، ويسبقها من كان دونها من الجماعات .

وقد جنت شرائع كثيرة على أهلها من هذه الناحية جنايات تعتبر غاية فى العنت والشذوذ فمن ذلك أن المسيطرين على أوربا بعد القرن الرابع الميلادى ألفوا أهلها فى حالة جمود أكثر من عشرة قرون . فلم ينجح منهم عالم واحد فى علم من العلوم . وانحط ما كان لديهم من آثار اليونانيين والرومانيين من المعارف والفنون حتى بعث الله المسلمين فاستخرجوا تلك الكنوز المدفونة وأرسلوها نورا ساطعا غمروا به الناس ، وبما زادوا عليه من نورهم قرونا كثيرة ، حتى استأهلوا أن يلقبوا ببناة المدنية الحديثة . وما أوتيت الأديان من مأمنها ودب إليها الوهن إلا من ناحية إغفال قادتها هذه الناحية فى تعاليمهم : ناحية التطور فى كل مجال من مجالات النشاط العلمى والعملى والذى حدا بأولئك القادة إلى سد طريق التطور فى وجوه أتباعهم ، أنهم تخيلوا أن التطور يخرج بهم عن الأصول القديمة ، ويفضى إلى ضياع ما ائتمنوا على حفظه وغفلوا عن أن التطور الحق إذا عدا على شىء فإنما يعدو على الباطل ، أما الحق فيزيده جلاء ولألاء .

أما شريعة الإسلام فلا أقول : إنها قد احتاطت لهذه الناحية فحسب ، ولكنى أقول: إنها فرضت التطور على أهلها فرضا ودفعتهم إليه دفعا ؛ لأنها شريعة عهد الرشد للأمم . وقد علم الله أن الأمم فى هذا العهد تطفر فى الترقى طفرا ، وتقطع المراحل إليه قفزا ، فهى بحاجة إلى شريعة لا تناسب حالتها الراهنة فحسب بل تهيئ لها وسائل التقدم ، وتعبد لها طرقه ، وتمدها فيه بقوة معنوية فوق قواها الطبيعية .

قلنا : إن الإسلام قد فرض التطور على أهله فرضا ودفعهم إليه دفعا ، وإلا فكيف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفسر انتقال المسلمين بعد أخذهم بهذا الدين من عداد الأمم الجاهلية المسودة ، إلى مصاف الأمم العالمة السائدة أستغفر الله بل إلى صف فوق الصفوف صارت فيه وحدها حافظة للعلم والحضارة والفنون دون سائر الأمم . وقد اعترفت الأمم كافة لها بالزعامة قرونا طويلة كانت فيه تؤم عواصمها تأخذ عنها العلم والحكمة ، وأسرار الصنائع والفنون ، أليس هذا لأن الإسلام يفرض على متبعيه التطور فرضا . ولا يكتفي بأن يسمح لها به؟.

هل وضع الإسلام حدا للتطور :

لا : إن الدين الذي يقول لمتبعيه : « ويخلق مالا تعلمون » يفتح أمامهم باحة اللانهائية فلا يدع في أنفسهم حاجة إلى السؤال عن الحدود والغايات ، لذلك كان المسلمون الأولون مندفعين وراء العلم اندفاعهم وراء الحياة ، ولا عجب فإن الدين الذي يصرح بأن عقل آيات الله وإدراك أسرارها من حظ أهل العلم دون سواهم فيقول : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» يجب أن يوصف بأنه دين العلم غير منازع .

هل وضع الإسلام لشهوات العقول حدا ، وهل أوصد في وجه مستفيد مجالا ؟

اللهم لا . ولكنه أباح للعقول أن تجول في كل مجال ، وأن تجوس خلال كل مجهول تظن أن وراءه فائدة مادية أو معنوية ، وقد ندب الإسلام المسلمين إلى تعلم اللغات الأجنبية وحضهم على تعلم كل علم .

هذا تسامح عظيم بل مراعاة قيمة للطبيعة البشرية ، فإن الإنسان مدفوع بطبعه لأن يرد كل مجهول ويتحسس من كل محجوب ويرمي بنفسه إلى كل مرمى ولو كان وراءه حتفه فإن الدين الفطري الماشي لطبائع النفوس لا يسمح أن يوصد على العقول باحة . ولا أن يضع لمرماها حدا ، وما هو خليق بالإشادة به أن المسلمين اشتغلوا كثيرا بكيمياء الذهب ووصلوا منها إلى نتائج عملية فقد صرح بعضهم بأنه نجح فيما تصدى له منها ، وليس لنا أن نكذبهم كما كنا نفعل قبل سنين معدودة ، إذ أعلن علماء من الكيميائيين في أوربا بأنهم قد توصلوا إلى استخراج الذهب ولكن يمنعهم من صنع مقادير كبيرة منه أنه يتكلف قدر ما يصنع منه

قال بعض المؤرخين الاجتماعيين : إن العرب وصلوا من بعض الفنون والصنائع إلى شأو لم يبلغه الأوربيون بعد . قال العلامة الدكتور (جوستاف لوبون) في كتابه (تمدن العرب) : (العرب مع ولوعهم بالبحوث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع والفنون فقد اكتسبت على أيديهم لصناعتهم جودة عظيمة جداً ، وإننا وإن كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التي سلكوها لذلك فإننا نعرف نتائجها

(البقية على صفحة ٦٣١)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جميعا ، موكبا ، واحداً فى كل احتفال عام ، يتقدم بسمات العبادة أو يقوم على ذكرى من الذكريات الدينية .

* * *

إن العوامل الثلاثة التى أحصاها الأستاذ بكنجهام لها خطرها الذى لا يجهل ولا يهمل ولكنها على جدة أشكالها وأسمائها ليست بالعوارض الجديدة كل الجدة فى تاريخ الإسلام فقد سبقت لها فى هذا التاريخ مثيلات كثيرات ترددت عليه حقبة بعد حقبة ، وتركت آثارها حينا أو ذهبت بغير أثر يذكر ، وسيمر الإسلام بعوامل اليوم كما مر بمثيلاتها قبل اليوم بسلام .

عباس محمود العقاد

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(بقية المنشور على صفحة ٦٢٦)

وآثارها . فنعرف مثلا أنهم اكتشفوا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب ، وأنهم برعوا جداً فى الصباغة ، ومهروا فى سبك الفولاذ مهارة بعيدة المدى . وأنهم فى كثير من فنون الصنائع . قد برعوا براعة لم يلحق لهم فيها شأو » .

نقول : — إذا كانت أوربا على ما وصلت إليه من الإبداع الفنى والصناعى تشهد على لسان أكابر ممثلى العلم والفنون فيها بأن المسلمين وصلوا من الكمال العملى فى كثير من الصنائع إلى أبعد مما وصلت هى إليه . فإن ذلك لا يمكن أن يكون ثمرة تعاليم دينية جامدة . وأزيد فأقول : ولا تعاليم حائلة عليه من الطراز المعروف ولكنها تعاليم من نوع أرفع تسندها بواعث تحضيض على الكمال . وبلوغ غاياته السمو فى كل ضروب النشاط الروحى والعقلى قد مزجت مزجا مقيسا على القابليات البشرية فى كل دور من أدوارها .

عباس طه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

أطلس العالم العربي والشرق الأوسط

للأستاذ عباس محمود العقاد

ظهر فى العهد الأخير أطلس العالم العربى والشرق الأوسط باللغة الانجليزية ، وفيه نحو أربعين خريطة جغرافية للبلاد العربية وبلاد الشرق الأوسط على العموم مع بيان مرسوم لمواطن المسلمين فى قارتى آسيا وإفريقية وبعض المواقع الأخرى من العالم المصطلح على تسميته بالعالم القديم .

واختتم الأطلس ببحث مطول عن تاريخ العرب والإسلام كتبه الأستاذ بكنجهام Beckingham أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة منشستر ، وقال فى فذلكته ما خلاصته .

« ويمكن أن يقال عن يقين : إن هناك عوامل ثلاثة هامة كلها جديد بحيث يصح عقلا أن نترقب منها بداءة صفحة أخرى من صفحات التاريخ العربى ، وهذه العوامل الثلاثة هى الوطنية وحركة التصنيع والحركة « العلمانية » أو حركة الانطلاق من الصبغة الدينية » .

« فى القرن التاسع عشر أخذت الوطنية من الطراز الأوربى تعمل عملها بين أبناء البلاد العربية الذين تلقوا شيئا من التعليم على المنهج الأوربى ، وكان الكثيرون منهم ضباطا عسكريين ، وبدأت الحركة على أقواها فى سورية ومصر ، ... وقد أعقب سقوط الدولة العثمانية قيام عدد من الحكومات العربية بحداستقلالها حدا شديدا نظام الوصاية من قبل بريطانيا العظمى وفرنسا ويحول دون اتحادها الوطنى تنازع البيوت المالكة ومنافساتها ، ولم تتقرر روابط عامة بين هذه الحكومات حتى فى مواجهة الصهيونية ، ولا كان زوال البيوت المالكة قاضيا على منازعاتها ومنافساتها ، ولكن لا خلاف فى استطاعة الدعوات الوطنية أن تثير الشعور فى البلاد وبخاصة بين أبناء الجيل الجديد الذين يكاد هذا الشعور أن يكون بينهم أقوى من الشعور بالإسلام . »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« أما حركة التصنيع فقد كانت ضربة لازب بعد الاحتكاك بالغرب وبعد أن تحولت مواطن آبار النفط من بلاد فقيرة إلى بلاد من أغنى جهات العالم المعمور . وقد أصبح الناس فى الجزيرة العربية حيث بقيت أحوال المعيشة على ما كانت عليه قبل الإسلام — جمهرة من (البروليتارية) الحديثة أى جمهرة الصناع الفقراء فى مراكز التصنيع . وقد اشتركت كل من حركة الوطنية وحركة التصنيع معا فى التمهيد لظهور الروح « العلمانية » التى أضعفت العقيدة الإسلامية ضعفا لم تصب بمثله فى جميع أدوارها التاريخية ، ولو أن الوطنية العربية على الإجمال تجنح إلى موالاة الإسلام أكثر من جنوحها إلى أية عقيدة أخرى . ومن المألوف الشائع أن ترى أناسا من العرب يدافعون عن ديانتهم مدافعة الغيرة والحماسة مع إهمالهم لأداء فرائضها والقيام بشعائرها ، وهى ظاهرة لا تراها مقصورة على الإسلام » .

« وإن طائفة من الأفكار القوية ذات الأثر الفعال فى العالم العربى لهى اليوم وليدة الحضارة الأوربية ، فإن فكرة الدولة الوطنية ذات السيادة كانت هى المثل الأعلى الذى توخاه الزعماء الوطنيون عند ثورتهم على السيطرة الأوربية وقد أفلحوا فى تحقيق استقلالهم السياسى باتباع الأساليب الإدارية وأساليب التنظيم والدعاية ، ومناورات السياسة الحديثة ، وهم يعتقدون أنهم إنما يحققون الاستقلال الاقتصادى باتباع الأساليب الفنية والصناعية الحديثة وأن محاولتهم أن ينهضوا بذلك كله دون مساس بتقاليدهم العربية والإسلامية لجديرة أن تكسبهم احترام الأمم الأخرى كما يكسبهم عطفها ... » .

* * *

ونرى كما يرى القارئ — فيما نحسب — أن صاحب هذه الدراسة يتحرى البحث العلمى فى ملاحظاته على تاريخ العرب والإسلام فى العصر الحديث ، وأن الخطأ إنما عرض له من جانب مذهب التفكير ولم يعرض له من جانب سوء النية .

فهو على عادة الكثيرين من المؤرخين المتأخرين يخلط عند الكلام على حركات التاريخ العرفى بين الوطنية والقومية ، وهما على اقتراب الشبه بينهما مختلفتان بالنشأة والطبيعة ، وقد يقال فى التفرقة بينهما على وجه السرعة إن الوطنية أقرب إلى السياسة والاجتماع وإن القومية أقرب إلى العنصر والسلالة ، وأن الوطنية بمعناها فى مصطلح العلوم السياسية ظاهرة متأخرة نشأت فى الغرب بعد انحلال الدولة المقدسة وانفصال الحكومات عن سلطان الكنيسة ، مع ضعف النبلاء أصحاب الإقطاع وتقرير الحقوق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

للشعوب بجميع طبقاتها ... أما القومية فهي بين العرب على الخصوص سابقة لتكوين الشعوب على الوضع الحديث . ومنها القومية التي جمعت قبائل العرب في وقعة ذي قار لمحاربة فارس . ومنها كذلك قومية القبائل التي ساعدت بني قومها العرب المسلمين عند فتح فلسطين وفتح مصر ، إذ كان عمرو ابن العاص ينتقل بجيشه من حدود فلسطين إلى المنزلة إلى الفيوم ولا يهتم بحماية ظهره من جنود الروم ، اعتماداً على معونة القبائل العربية في تلك الأقاليم .

ولا يزال اسم الأمة باللغة العربية دليلا على صحة فهم هذه الكلمة ورجحانها بالاصطلاح العلمي على الكلمة الأوربية التي تجعل الوطنية علاقة اشتراك في أرض المولد ، فإن الأمة بلغة الضاد تجعل الوطنية مرهونة بوحدة الوجهة والأمانة ، ولا تعلقها بموطن الميلاد كما تتعلق به عند الأوربيين في اصطلاحها الحديث .

وعلى هذا الاعتبار يخطىء المؤرخ الذي يتوهم أن الشعور القومي بين العرب طارئ جديد يخشى منه على قوة العقيدة الدينية ، فإنه كان على أقوى ما يكون في صدر الإسلام بعد فتوح الإسلام الأولى ، ومن أجل هذا قيل أن الشعوبية بين شعوب الإسلام غير العربية كانت بمثابة رد الفعل لقيام الدولة أولا على العنصر العربي دون غيره من عناصر الدولة المتعددة .

* * *

والوهم في مسألة « العلمانية » أظهر من هذا الوهم في مسألة الشعور الوطني أو الشعور القومي ، إذا كان المقصود بالعلمانية مايقابل عندهم « الطقوس الكهنوتية » أو مراسم السلطة التي يفرضها رجال الدين على الدولة .

فالإسلام لم يعرف قط شيئا من قبيل الطقوس الكهنوتية منذ قيام النبي عليه السلام بالأمر وقيام خلفائه به من بعده . ولم يرفض خلفاء بني العباس إدارة الميزانية في دولتهم على حساب السنة النيروزية ، بل لم يرفضوا الاحتفال بالنيروز في موسمه المألوف عند الأقدمين ، ولم يتبع أحد من الخلفاء أو الأمراء المسلمين طقوسا كهنوتية في شئون الولاية أو في شئون المعيشة العامة ، بل كانت أزياؤهم وتقاليدهم على سنة الأمم في عهودهم فارسية وتركية ومتشبهة بالفرس والترك في أزيائها وتقاليدها ، وقد كان خلفاء الأندلس قدوة الأوربيين في المعيشة « العلمانية » ومنهم تعلم هؤلاء الاستقلال عن طقوس الكهنوت وشعائر السلطة المفروضة من جانب رجل الدين ، وليست الكسوة ذات « الجكتة والبنطلون » أول كسوة غربية قبلها المسلمون بعد اتصالهم بشعوب العالم من المشرق إلى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المغرب ، وليس فى العصر الحاضر « علمانية » لم تسبق لها مثيلات كثيرة منذ قيام الدعوة المحمدية دون أن تصيب العقيدة بالضعف أو تمس الولاء للدين فى قلوب أبنائه ، ولعل الصليبيين فى أشد أيام العصبية الدينية بين المعسكرين قد تعلموا من « علمانية » المسلمين أضعاف ما تعلمه المسلمون من علمانية الغرب فى زمانهم ، ولم يحدث قط أن الإسلام كان يوما ما أشد إحساسا بوجوده مما كان أيام الحروب الصليبية ، ولا نستثنى من ذلك جماعة المسلمين الذين خضعوا لدولة بيت المقدس نحو قرن من الزمان ، ولم يطمع فى إسلامهم أحد من حكامهم العلمانيين ولا الكهنوتيين .

* * *

ولا شك أن الأستاذ بكنجهام كان يكتب كلامه عن التصنيع وفى ذهنه منشور ماركس وأنجلز إلى طبقة العمال بين جميع الطبقات ، وهو ذلك المنشور الذى جعل عهد « التصنيع » فى النهاية ختاما لعهود الوطنية والدين ، وخيل إلى كاتبه أن طبقة العمال التى سموها بالبروليتارية مارقة جيما من الدين ومن كل إيمان بالله والرسل بعد شيوع التصنيع فى أمم الحضارة الأوربية .

ولكن هذه النبوءة المادية لم تصدق بين عمال الغرب نفسه إلا بمقدار محدود كان من الجائز أن ينحرف عن الدين فى قطر من الأقطار لم يسمع بالصناعة العصرية ولم يخضع قط لنظام التصنيع الحديث ، فإن المتدينين من عمال البلاد الأوربية والأمريكية يزيدون كثيرا على المنحرفين منهم عن الدين ، وعدد الكتب الدينية التى تنتشر بينهم يزيد على أضعاف أمثالها قبل عهد التصنيع . وليس عند المؤرخين الاقتصاديين حجة على أن العقائد « الصورية » ظاهرة خاصة بزماننا هذا دون الأزمنة الخالية ، فلا تزال أوصاف المجتمع الأوربى فى القصص قبل مائتى سنة تمثل لنا « التدين » فى تلك الأيام على مثال من « العادات الصورية » لا تختلف عنه عادات العصر كثيراً بين جماعات المتدينين المحسوبين فى زمرة المتحللين من فرائض التدين الصحيح .

ويعلم الأستاذ بكنجهام — ولا ريب — أن الحركة النقابية فى بلادنا الشرقية لم تكن والدة التصنيع الحديث ، لأن نقابات الصناع وأصحاب الحرف شاعت فى القاهرة على عهد الفاطميين شيوعها اليوم فى لندن وباريس وواشنطون ، وكانت هذه النقابات قوام المواكب الدينية التى تخلفت بقاياها إلى العصر الحاضر . فلم ينقطع ما بينها وبين المعالم الدينية لارتباطها بتقاليد الحرفة وانقرافها عن الطوائف الأخرى من اتباع رجال الطرق ورواد المساجد والأضرحة ، بل كان هؤلاء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جميعا ، موكبا ، واحداً فى كل احتفال عام ، يتقدم بسمات العبادة أو يقوم على ذكرى من الذكريات الدينية .

* * *

إن العوامل الثلاثة التى أحصاها الأستاذ بكنجهام لها خطرها الذى لا يجهل ولا يهمل ولكنها على جدة أشكالها وأسمائها ليست بالعوارض الجديدة كل الجدة فى تاريخ الإسلام فقد سبقت لها فى هذا التاريخ مثيلات كثيرات ترددت عليه حقبة بعد حقبة ، وتركت آثارها حينا أو ذهبت بغير أثر يذكر ، وسيمر الإسلام بعوامل اليوم كما مر بمثيلاتها قبل اليوم بسلام .

عباس محمود العقاد

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(بقية المنشور على صفحة ٦٢٦)

وآثارها . فنعرف مثلا أنهم اكتشفوا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب ، وأنهم برعوا جداً فى الصباغة ، ومهروا فى سبك الفولاذ مهارة بعيدة المدى . وأنهم فى كثير من فنون الصنائع . قد برعوا براعة لم يلحق لهم فيها شأو » .

نقول : — إذا كانت أوربا على ما وصلت إليه من الإبداع الفنى والصناعى تشهد على لسان أكابر ممثلى العلم والفنون فيها بأن المسلمين وصلوا من الكمال العملى فى كثير من الصنائع إلى أبعد مما وصلت هى إليه . فإن ذلك لا يمكن أن يكون ثمرة تعاليم دينية جامدة . وأزيد فأقول : ولا تعاليم حائلة عليه من الطراز المعروف ولكنها تعاليم من نوع أرفع تسندها بواعث تحضيض على الكمال . وبلوغ غاياته السمو فى كل ضروب النشاط الروحى والعقلى قد مزجت مزجا مقيسا على القابليات البشرية فى كل دور من أدوارها .

عباس طه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آراء وأحاديث

من الأستاذ الأكبر إلى السيد الرئيس:

السيد الرئيس جمال عبد الناصر:

باسم الله الذي خلق الناس من نفس واحدة وجعل التوحيد أساس العقيدة الصالحة، كما جعل الوحدة رباطا لعباده لتكون مبعثا للقوة وداعيا للنصر.

باسم الله نؤيدكم. نقف صفا واحداً لا نعرف الفرقة ولا التخاذل مؤمنين بالله مدافعين عن وحدتنا، فلقد شددتم بهذا أزرنا وكسبتم حقوقا كثيرة لوطننا ورعيتم الله فيه حق رعايته، وجمعتم بين إقليمين حبيبين ارتبطا برباط الأخوة الصادقة والمحبة العميقة كما أكد هذا الرباط وقواه لغة القرآن والتاريخ المجيد والغاية والهدف. فلم تكن الوحدة بينهما شيئا مصنوعا ولا أمرا مدفوعا إليه. وإنما انبثقت الوحدة من إيمان الشعب الذي يقدر مصالحه ويعرف أهدافه وواجباته. فكل خارج عليها يكون خارجا على مقومات الجماعة الفاضلة، مفتتا لكيانها. ولن يرضى شعب أبي مؤمن حر كريم أن ينحرف مع من ينحرف، أو أن يضل سواء السبيل، أو أن يحقق ما قد يدعو إليه أعداؤنا وأعداء الحرية والإيمان، فقد قهرناهم وردنا سيوفهم إلى نحورهم، وأصبحنا أمة قوية عملاقة يسير حاضرها مع ماضيها المجيد. وترسم مستقبلها على واقع من الإيمان بحقها في الحياة حقا كريما، لا يعرف الضيم ولا الذل، ولا تطأطىء رأسها وإنما تقف قوية أبية عزيزة كريمة.

إن يد الله مع الجماعة. ومن شذ شذ إلى النار. والله معك ما دمت معه يؤيدك بالحق ويؤيد الحق بك. وإننا لندعو الله أن يجعل منا أمة قوية البناء متراصة حريصة على أمجادها، فإن ديننا ليدعونا دائما إلى هذه الوحدة، وهذا التماسك حتى نستطيع دائما أن نقف في وجه أعدائها: «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا. واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا».

وإننا بوازع من إيماننا بالله وثقتنا بالوحدة التي تجمع شملنا لنقف جميعا من ورائكم يا سيادة الرئيس وأنت الرجل المؤمن الذي شد الله به أزرنا وقوى به كياننا حتى تكون وحدتنا شاملة جامعة.

«ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز» «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون»

والله يرعاكم ويديم توفيقكم ويسدد خطاكم.

محمود شلتوت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى إخواننا العرب :

لمناسبة الحركة الانفصالية الرجعية التى قام بها شرذمة من ضباط الجيش فى الإقليم الشمالى أذاع الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر البيان التالى : —

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد : فإن أسمى مبدأ فى بناء المجتمعات بعد توحيد الله تعالى ، والإيمان برسله واليوم الآخر مبدأ الاعتصام بحبل الله الذى حث الله عليه ، ودعا إليه ، وحذر من الخروج عن حدوده . فقال فى الدعوة إليه : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقال فى التحذير من الخروج عليه : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

إنكم — إخوانى وأبنائى — لتعلمون حدب الإسلام وشديد حرصه على ائتلاف كلمة أهله ، وعلى أن يقيموا من قلوبهم وإيمانهم حصنا يقيهم شر الاعتداء عليهم ممن يعملون على كيدهم ، وتفرق شملهم ، وإضعاف نفوذهم ، وتضييع سلطانهم وتجريدهم من الحياة القوية الفاضلة ، وتعلمون : أن الله جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أبرز الواجبات ، وأقدس الفرائض التى بنى الإسلام عليها وأودع ذلك صريح كتابه فى آيات بينات ، وإنكم لتعلمون أن أنكر المنكرات وشرما يقوض دعائم الأمم هو الفتن التى تجعل الأمة أشتاتا وأحزابا ، بل تجعلهم أفرادا ولبنات فى بناء ضعيف ، لا يقوى على مقاومة الأحداث ، وإنكم لتعلمون بعد هذا كله أن الفتن التى تؤدى بالأمة إلى هذا المصير تضعف كيانها ، وتصرفها عن أهدافها ، وتجعلها مشغولة بتربص أعدائها بها — وإنكم لتعلمون أن أعظم ما يتقرب به الناس إلى ربهم فى مثل هذه الظروف أن يعملوا على إطفاء تلك الفتن ، وأن يعودوا إلى كلمة التوحيد ، وحدة فى العقيدة ، ووحدة فى السلوك ، ووحدة فى الأخلاق ، ووحدة فى الدعوة إلى ما يرضى الله وبقى البلاد من عوامل الضعف وأسباب الفرقة والانقسام .

أيها الأبناء والإخوان ، هذه دعوتنا لكم ، وهى دعوة الحق فى علاه نرسلها إليكم وندعوكم بها إلى الاعتصام بحبل الله والتمسك بوحدتكم لتبقى لكم العزة والكرامة بين الدول الطامعة فيكم . المتربصة بكم « يا قومنا أجيبوا داعى الله » ، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » .

ندعو الله لكم بالتوفيق والهداية إلى أقوم طريق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

نقد وتعريف

بقلم — محمد عبد الله السمان

---

١ — فلسفة أرسطو للفارابي :

تحقيق الدكتور محسن مهدى

نشرت الكتاب دار مجلة شعر ببيروت ، وقام بتحقيقه الدكتور محسن مهدى ، الأستاذ المساعد فى دائرة اللغات والحضارات الشرقية فى جامعة شيكاغو .

قدم المحقق للكتاب بدراسة مسهبة فى أربعين صفحة ، استطاع خلالها أن يزيل كثيراً من الإبهام عن حقيقة الكتاب التاريخية ، فالكتاب هو الجزء الثالث والأخير من كتاب أبى نصر الفارابى ، أما الجزء الأول فقد نشر فى حيدر أباد عام ٣٤٥ هـ تحت عنوان : تحصيل السعادة ، وأما الجزء الثانى فقد نشر فى لندن عام ٩٤٣ م تحت عنوان : فلسفة أفلاطون .

ثم عرض النص الكامل لكتاب الفارابى معتمدا على النسخة المخطوطة الوحيدة المحفوظة فى آيا صوفيا فى القسطنطينية ، ويتضمن النص فلسفة أرسطو طاليس الذى يرى كمال الإنسان مايراه أفلاطون ، فالمطلوبات الأول للإنسان أربعة : سلامة الأبدان . سلامة الحواس ، سلامة القدرة على معرفة تمييز الأشياء التى بها سلامة هذه ، وسلامة القوة على السعى فيما يكون به سلامة هذه ، وفلسفة أرسطو ترى أن الإنسان ليس يمكنه استنباط الأشياء النافعة ما لم تعرف غاياتها . وإذا كان الإنسان جزءا من العالم .. فمن اللازم أن تعرف أولا الغرض من كل العالم - ولما كانت الأشياء التى توجد الإنسان بالطبيعة والفطرة تتقدم فى الزمان الإرادة والاختيار ، وجب أن يقدم النظر فيما هو موجود بالطبيعة .

وهكذا يعرض النص فلسفة أرسطو على لسان الفارابى الذى ناقشها وعلق عليها .

المجهود الذى بذله المحقق مجهود ضخم ، ولكن كثرة الرموز والحواشى والفهارس التى استغرقت أكثر من ثلث الكتاب من حقها أن تنتزع من القارئ جزءا كبيرا من الفائدة التى يرجوها والمحقق عنى فى المقدمة بتحقيق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثبوت النص دون أن تلقى ولو أضواء سريعة على ماهية النص نفسه . كما أنه حين عرض النص لم يحاول شرح ما يبهم على القارئ المتوسط الثقافة من هذه الفلسفة الدسمة ، وإن كان نشر الكتاب بعد ذلك محاولة طيبة ، لاسيما وأنه من التراث الإسلامي الجليل .

* * *

٢ — خطوات فى النقد :

الأستاذ يحيى حقى

نشرت دار العروبة بالقاهرة هذا الكتاب للأستاذ يحيى حقى ، وعنوانه منطبق تماما على موضوعه ، إذ جاء مجموعة من المقالات النقدية خلال خمسة وثلاثين عاما ، في عام ١٩٢٧ م نقد قصص الأستاذ طاهر لاشين التى نشرها على صفحات مجلة كوكب الشرق ، ثم توالى نقده لأغانى رامى بين عامى ٢٥ ، ٢٨ ولمصرع كليوباترة لشوقى عام ٣٠ ولكتاب الكاتب الفرنسى فرنسيس دى كرواسيه الذى يصف فيه رحلة طويلة بالهند عام ٩٣٠ ، والمخاصمة التى قامت بين تواستوى وتورجنييف عام ٩٣٣ ، ثم نقد قصص الأساتذة : توفيق الحكيم وعزيز أباظة وسعيد العريان ومحمد أبو طايلة وإحسان عبد القدوس ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ويوسف الشارونى ، ومصطفى محمود . وأضاف إلى الكتاب دراسات عن القصة المصرية ماضيها وحاضرها ، وعن الأغنية وجذورها بالدراسة الأدبية ، وعن حاجتنا إلى أسلوب جديد فى أوضاع مجتمعنا الجديد .

الواقع أن الأستاذ يحيى حقى ناقد يضفى على نقده ألوانا من الدراسات الجيدة لما ينقده ، والخبرة أساس فى نقده . فهو لا يلقى الكلام على عواهنه ، بل يعلن الحيثيات التى تسنده من ثقافته ، أما روح المجاملة للمنقود فلا تكاد تحس بها فى كتاباته . والذى نلاحظه من خلال أبحاثه ومقالاته المرتبة ترتيبا زمنيا هو تطور النقد فى بلادنا ، غير أننا كنا نود أن يستقل بدراسة تتطور النقد والأسس الفنية التى يجب أن تعتمد عليها ، وكذلك المثل الأخلاقية التى يجب أن يرتبط بها الناقد ارتباطا وثيقا ..

* * *

٣ — إسلامنا :

الأستاذ الشيخ سيد سابق

نشرت دار الكتاب العربى بالقاهرة هذا الكتاب الجديد الأستاذ الشيخ سيد سابق مدير الثقافة بوزارة الأوقاف ، والكتاب كما يذكر المؤلف فى مقدمته : دراسات إسلامية صحيحة لم يعول فيها إلا على المصادر الأصيلة للإسلام — ولم يشأ أن يقحم فيها نفسه أو يؤولها تأويلا يخرجها عن مضمونها الصحيح .

أما هذه الدراسات التى وضح بعض حقائق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام فى جوانبه الثلاثة : الروحى والخلقى والاجتماعى . فهى دراسات بمثابة موسوعة موجزة لكثير من المعانى الإسلامية يهضمها المثقف الناضج ، ويحتاج إليها من هو اقل منه ، فى الجانب الروحى يتناول الفكر ، والإيمان ، والإخلاص ، والحب ، والشكر والخشية والثقة فى الله عز وجل ، ويتناول فى الجانب الخلقى : الخير والإحسان والحياء والأمانة والصدق ، والرفق ، وفى الجانب الأخير الاجتماعى : يتناول الأسرة وقضاياها المتشعبة وصلة المسلم بأخيه المسلم .

قلت : إن هذا الكتاب بمثابة موسوعة موجزة ، لأن كل هذه المعانى الإسلامية التى تناولها أيدها بنصوص إسلامية معتمدة ، فأصبحت مرجعاً معتمداً للقارىء ولو أن المؤلف استوعب فى كتابه الجيد الجوانب الإسلامية الأخرى : من سياسية واقتصادية وعقيدية ، لجاء موضوع الكتاب مطابقا تماما لعنوانه ، ولو أنه قارن الأفكار الإسلامية بالأفكار الغربية لا سيما المذاهب الخلقية ، والاجتماعية ، لإبراز قيمة الفكر الإسلامى لجاء الكتاب وافيا .

* * *

٤ — السياسة الشرعية :

لشيخ الإسلام ابن تيمية :

نشرت هذا الكتاب مكتبة أنصار السنة المحمدية وقمت بمراجعته والتعليق عليه ، والسياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية من الكتب الجديرة بالتقدير لشيخ الإسلام والعالم المصلح ابن تيمية .

الكتاب قسمان : الأول أداء الأمانات يتناول الولايات والأموال ، والثانى يتناول الحدود والحقوق — وابن تيمية الفقيه والمحدث والعالم المصلح الجرىء . يكتب دائما عن عمق وشجاعة . فهو فى الحديث عن الولاية لا يفوته إبداء رأى الإسلام فى الظلم الواقع من الولاة على الرعية ، ومحاباتهم فى المعاملة لأصناف من المحسوبين ، وهم من أكبر الظلمة الذين يحشرون فى توابيت من نار ، هم وأعوانهم وأشياعهم ثم يقذفون فى جهنم

وعند الحديث عن وجوب اتخاذ الإمارة يذكر أهداف الولاية لدى الكثير : فمنهم من يريد العلو على الناس والفساد ، ومنهم من يريد الرياسة لذاتها ، ومنهم من يريدها دينا وقربة يتقرب بها إلى الله عز وجل ، إنها رسالة فيها جوامع من السياسة الإلهية والإنابة النبوية ، وذلك كما يقول شيخ الإسلام فى مقدمتها :

* * *

٥ — السرقة فى التشريع الإسلامى :

للأستاذ إبراهيم الشهاوى :

هذه رسالة موجزة تناولت السرقة كإحدى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أمراض المجتمع ، عرفها المؤلف لغة وشرعا ووضح حكمها وحكمتها ، من واقع الكتاب والسنة والمراجع الفقهية والأصولية .

وتناولت معنى القطع وحكمه ، وحكمة مشروعيته ورد الشبهة الواردة عليه وشروط وجوبه ، ثم مسألة النصاب وقيمته ثم عرض مسائل اشتهر الخلاف فيها بين الفقهاء مثل : قطع الجماعة فى السرقة ، وقطع السارق إذا أظهر ملكه للمسروق وقطعه إذا رد المسروق إلى صاحبه ، وقطع من سرق من سارق ، وضمان المسروق . ثم ختم البحث بكلمة فى عقوبة السارق من الناحية التاريخية .

الحق أن فضيلة الأستاذ المؤلف ، وهو أستاذ بكلية الشريعة عرض قضية السرقة من الوجهة الفقهية والتشريعية بأمانة ودقة ، وناقش الخلاف فى الفرعيات بين الفقهاء ، واستطاع أن يجعل من بحثه مرجعا مركزا لمسألة السرقة ، إلا أن فضيلته لم يلتزم العنوان الذى اختاره ، فقد جعل عنوان كتابه : السرقة فى التشريع الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ، أما هذه المقارنة فلا يكاد يحس بها القارئ مع أنها ضرورية فى المسألة ، وحين عرضها من الزاوية التاريخية اختصر إلى درجة فيها إسراف ، فقد تعرض لها فى زمن يعقوب وموسى ، وأهمل تشريعات الرومان والفرس وبعض الفلاسفة وغيرهم .

٦ — من تاريخ الصحابة :

للأستاذ محمود النواوى

هذا كتيب للأستاذ النواوى مراقب العلوم الدينية بالأزهر ، نشرته دار الزينى بالقاهرة ، ترجم المؤلف فيه لجماعة من الصحابة كالخلفاء الأربعة وابن عباس وعمر ، وسعد بن أبى وقاص وطلحة والزبير ، كما قدم بطاقات سريعة عن جماعة أخرى من الصحابة كأمهات المؤمنين ، وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وأنس بن النضر وأبى سفيان وأبى الدرداء والبراء بن عازب .

فضيلة المؤلف كتب تراجم مسهبة بعض الإسهاب عن جماعة من الصحابة امتلأت آلاف الكتب بهم ، وكتب فى بطاقات تراجم موجزة إلى حد الإسراف عن جماعة أخرى من الصحابة لم تنفرد بهم تآليف ولا مؤلفات ، وكنا نود أن يكون هناك جديد فى الدراسة ، ولو أنه أفرد كتابه للصحابة الذين لم تعن بهم مؤلفاتنا كثيرا ، وهم من الكثرة بمكان ، لكان أجدى وأنفع ، والعبرة ليست بالتأليف وحسب ، وإنما بأن يكون فى تآليفنا ما قصرت عنه مؤلفات السابقين .

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هكذا أنشد

(من الملحمة التى أنشدها الأستاذ إبراهيم محمد نجا فى مهرجان الشعر العربى الذى عقد بمدينة دمشق فى المدة من ٢٣ سبتمبر إلى ٢٨ منه بدعوة من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى القاهرة)

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

إننى أصنع بالقوة والعزم مصيرى ... إننى أبعث نورى ، ثم أمضى خلف نورى
إننى أسمو إلى القمة كالنسر الكبير ... هاتفا بالريح إنى : لست أخشاك فثورى
هازئا بالضجة الرعناء فى الرعد المثير ... رائيا للبرق يعدو فى الدجى كالمستجير

* * *

إننى أعبد ربى ، مثلما يرغب ربى ... وأراه أينما سرت مع الأيام ... قربى
فى ضميرى ، فى شعورى ، ملء نفسى ملء قلبى ... ويرى إشراق روحى فى مناجاة المحب
وإذا أذنبت يوما ، فهو يدرى سر ذنبى ... جل ربى ... إنه يعرف أشواق وحبى

* * *

أنا نبع تتجلى روحه فى كل قطره ... ينبت البهجة فى الأرض ، وفى النفس المسرة
أنا ظل ليس يلقى الحر فيه مستقره ... أنا بحر قلبه الغضبان إعصار وثوره
إن كنت تراني ، وترى قلبى وسره ... مرة نبعا وظلا ، وسوى ذلك مره

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إنني ألمح خلف الأفق أسراب الحمام ... فوق أرض أينع الحب عليها والوئام
وعلى أغصانها الخضراء نور وابتسام ... إنني أهفو إليها في حنين وهيام
لا أبالي قسوة الشوك ، وطغيان الضرام ... ومعي كل محب ، من رفاقي ، للسلام

* * *

نحن قوم قد نهضنا ، وجمعنا شملنا ... ورفعنا علم الوحـــدة خفاق السنا
وسيبقى ما بقينا ، ثم يبقى بعدنا ... نحن بالأرواح نحميه ، فنحمي مجدنا
فاخشوا يا من سعيتم كالأفاعي بيننا ... نحن ما دمنا جنود الله ، فالنصر لنا

من وحي الأحداث الحاضرة :

سلمت يا بلادي

سلمت يا بلادي ... يا موطن الأحرار
من سطوة العوادي ... وكيد الاستعمار
سلمت يا بلادي

* * *

سلمت للقومية ... والوحدة القوية
وعزة الحرية ... وروعة الانجادِ
سلمت يا بلادي

* * *

سلمت للكفاحِ ... بالعلم والسلاحِ
في موكب الإصلاحِ ... والخير والإسعادِ
سلمت يا بلادي

* * *

سلمت للسلامِ ... يضيء الأيامِ
بنوره البسامِ ... مثل المنار الهادي
سلمت يا بلادي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يا بسمة خضراءَ تمثلت رجاءَ
ونعمة فيحاءَ على ضفاف الوادى
سلمت يا بلادى

* * *

يا نغما فتسامر تشدو به الدنيا فما
قد شاق حتى الأنجما بروعة الإنشادِ
سلمت يا بلادى

* * *

يا قصة الحضارةِ وضيئة العبارةِ
تضئ كالمنارةِ من ساعة الميلادِ
سلمت يا بلادى

* * *

يا مأمن المهاجرِ من بغى كل جائرِ
وعون كل ثائرِ فى وجه الاستعبادِ
سلمت يا بلادى

* * *

نفديك بالدماءِ يا منحة السماءِ
وكلنا فداكِ فى ساعة الجهادِ
سلمت يا بلادى

* * *

عيشى مع الخلودِ خفاقة البنودِ
وانصرى وسودى على مدى الآبادِ
سلمت يا بلادى

ابراهيم محمد نجا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بريد المجلة

أبحاث ودراسات ... لحرب الإسلام

بعد نصف قرن من الدعاية الضخمة عن المادية الجدلية ، والحكم المباشر الذى يعمد إلى إخماد أنفاس الدين والمتدينين ...

بعد هذا الزمن الطويل ، والجهد المرير ، وجد (الإلحاد العلمى !) أنه فى حاجة لعقد مؤتمر : « لبحث موضوع مخلفات الدين الإسلامى ... ووسائل التغلب عليها ! » .

وتولت الدعوة إلى هذا المؤتمر جامعة حكومة داغستان ، وجمعية نشر المعارف السياسية والعلمية فيها . واشترك فيه ٣٥٠ شخصا من مدرسى التعليم العالى وممثلى الجمعية ، والعاملين فى ميدان الحزب ، وفى ميدان الانتاج ، والعلماء والكتاب ...

وكانت كلمة الافتتاح : « يتعين على المؤتمر أن يقدم للعمال مساعدات كبيرة فى الميدان المذهبى ، وأن يزود المحاضرين الإلحاديين بمواد واقعية للقيام بدعاية علمية إلحادية على أساس أحدث ما تحقق فى ميادين العلوم والتكنولوجيا والعلوم الطبيعية ، وأن يعمم الخبرات التى جمعتها المنظمات المحلية أثناء قيامها بهذه المهام بين العمال الكادحين .... » .

وجاء فى تقرير ا . ل . ليتيفوف عالم التاريخ : « ... إن إقامة الشعائر الدينية يصحبها فى عدد من الحالات انتهاك لنظم العمل والدولة ، ومن ثم فإنه يلحق الضرر بالاقتصاد ويفسد الناس من الناحية الروحية كما أن بقايا المخلفات الدينية تقف حجر عثرة فى سبيل تعزيز أواصر الصداقة بين الشعوب وتعمد إلى إبقاء المشاعر البورجوازية ... » .

وصاحب التقرير يشفق من تأييد المسلمين للاتجاهات الاشتراكية : « ومن ثم فلكى تكون الدعاية العلمية الإلحادية مجدية ، يتعين القيام بها بوسائل مختلفة ، على أن تضع نصب عينيها حاجات مختلف طبقات السكان : أى النساء والطاعنين فى السن والشبان والأطفال ، والفلاحين والعمال والمستنيرين .... الخ . ويتعين كذلك أن تستخدم على أوفى وجه جميع وسائل التأثير على الجماهير من الناحية المذهبية : أى الصحافة والسينما والإذاعة والتليفزيون والمعاهد الثقافية والتعليمية » .

وتتابعت التقارير : من دكتور فى العلوم التاريخية ، ورئيس لقسم الإلحاد العلمى ، وأستاذ فى الفلسفة والعلوم السياسية .... » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وسوف نناقش فى هذه المجلة (موضوعيا) بعض المسائل التى أثيرت فى هذه التقارير... لنعرف مواضع الهجوم ، ونتبين أساليب الدفاع .

ولعل دعاة الإسلام يقدرون ضخامة الجهود التى تبذلها أجهزة كبيرة مستعدة . . . . مابين شرقية وغربية .

ويلتقى على حرب الإســـلام (الماديون الملحدون) و (المبشرون المتدينون) . .

والله المستعان على ما يصفون

فتحى عثمان

حول مشكلة الأغانى :

بدأ أحد الصحفيين المنتمين إلى إحدى دور الصحف الكبرى فى القاهرة حملة شعواء على الأغانى الخليعة التى احتلت الجزء الأكبر من برامج الإذاعة .

وكانت الحملة من القسوة بدرجة أثارت ثائرة الذين أطلقنا عليهم عن رضا وطيب خاطر لقب « الفنانين » فدافعوا عن أنفسهم على موجات الأثير وفوق صفحات الصحف .

ولقد جاءت حيثيات الصحفى الذى تولى الحملة قوية اعتمدت على عرض بعض عبارات مثيرة من الأغانى الهزيلة ، التى يرددها الشباب الغض من الجنسين ، والتى لا تليق بشعب يريد أن يكون جادا لا عابثا ، وذا عزمة صارمة لا متخاذلا ، كما جاء دفاع الفنانين بدون حيثيات اللهم إلا أن الشعب « عاوز كده » .

والواقع أننا لم نقدر بعد الأثر السيء الخطير الذى يصيب المجتمع من جراء الأغنية الخليعة ، التى أصبحت تمثل جزءا من كيان المراهقين والمراهقات ، وأشهد أنى حين كنت مدرسا منذ سنوات فى إحدى مدارس البنات الإعدادية ، أزعجنى استعصاء حفظ النصوص الأدبية على تلميذات الفرقة العليا ، وتلاشى هذا الإزعاج حين أجريت تفتيشا على أدراجهن فوجدت خمسا وثلاثين من سبع وثلاثين يحتفظن بأغانى مطربى ومطربات العواطف ، تلك التى طبعت ، وكانت تباع بملاليم أمام أبواب المدارس .

ومنذ أقل من عام اطلعت على خطاب عاطفى أرسله طالب بالسنة السادسة الابتدائية فى إحدى المدارس المشتركة إلى مدرسته الشابة يفيض غزلا ، وكان من صفحتين طويلتين عريضتين ، ولم يهمل جانبا من جسدها دون أن يتفرس فيه ليتغزل ، أما مادة الخطاب العاطفى فقد استمدها الطالب بلباقة من الأغانى العاطفية المسفة .

ونحن إزاء هذه المشكلة لا تدفعنا المغالاة إلى المطالبة بإلغاء الأغانى العاطفية من حياتنا وإنما نطالب بالسمو بألفاظ الأغنية حتى تضفى على إحساساتنا ومشاعرنا مسحة من الرفاهية البريئة ، وبالسمو بالأداء حتى لا يكون أداة لإثارة غرائز المراهقين والمراهقات .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويأتى دور المؤلف فى الدرجة الأولى ، كما يأتى دور الملحن فى الدرجة الثانيـــة ، فالألفاظ السامية قد تحمل الملحن على احترام ألحانه ، ولـكن مؤلف الأغنية العاطفية اليوم محترف ، أصبح كالخباز إزاء بطون جائعة لم تستقبل طعاما منـذ أسابيع ، فهو يستطيع على أحـد المقاهى أن يؤلف أغنية قبل أن ينتهى من رشف كوب من الشاى ، وكثيراً ما سمعنـا أن أحد مؤلفى الأغانى العاطفية — وهو على سرير المرض — أملى أغنية عاطفية بالتليفون على أحد الملحنين ، وأشك أن يـكون لمؤلف الأغانى العاطفية اليوم صلة بالأدب العربى ، ولا ببلاغة العرب ، إذ الألفاظ العامية المبتذلة لا تحتـاج إلى هذه أو ذاك ...

ولـكن لم نلق اللوم كله على المطرب أو المطربة أو الملحن ، وندع الإذاعة والمشرفين على توجيهها . ألا يستطيع هؤلاء المسئولون وضع حد للهزلة ؟ نحن نعلم أن هناك جهازاً يسمى « لجنة الاستماع » ، ولا تمر أغنية دون أن يقرها هذا الجهاز ، فهل تأكسد إلى درجة فقد معها حاسة الاستماع ؟ .

وبعد ... ...

فليست الأغانى العاطفية المسفة وحدهـا تمثل الخطر الأكبر ، فهناك الصورة الخليعة ، والقصة الخليعة ، والتمثيلية الخليعة ، ثم أفلامنـا السينمائية الهزيلة التى لا منهج لهـا ولا هدف .

إن أفلامنا هذه لا زالت دائبـة على لصق صور مثيرة مغرية ، تقشعر منهـا النفوس ، نراها كل لحظة على الجـدران وفوق لوحات الإعـــلانات ، فى أضخم وأهم شوارع العواصم ، ويقـولون : إن هنـاك رقابة على الأفلام وإعلاناتهـا . ولـكن يظهر أن الرقابة فى واد ، ومهازل الأفلام فى واد آخر .

إن مجتمعا محترما يريد أن يثبت أن له كيانا لا يقبل بحال أن تسلط عليه مثل هذه المهازل التى تتمثل فى أغانينـا وصحافتنا وإذاعتنـا وأفلامنا .

ولـكن يظهر أن الكارثة أصبحت أضخم من أن تعالج ، لأن مهازلها تسد فراغا لا يمكن أن يسد بدونها .

والمجتمع هو الضحية أولا وآخراً .

محمد عبد الله السمان

ذو القرنين عربى مؤمن :

سأل أحد قراء مجلة المنار الغراء أستاذنا الإمام السيد محمد رشيد رضا عن ذى القرنين المذكور فى القـرآن ، فأجابه بأنه عربى من أذواء اليمن ، كذى نواس . وذى رعين ، وذى يزن الخ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قال الأستاذ الشيخ يرد على كاتب مجلة المشرق اليسوعية فى قوله :

« إن القرآن الكريم ذكر إسكندر ذا القرنين بما لا يوافق أخبار التاريخ المحققة » : وجوابه أن ذا القرنين المذكور فى القرآن ليس باسكندر المقدونى وإنما هو أحد أذواء اليمن ، ولو خالف أخبار التاريخ (أى القرآن الكريم) لكان ما خالفها فيه هو الحق . اهـ . كلام أستاذنا وأنت تراه قد حصر أن ذا القرنين من أذواء اليمن .

ويقول الإمام ابن خلدون فى الجزء الثانى من تاريخه صفحة ٥٢ مطبعة النهضة : « ثم ملك المنذر بن امرئ القيس وهو ذوالقرنين لضفيرتين كانتا له من شعره » . وأمه ماء السماء بنت عوف وصل نسبها بالنحر بن قاسطة الذى تملك تسعاً وأربعين سنة . فالعرب تعرف من أسماء ملوكها اسم ذى القرنين .

ولما أرخ ابن خلدون مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنه كان فى عام الفيل لأربعين سنة من ملك كسرى أنو شروان وقيل لثمان وأربعين ولثمانمائة واثنتين وثمانين لذى القرنين . فذو القرنين معروف للناس يؤرخون بتوليته الملك كما يؤرخون بتولية كسرى أنو شروان وبالحوادث العظيمة الشأن . ويورد النظام النيسابورى فى تفسيره عدة أقوال فى ذى القرنين منها أنه من أذواء اليمن . وأرجح أن ما تقدم كاف كفاية قوية لنفى الفارسية عن ذى القرنين وإثبات أنه عربى يمنى بشهادة عمدة التاريخ وأستاذ المحققين. ثم نرجع إلى إيمانه فاسمع ما يقوله الله تعالى : قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنى . قال أما من ظلم (أشرك) فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ، وأنت عليم بأن من يخاطبه الله تعالى بهذا الخطاب ويجيبه بما أجابه به ، لا يتصور أن يكون اسكندر المقدونى الوثنى المشرك ولا قورش الفارسى الكافر .

أبو يعلى
حافظ حسن البطة
خان يونس بفلسطين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من الصحف والمجلات

تصدر الرياسة الدينية الإسلامية بسيراجيفو من الجمهورية الشعبية الاتحادية بيوغوسلافيا مجلة إسلامية شهرية باسم « غلاسنيق » تعنى بشئون الإسلام والمسلمين باللغة اليوغوسلافية ، وتلحق بكل عدد منها خلاصة باللغة العربية لكل ما نشر فيها من آراء وأنباء ، وعن ملحق عددها الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٦١ . ننشر هذه المقتطفات :

الإسلام فى فيليبين :

ألقى الحاج أحمد آلنتودوموكاو عضو مجلس الشيوخ والسفير الخاص لرئيس جمهورية فيليبين وزعيم مسلمى فيليبين فى قاعة كلية الشريعة بجامعة دمشق محاضرة حضرها جمع غفير من الوزراء والأساتذة والطلاب وكبار رجال الدين والعلم والأدب .

اقتطفنا من هذه المحاضرة المنشورة فى مجلة « حضارة الإسلام » بعض المعلومات عن مسلمى فيليبين ونقدمها لقراء مجلتنا « غلاسنيق » .

دخل الإسلام فى بلاد فيليبين قبل ستمائة وثمانين سنة ، عام ١٢٨٠م على يد القاضى مقدم من الغرب ثم توالى غيره من تجار العرب ونشروا الإسلام وأسسوا دولة إسلامية أخذ عدد المسلمين فى ظلها يزداد يوما إلى يوم حتى جاء الأسبانيون واحتلوا البلاد وحكموها أكثر من ٣٥٠ سنة ذاق المسلمون فيها من حكمهم الاضطاد والظلم .

يعيش الآن فى فيليبين ٣ ملايين من المسلمين وهم من جراء ما لاقوا طوال قرون كثيرة من الظلم والاضطهاد ، فى تخلف وتأخر . ولكنهم أخذوا فى التقدم ، ولهم اليوم نشاط لا بأس به فى النهوض بحياتهم الدينية . وبينهم الآن ثلاثة من علماء الأزهر يرشدونهم إلى الصراط المستقيم . وقد أوفدوا إلى الأزهر ٨٣ طالبا ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

فولتير وهجومه : « محمد » :

واصل الأستاذ أنور بن طاهر بحثه عن فولتير وموقفه من الإسلام فأتى بتحليل نفسيته وشخصيته تحليلا عليا دقيقا لم يسبق إليه.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كان فولتير فى أول الأمر ، مع الأسف الشديد، ممن بذلوا جهدهم وسعوا فى هذا السبيل وقد ألف ، كما رأينا فى العدد الماضى ، عدة مؤلفات أراد بها النيل من الإسلام ومن رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق الأكاذيب والمفـــتريات ولكنه لما نضج وأفاق رجع إلى الحق واعترف بكل صراحة بتطاوله على الإسلام وبأنه نسب إليه ما لا صلة له به كذبا وافتراء .

وإذا أردت أن تقف على حقيقة تطورات الفيلسوف فولتير وتغير رأيه فى الإسلام ورجوعه إلى الحق واعـــترافه بأخطائه وضلالاته فعليك بالاطلاع على رسائله التى كان يبعث بها إلى أخص أصدقائه ، وقد أعرب فيها عن أسفه الشديد على محمد لافترائه ، وادعائه ما ليس بحق واتخاذه الأكاذيب والأباطيل وسيلة لتملق البابا وبعض الملوك عملا بقاعدة : الغاية تبرر الوسيلة .

وفق فولتير فى الطور الأخير من حياته فى أن يتحرر من ربقة العبودية للملوك والكنيسة والرأى العام المسيحى الذى كان سائدا فى عصره وأصبح مستقلا فى آرائه وأفكاره وأخذ يفكر تفكيرا علميا صحيحا مبنيا على المنطق والعقل لا على التلفيق والأكاذيب والمفتريات كما كان شأنه من قبل . ومن هنا ظهر لنا الفيلسوف فى لونه الحقيقى ، والذى أنتجته عبقريته وقريحته فى هذا الحين إنما يمثل فى الحقيقة دفاعا قويا عن الحق والحقيقة . فأنت ترى فى مؤلفاته التى ألفها فى هذه الفترة وهى : البحث عن العادات ، ومحمد ، والجزيرة العربية وقاموس الفلسفة ، والقرآن الحكيم ، والمسلمون ، وغيرها ترى فيلسوفا جديدا غير الذى كنت تراه فى مأساته : محمد ، ترى باحثا مدققا لا يتحرى فى بحثه إلا الحق ، ولذلك تجده يدافع فى مؤلفاته المذكورة عن الإسلام وعن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول : إن القرآن أفضل مجموعة من الأحكام وخير قانون أخرج للناس وإن محمدا غير وجه أعظم وأجمل جزء من العالم ، وأحدث انقلابا عاما جاء بفوائد لا تقدر فى صالح البشرية :

هذا هو الفيلسوف فولتير الذى أراد أولا ، لأغراض غير شريفة ، أن ينال من الإسلام فكتب ما كتب ثم اهتدى إلى الرشد واختتم حياته بخير خاتمة فى الدفاع عن الحق ...

هكذا ظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا — صدق ربنا العظيم ...

أوربا والإسلام :

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية على حد قول الأستاذ الكبير الدكتور مصطفى السباعي - لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب وبلاد الإسلام فأعادوا الكرة ثانية واتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتنموه ، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية حاولوا إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم - وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيديهم من تراث وما عندهم من عقيدة وقيم إنسانية فيفقدون الثقة بأنفسهم ويرتمون في أحضان الغرب .

وقبل أن نختتم هذه الخلاصة نذكر أن مسلمي أيوغسلافيا يتابعون ما تنشره أوربا من الدعاية ضد الإسلام لأغراضها المختلفة السياسية والدينية فيقومون بمهمة الرد وكشف نيتها ومقاصدها الخسيسة . وقد قام خصيصا بهذه المهمة الأستاذ أنور ابن طاهر من أبناء البوسنة والهرسك ومن المثقفين ثقافة عصرية وله إلمام تام بعدة لغات أوروبية يساعده على تتبع ما كتبه علماء أوربا من المستشرقين . وله بحوث قيمة في هذا الموضوع نشرتها له مجلتنا وهو لا يزال يواصل مهمته .

معنى العلم في الإسلام :

رفع الإسلام من شأن العلم بحيث جعله خير العبادات . جاء في الأثر أن فكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، وقال سبحانه وتعالى في أول آية نزلت على الرسول : « اقرأ باسم ربك الذي خلق — هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

وقد جعل الله الرجل خليفة له في الأرض لما أودعه فيه من ملكة العلم والمعرفة وسخر له جميع ما في الأرض والسموات وفضله على سائر المخلوقات حتى الملائكة .

لذلك اهتم المسلمون الأولون بنشر العلم وفتح المدارس وأولوا عناية عظيمة للتعليم . كانوا لا يفرقون بين علم وعلم لأن العلم في نظر الإسلام واحد . العلوم كلها إسلامية فلا يوجد علم ديني وعلم غير ديني . أما الذي وقع بعد ذلك من تقسيم العلم إلى ديني وكوني فهو باطل لا أساس له في الإسلام . الإسلام دين ودنيا وهو يؤدي إلى سعادة الدارين — « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

سلك الأولون هذا المسلك في فهم الإسلام ففهموه على أنه دين ودنيا فكانت مدارسهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تدرس فيها جميع العلوم ، كان العالم فقيها فيلسوفا طبيبا رياضيا طبيعيا جغرافيا كيماويا ، كل ذلك فى آن واحد . ألا يكفيك أن الراهب الفرنسى جربرت الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ م تعلم فى معاهد الأندلس . يقول الأستاذ الكبير مصطفى السباعى فى بحثه: « الاستشراق والمستشرقون »: من المؤكد أن كثيراً من الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس فى إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا فى مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء المسلمين فى مختلف العلوم وبخاصة فى الفلسفة والطب والرياضيات ، منهم بطرس المحترم ١٠٩٢ — ١١٥٦ وجيرارد دى كريمون ١١١٤ — ١١٨٧ وغيرهما .

قامت المعاهد الإسلامية فى العصور الأولى من تاريخ الإسلام على فكرة عدم التفرقة بين الدين والاجتماع فكان للمسلمين ما كان من المجد والعظمة فى جميع ميادين الحياة .

وقد ذكر السيد وهبى حوفيتش فى المقال المذكور المراكز العلمية التى ازدهرت فيها العلوم ازدهارا لم يعهد له مثيل ، من تلك المراكز بغداد والقاهرة ودمشق وفاس وقرطبة وغرناطة وسمرقند وطاشقند وترمذ وبخارى والآستانة وغيرها ، وهذه المراكز كانت مصدر نشاط علمى وأدبى وفنى وثقافى وكانت مليئة بالمعاهد العلمية والمكاتب ، ويذكر المؤرخون أن بعض تلك المكاتب كان فيها من الكتب أكثر من ثلاثة ملايين كتاب ، أما مكتبة بغداد التى ألقت جيوش المغول بكتبها إلى دجلة حيث كنت تستطيع أن تعبر عليها النهر ، فشهرتها تغنى عن ذكرها .

الإسلام فى أوربا :

يختتم الأستاذ عبد الرحمن حوفتش بهذا البحث سلسلة من مقالات قيمة تناول فيها موضوع دخول الإسلام فى أوربا ، وقد تعرض فى مقاله الأخير لحالة الإسلام الراهن فى أوربا .

حاول المسلمون كما علمنا من المقالات السابقة ، فى عهد الصحابة رضى الله عنهم ، الدخول فى أوربا من ناحية الشرق ، فلما فشلت محاولاتهم المتعددة لفتح القسطنطينية اتجهوا نحو الغرب وفتحوا الأندلس ودام حكمهم فيها حوالى ثمانمائة سنة .

وفى نفس الوقت الذى قضت فيه محكمة التفتيش على الإسلام والمسلمين فى الأندلس فتح الأتراك القسطنطينية وتوغلوا فى أوربا واستولوا على شبه جزيرة البلقان واستمر حكمهم فى اليونان وبلغاريا ورومانيا وصربيا والبوسنة والهرسك وفى جزء من الجبل الأسود وهنغاريا أكثر من خمسمائة سنة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعما يجدر ذكره هنا أن الإسلام زال من الأندلس بزوال حكمه فلم يبق هناك أحد من المسلمين بعد ذهاب سلطتهم ، ولم يقع مثل ذلك بالإسلام الذى دخل فى أوربا من ناحية الشرق فإنه لم يزل بزوال حكمه، وإنما صمد وبقى إلى الآن برغم ما كان يتعرض له من الاضطهاد والانتقام فى بعض البلاد ، فأنت ترى اليوم الأقليات الإسلامية فى جميع البلاد المذكورة التى حكمها العثمانيون .

وفوق ذلك فإن الإسلام فى أوربا أخذ فى هذه الأيام يبدى نشاطا لا بأس به فى سبيل توسعة ونشر مبادئه وتعاليمه ومثله ، ففى فترة ما بين الحربين العالميتين وما بعد الثانية انتشر الإسلام وجاوز حدود البلقان فنجد اليوم المراكز الاسلامية فى معظم بلاد أوربا وأمريكا ، فهناك فى أغلب عواصمها ومدنهما الكثيرة مساجد يذكر فيها اسم الله وتقوم برسالة الإسلام .

حاولت بعض العناصر المتطرفة من المسيحيين والقوميين تشويه الدور الذى لعبه الإسلام فى أوربا فجعلوا حكم الأتراك فى البلقان عنوانا للظلم والطغيان والاضطهاد والقتل على أشنع وأبشع أساليبه .

وقد رحب الاستعمار بهذا التشويه وشجع القائمين به وقدم لهم كل مساعدة راجياً بذلك تبرير احتلاله البلاد الإسلامية واستغلاله لثرواتها .

ولا شك أن هذه الدعاية القوية المشتركة ضد الإسلام أثرت فى الرأى العام حتى فى نفوس بعض الضعاف من المسلمين .

والحقيقة التى لا سبيل إلى إنكارها والتى أخذ المؤرخون المنصفون يعترفون بها أن حكم الإسلام فى أوربا كان يمتاز بالتسامح التام والعدالة والمساواة وأن دوره كان إيجابياً تقدمياً .

أما فى الأندلس فلا حاجة بنا إلى الكلام فيه . فمن المعلوم أن الإسلام أتى فى الأندلس بمعجزات فى جميع ميادين الحياة . فمن الثابت ثبوتا لا شك فيه أن الحضارة الأوربية قامت على أسس وعلوم أخذها الأوربيون عن مسلمى الأندلس ، وللاسلام نصيب عظيم فى حركات أوربا العلمية والسياسية التى خرجت بها من ظلام القرون الوسطى وتخلصت من ربقة وطغيان الكنيسة وتحررت حياتها الفكرية من استبداد الكهنة والرهبان .

أما فى بلاد البلقان فدور الإسلام فيها لم يكن أقل أهمية من دوره فى بلاد الأندلس وخصوصا فى العدالة الاجتماعية ، وقد ترك الإسلام فى البلقان من المؤسسات الاجتماعية ما يمكن لأعظم الدول حضارة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن تفتخر وتعتز به اليوم . ففى عهد الحكم الإسلامى ما كنت تجد مدينة حتى ولا قرية إلا وفيها بيت المسافرين الذى كان يمكن للمسافر أن يبيت فيه ويأكل مجانا ، وكذلك ما كنت تجد مدينة فى البلقان إلا وفيها مطاعم عامة تقوم بإطعام الفقراء مجانا ثلاث وجبات كل يوم بدون تفرقة بين المسلمين وغيرهم من المسيحيين واليهود .

ومن ميزات حكم الإسلام فى البلقان عنايته الشديدة بالنظافة ، فكان الأتراك لا يألون جهدا فى تزويد البلاد بالمياه وفى إقامة الأسبلة والحمامات العامة فكان فى القرن السابع عشر أثناء عهد الأتراك فى مدينة سراييفو مثلا عاصمة البوسنة والهرسك ١١ من الحمامات العامة واليوم لا يوجد فيها أكثر من حمامين .

هذه الأمور لا يجوز إغفالها وإهمالها عند النظر فى الدور الذى لعبه الإسلام فى بلاد البلقان . ولا بد من الملاحظة هنا أن نصيب مسلمى يوغسلافيا وعلى وجه الخصوص مسلمى البوسنة والهرسك فى تلك الخدمات الاجتماعية العامة كان غير قليل .

المسلمون فى اليونان :

فى اليونان طائفة إسلامية يصل تعدادها إلى ما يقرب من ١٥٠ ألفاً . منهم ١٠٠ ألف فى تراقيا الغربية و ٢٠ ألفاً فى دودكانيز و ٣٠ ألفا فى يانيا وأغلبهم ينتمون إلى أقلية تركية ومنهم أيضاً جراكسة وبوماق (الصقالبة) وأرناءود .

وإليك بعض المعلومات عن حياتهم الدينية : المفتى هو الرئيس الدينى الأعلى والمشرف العام على الحياة الدينية لمسلمى اليونان . ويوجد ثلاثة مفتين وبجانبهم هيئة دينية تنتخب أعضاءها لمدة أربع سنين . ولمسلمى اليونان أربع مدارس دينية ثانوية لتأهيل وإعداد الأئمة والوعاظ والخطباء ، وأكثر من ٣٠٠ من الكتاتيب لتعليم الأطفال مبادئ الإسلام . ولهم كذلك عدد عظيم من المساجد وثلاث جمعيات : جمعية اتحاد الإسلام وجمعية انتباه الإسلام وجمعية شبان الأتراك . وهذه الجمعيات تصدر أربع مجلات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

These crimes were those which represented agression against the citizen's right for self-determination, property and his immediate family. The ruler was entrusted with the execution of these defined punishments according to what he consedered the best way of bringing about an orderly society. The ruler's aim was to provide tranquility for the citizens and security for their lives, property and immediate family.

This right which Islam gave the ruler is the "executive right" which is one pillar in the state system of the modern society. But Islam, nevertheless, concentrated Its primary attention on the reliance of the conscience of the people. Conscience is the creative power in the faithful individual. The ruler could not apply punishment in the absence of strong evidence. The Prophet, peace be upon him, says :"No punishment in lack of strong evidence". This shows the desirability of preventing the application of the prescribed punishment for certain crimes unless there is strong evidence against those who committed the crimes and consequentlly leaves room for the conscience in constructing the relationships among the citizens.

Islam, therefore, could not conceive of true believers committing such crimes, for the true believers are guided in their actions by the fear of God which crystallizes their conscience. The Prophet says : "The one who commits adultery would not do so if he were a true believer. He would not drink alcohol if he were a true believer. He would not steel if he were a true believer.

1) Thus, the foundation of the executive authority, which is one of the pillars of the state system in modern society, is also found in the nation which is the creation of God, but with the stress on conscience and belief in God. Belief in God is the path which leads to belief in humanity and brotherhood and consequently to cooperation, equality and happiness in life. Therefore, what the state system lost in neglecting the conscience of the individual by its complete reliance on the executive authority is found in the nation of God in addition to the executive authority and at the same time preserving the dignity of the human being. Human dignity is exemplified in the freedom of the individual and his free will in work and action. For this, the nation of God is far above the other societies which are controlled by outside force.

(Continued . .)

such a nation, its function would be to correct deviation which occurs in every society. However, security and tranquility among the people of this society depend, first of all, on conscience and understanding of the values as well as the difference between right and wrong instead of depending on the executive authority exerted by the state. It is the nation which has humanistic moral goals. From the beginning of its existence its targes and aims in life were clearly defined. These aims were humanity and discipline.

The individuals of this nation, at the time in which their moral and humanistic behavior sprang from their conscience and innate strong drives, carried the responsibilty for guidance to the degree that every individual was the guardian of himself as well as of the others: "all of you are gurdians and all of you are responsible for those who are under the guardianship". Man is guardian and he is responsible for his family, the woman is guardian in the home of her husband and she is responsible for her children, the servant is guardian of the property of his master and he is responsible for what he is entrusted with, therefore all the people are guardians and all of them are responsible for what they are entrusted with. Besides this responsibility of guardianship assumed by every individual in this nation, there existed the elements of personal freedom and collective cooperation among all the individuals. The etent of personal freedom, therefore, is limited by the conscience of the individual himself and his sense of responsibility for his activities. The source of collective cooperation is the sense of guardianship felt by each individual in his particular environment and the understanding of the enviroument of others and they all form one cohesive society. This means that when one takes care of himself in his particular environment, he provides for the others equal chances for coexistence. When man takes care of himself he knows his limitation according to his possibilities or to the conditions of society in which he lives.

As we mentioned before, the dependence of conscience which relies on the belief in God and his observance does not abolish the nation's need for the executive authority. But this authority does not play such an essential role as it does in the state system of the modern society.

Islam, which is the distinguished nation as the creation of God, gave the ruler the right to punish those who committed crimes in society.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

explicitly for fear that the executive authority may harm them.

In brief, modern society by adopting the state system imposed disciplinary order on the individuals who obey regardless of their free will, and it is this free will that distinguishes man from other living creatures. In modern society the individuals are faced with the psychological struggle between the authority of state and religion. Modern society as a whole is not excluded from this struggle no matter how hard it tries to bridge the gap between the state system and belief in religion.

2. *The Nation which God Created*

" You were the best nation shaped for men, for you demand goodness, prevent evil and believe in God ". This is the nation that God created. It is the nation which knew good and evil and consequently demanded goodness and prevented evil and believed above all in God. It is, therefore, a nation with human maturity, discipline as well as high morals. It distinguished right from wrong and knew the ultimate truth : the divine being. This nation was disciplined, it did what was supposed to be done and avoided what man was supposed to avoid. It is a nation with strong will power as well as free will. It was able to distinguish between the patterns of human behavior and picked out the pattern which best represented true humanity.

It is a humanistic nation with true humanistic virtues. It does not interpret life in the light in which man tends to see it, but rather looks at it the way God wants it to be. This nation does not stumble on its way through life for it does not follow the path of man who is constantly under controversial and different influences, for he is the product of his particular environment, heredity, special indoctrination, political, religious or sectarian.

The individuals of this nation are not coeved to do good and to evade evil, but they choose their way volunturily. A nation whose individuals have ambition and pride and whose actions are motivated by conscience is founded on the belief in God and His observance. And God is the center of all their higher values and ideals towards which the individuals strive and direct their actions.

The society of such a nation is a society without any surveillance system. It has no coercion for it does not need executive authority as fundamental basis of the state system. If an executive authority existed in

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

the church assumed in directing human life. It is the system of the "human age" and the human age is nothing but the period in which the human being sought to be independent of "control or guardianship" from any other source but himself. It is this period in which man became self-reliant to such degree that he overesimated the human mind and and what it creates. The system of the state, therefore, is the outcome of human philosophy, born from the self-recognition of man. Man, the owner and sustainer of this system, gives it its higher value as long as he believes in the independence of the human mind and its creativeness.

The original logic of the state system in modern society, according to this human philosophy, is the result of underevaluating the existing guiding values, which came out of religious missions, not originating from man, and which is the message from heaven. Perhaps the communistic society, at the present time, is the best example of following this logic. Other modern societies follow the same line but differ in degree. The greater the "duality between the state system and the faith in religion" the greater is the conflict of that society with the logic of human philosophy on which the state system is founded.

From another point of view, perhaps, this conflict is inherent in the system of the state itself, for the structure of society is the exact pattern of the life of the individuals. But if the structure of society reflects the life of the individuals, the individuals themselves are the cells of the new as well as of the preceding society. It is not easy, even impossible, that individuals, after adopting the new system of society, detach themselves completely from old beliefs that are deep-rooted in their hearts. Therefore, the leaders of the new system of society try to keep the two aliaat elements, the modern state system and the system in which religious belief was prevailing. They follow this policy in order to maintain popularity among those people with strong religious belief.

This policy that the leaders of the new society seek to employ is actually a manifestation of the struggle between two powers, each of which desires to have the upper hand in guiding and orienting man's life: religion or state?

The claim of the communistic society that it follows the logic of human philosophy by excluding religion from the system of society has no solid ground, for the individuals in such a system still express their belief in religion in different ways even though they don't de

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

from the factor that the legislators are influenced by their social background, environment, or the consideration of the people in power.

3) Neglecting the importance of the collective spirit in the relations among individuals to the degree that "individualism" became the prevailing feature of these relations.

The state system as seen cannot yield different results, for it is the product of man, and man is that being who has wisdom, mind, and drive. Man is the one who goes through the physical processes of infanthood till adulthood. He is the changing being who plans but does not create. His plans may materialize one time and fail another.

The architects of the state who constructed its system and advocated its validity thought that separation of the three authorities is sufficient guarantee for justice towards every citizen and for protecting the individual's rights : the right of freedom, of expression, belief and property ownership. They thought that this system was sufficient to bring about cooperation and strengthing social relations among the citizens. Separating the authorities, they claimed, is another check on the executive authority lest it trespasses the boundaries of the legislative and/or the judicial authority.

But the shortcomings inherent in this system does not spring from the fusion of the three authorities and can be corrected by such separation. Its fudamental defect results from enforcing control by outward coercion : the "police force" or the "security force" machinery. The state system relies on the "detective apparatus" regardless of whether people obey because of their belief or conviction in the validity of this system or not. This system, therefore, "pushes" the people to obey much against their true will. As a result it cannot suit man's nature which is distinguished from the nature of other kinds of living creatures. The actions of man are neither automatic nor the reflection of his nervous system, but rather the outcome of his flexible drive. His obedience or disobedience should come out of his volition or "free will" which springs from his innate conviction.

Man, the owner of this system in modern society, overestmates himself. He, as a matter of fact, exaggerates his own value and the value of his work. The state is the work of the human revolutionists who rebelled against being influenced and instructed by others — no matter how superior or wise the ruling power was.

The state system is the product of the European revolutions which opposed the influence of religion which in the past, exerted on the human mind and the responsibility

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

a high degree, on the three authorities. These authorities neither create consience nor initiate conviction, but rather force the citizen to follow and obey.

In drawing up the system of the communistic state, Karl Marx imagined that withdrawing the capital from the citizens and placing it in the hands of the state alone would eliminate the need for the "police" authority as a tool of security in the communistic state. The vindictive feelings as well as the friction among the citizens, he claimed, would be minimized once equality prevailed and the state owned the capital and paid the workers fair wages.

By eliminating the source of friction, Karl Marx envisaged the structure of a happy state which would not require control from above. Despite the withdrawal of the capital from the citizens and its concentration in the hands of the communistic state, the surreillance over the citizens because pervasive and itensified. That is because the state system in itself is founded on strict control over the people. This control did not spring from conscience or original creative power mobilizing the individuals towards the goal of society.

It is evidently clear from the system of surveillance the extreme importance the state attaches to the executive authority. This is apparent from the size of security-apparartus, and the numerous devices of control it exercises over the people. The great attention the state pays to the executive authority is again evidence that without the physical power, concentrated in the executive authority, the web of society would tear and the relationships among people, would result in chaos.

Apparently the state system seems to enclose the relationships among the people in the social frame, but in fact, the social relationships were not formed in this system. Individualism become the factor which shapes the relation - and inter-relationships, for the numerous types of crimes reveal so many kinds of friction among the individuals of the society and consequently the superficiality of the state system is trying to cover these disharmonious relationships.

Thus, there are three factors characterizing the state system in the modern society :

1) Neglecting the importance of the conscience, or neglecting the importance of the creative drive of the individual toward collective work.

2) Neglecting the law to represent public welfare, justice, or equality of opportunity. This stems

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

is the ultimate value of society to protect its individuals and the purpose for which society exists.

The executive authority executes the law as codified by the legislative and applied by the judicial branch. The division of authority necessitates specialization in each field. The purpose of this specialization is to secure a high degree of perfection for the protection of public interest. This public interest may be harmed by entrusting this function to a non-expert.

This separation of powers entrusted to specialized persons enables the state to protect public interest and to ensures justice for its citizens as well as to provide equal opportunities in life. This improves the relationships among the people and fosters the spirit of cooperation to realize the ultimate aim of society. The system of the state, according to this conception, is an ideal one, but when applied, this system seems to be concerned only superficially with human behavior rather than exerting any influence on the people to work towards the ultimate goal set by the system of the state. The actual system of the state is concerned with the artificial picture of justice and the picture of public interest rather than urging the individuals to behave justly and to perform public interest by way of shaping their conscience.

The system of the state in modern society is imposed on the people by the executive authority. The subjects have to abide by the law which is codified by the legislative authority. Some people may not believe in the justice of this law or its suitability to their welfare as citizens of society. As to the law, no matter how carefully coded, the legislators themselves are exposed to so many kinds of influence. They may be influenced by high state officials, the environment in which they live, specific orientation, or particular outlook on life. Therefore, law is not necessarily the embodiment of justice, not is it the reflection of the "spirit of abstract" which shou,d guide in the making of the law.

The stability of state which rests on the individuals of the society, depends on the system of vigilance which is the machinery of executive authority. A shake-up of the state system as well as a fading of the relationships of the individuals in the society depends on the degree to which this apparatus succeeds to implement the law. That is, because the state system, as mentioned before, did not lay down as its principle the shaping of the creative conscience, but rather depended, to

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE STATE THAT MAN MADE AND THE NATION WHICH GOD CREATED

by

Dr. Mohammad El Bahay

Director General of the Islamic culture Administration

---

1 — The State that Man Made:

Modern society is distinguished by the system of the "state", that is, society has executive authority delegated to what is called government. Society also has law codified by man and implemented for the sake of the citizen. Its legislative authority may amend or change an article or more of its constitution according to the circumstances the society and the surrounding conditions as seem fit for the existence or defence of society.

Thus exist three authorities: executive, judicial and legislative authority, each of which has specialized functions. However, on the whole, these three authorities cooperate in order to protect the structure of society as well as enable the individuals to perform their duties cooperatively in society and to strive towards the goal which unified them as a state.

The function of the legislative authority is to codify the law for organizing the inter-relationships of individuals, protecting their freedom of expression and belief, their rights to property, guarantee private life, and personal freedom. The legislative authority also provides equal opportunities for every citizen at every level, thus eliminating opportunistic infiltration initiated by outside elements such as religious, political or economic factors rather than personal qualification.

Since law is supposed to safe guard public interest, modern society entrusts the legislative function to a body which represents public opinion. This is done either by national election or the executive authority appoints experts in every field connected with the life of society.

The function of the judicial authority is to apply the law codified by the legislative body. In applying the law, the judicial authority should always keep in mind the purpose for which the law was codified, that

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

our our hopes and prospects. In this respect, we should follow our leader's footsteps with faithful hearts and pure souls. And consequently, we shall have the ability to preach Islam faithfully. From the above mentioned, we can conclude that our nation is giving a great attention to Al-Azhar and its devine message, and this undoubtedly, denotes its carefulness, particularly, to the islamic religion, its teachinges and principles.

The Muslim nations all over the world look at Al-Azhar university with respectability and appreciation, they are waiting, indeed, for a great result from this reformation. Because Al-Azhar is the source of the islamic religion, as it contains the university which connects the United Arab Republic with all Arab and Muslim countries. And because it has an international position, it must teach the students both religious and temporal sciences which enable the graduate to know his religion completely.

This new organisation will satisfy the fifty-four nations that have delegates students in Al-Azhar university and this satisfaction will streach many fields as, religion, construction, production and reformation.

I ask God to support every one in doing completely his share in the re-organisation of Al-Azhar university, and to enable him to perform his devine message in the right way. I ask God to help us all, and to guide the leaders of our revolution to do every good for the religion "God will certainly aid those who aid His (cause) for verily God is full of strength exalted in might (able to enforce his will)". " O ye who believe ! if you will aid (the cause of God), He will aid you, and plant your feet firmly " " There is no help except from God, the exalted, the wise".

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

our great society [illegible] foundations: Equality, freedom and peace. We became a nation with self-sufficient production. Befor the revolution, we were depending upon the foreign nations for our different needs, but today, our Arabic factories which produce and manufacture all kinds of goods, are spreading here and there. So, we are now the the masters of our selves, depending not on East or west, but only on the help of God and our hands. Hence, we deserve to be the moderate nation as Qur'an states in the following verse " Thus we have made of you an ummat (nation) justly balanced, that might be witnesses over the nations, and Apostle a witness over yourselves ".

(Surah the Cow, verse 143).

The advent of Islam had cleared the situation of both believers and unbelievers, it was the revolution of belief against the idolatry. In this respect Qur'an says : " O ye who believe, truely the pagans are unclean, so let them not, after this year of theirs, approach the sacred mosque. And if you fear poverty ; soon will God enrich you, if He wills, out of his bounty, for God is all knowing, all wise ".

(Surah the Repentance, v. 28).

Our revolution - by the grace of God - declared its situation in relation to the imperialists. In olden times, it was the will of God to purify the land of Mecca from the idolators and their supporters, and in the present times, it is his will to clean our land from the imperialists and their followers. As a result of that, all our conditions changed from the badness to the goodness, our renaissance grew in the different fields and flourished very quickly, our brothers all over the world attached to us with a solid friendliness, and our Republic became the best place for freedom, peace and satisfaction.

It is a great opportunity to celebrate two feasts in one day : The feast of our revolution against the tyranny, and the other is the feast of the scientific revolution which is completely illustrated in the new law of the re-organisation of Al-Azhar university; Al-Azhar which lightened the way of knowledge and education for about one thousand and twenty years ago, and linked the whole Muslim's hearts all over the world.

Surely, the re-organisation of Al-Azhar university is a blessed step, and it will enable Al-Azhar to perform its message perfectly. By means of this new law, we the Arabs and Muslims all over the world, can resume our activity and carry

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

themselves to support the tyrants, and the imperialists who possissed the wealth of the nation and humiliated its people. During this period, it happened that we mislayed the ideas of our religion, the instructions of our constitution, and set away from the teachings of our prophet. Consequently, our unity had been devided into sects and different groups, every one hated the other, so, we lived in a complete darkness.

While we were passing through this bad condition, and while we failed to know our way through this darkness, the Will of God was preparing for our good and benefit. It was the will of God to uphold us from darkness to light, from this bad circumstances to the best one, and from difficulty to easiness. God had inspired some of our faithful youngmen to revolt against the tyrants and disruption, He supported them to accomplish their revolution : The revolution of 23d Joly 1952. It was the blessings of God to grant them help and success in this revolution, to kick the tyrants out, to evacuate the imperialists. and to cause our dream to come true. It is not astonishing that the revolution has done its best to realize the dream and the hope of the people. This is because it is the revolution of, right against wrong, Justice against the tyranny, the revolution of freedom against slavery and colonialism.

Hence, people believed that wrong must be defeated by right, whatever was the time it needs. This is because wrong is very weak in face of Right. The Qur'an states that wrong cannot last long time, but only right always stands longer, it says : "For the scum disappears like forth cast out; while that which is for the good of mankind remains on the earth ".

[Surah the Thunder, verse 17].

Surely, it was the will of the almighty God to revive our nation and to take it out of its bad condition. He bestowed it with some faithful free youngmen who were very glad to sacrifice themselves and to revolt against tyranny and slavery, And He also supported them with his care. Consequently, they succeeded in their revolution which is a good movement, not only for Egypt, but also for all mankind. This is because it expanded freedom, fighting against slavery and aggression, wherever they are, and gave people the opportunity to take a part in their legislation and their governmental affairs.

Today, we are celebrating the ninth anniversary of our revolution, we want every one here to succeed in our meeting, and let us to form

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

TWO FEASTS IN ONE DAY

BY

His eminence shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

How great and strong is, the nation which draws the way that leads it to its superiority, and the nation which is striving hard to achieve dignity and suitable standard of living which fits its situation. Indeed, there is no nation which has the ability to matirialize its hope or realize its dream, unless it has a perfect spiritual personality, which provides it with good opinions and spiritual existance. It is absolutely right to say that, the nation of the perfect spiritual personality, is actually the one which deserves life, because it understands the meaning of liberty and freedom, and this is one of the strongest factors of power and immortality in the life.

Hence, God creates mindful people for the above mentioned nation, as well as, He creates free leaders who refuse humbleness, and who sacrifice their lives and property for the sake of their homeland, and for its dreams to become true. As a matter of fact, a nation which has a perfect spiritual personality, sometimes this nation comes to decline, or rather, inclines to a weakness. And consequently, it passes its life with defficulty, and its people will live with a kind of humiliation in spite of their great number. This life of humiliation and weakness will encourage the independent and imperialist nations to try to dominate and occupy it fiercely. But the nation of the glorious past, never like to be governed by the rules of the imperialists or their regulations. Promptly, its people will strive hard to evacuate the imperialists and eradicate the dominators, and God will create among them the leader who sacrifices his life for the restoration of his nation strength and its happiness.

Our nation had passed through a crucial period of its history, it was the time of deterioration and the age of weakness, which caused man to stop his work, nation to come to deterioration and people to live almost in a complete poverty. Not only the result was that, but there were also other things, for example : the governors who ruled the country by force, the assistants who dev

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

for the power of the society. This is because the existance of sects inside the frame of the society, leads to weakness and disintegration.

The agreement of Islam for the individual differences and the rule of opposition in the human life, is deffering from the communists thinking. Hence, we understand why communists are attacking Islam, and also why some of the socialist Arab writers are trying to lower the value of the Religion in man's life and replacing it with what, so called, "Science" and "Scientific way of conviction."

The Science, which is deified by the communists is really changeable, as long as man develops and endeavours to discover for more knowledges. Consequently, science does not represent a final actuality, and it cannot be considered a way of conviction for the whole human generation, because what satisfies one generation, will not satisfy the other.

Indeed, Socialism in its correct meaning, is to distribute the wealth among the people justly, to establish friendly relations among the individuals of the society, and to spread among them peace, love and brotherhood.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

its individuals.

The difference of the opposition rule, should not be the factor which leads to creation of the sectarianism, or the formation of classes among the individuals of the society. This because sectarianism or classes will prevent the actual meetings among the individuals, while it is supposed that the opposition is the way to the relation among them.

Surely, sectarianism, as well as classes is social sickness, ought to be removed. But opposition, itself, is an important factor for the power of the society, and the friendly relation among its members. So, it should be raised and preserved.

Presedent Gamal Abd El Nasser, in his adress of the ninth anniversary of the revolution, declared that the socialist's laws which were issued by the government for the social organisation, were an end for the classes system, not for the individual differences. These differences form what we mean here by " opposition ".

In the following verses " God has bestowed his gifts of sustenance more freely on some of you than on others " (Surah the Bee, V. 71). " Are those equal, those who know, and those who do not know ? " (Surah the Crowds, v. 9). " It is He who hath ... (His) agents, inheriters of the ... He hath raised you in ranks, some above others : that he may try you in the gifts He hath given you : For thy Lord is quick in punishment : Yet is indeed oft - forgiving, Most merciful ". (Surah the Cattle, v. 165). " God will raise up to (suitable) ranks (and degrees), those of you who believe and who have been granted (mystic) knowledge ". (Surah the woman who pleads, verse, 11). Wheather they indicate to the preference in means of living or in the other human abilities such as knowledges, guidance or direction. Indeed Islam means the individual differences which are very important for the society, but in the mean time, it does not aim at forming classes or sects which are nothing but obstacles before the people.

God call to the believers as follows " O ye who believe ! let not some men among you laugh at others : it may be that the (latter) are better than the (former) ".

(Surah the Rooms, verse, 11).

This call gives people a clear expression that the individual differences are not reasons for the human valuation which classes and sects are based on it. And this human valuation should be a constructional factor

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

it does not express any aspect of its interval development. Also, the opposition of knowledges is a natural rule, and the specialization which is arising by it, is a natural and social feature.

Actnally, it is impossible that all the individuals of any society, can be physicians, geologists, economical scientists or political experiants. As it is impossible that they can be at one rank or the same level. As a matter of fact, the life of the society diciates the necessity of the opposition, which should be in its life to realize its duration and firmness.

In the society, we find the physician, and the one who does not know about medicin, but he is a man of law, engineering or chemestry. As there are among physicians who does not know any thing about law or the other knowledges. On the other hand, we notice the opposition in leadership and direction, for example: There is the leader who gives orders to be obeyed, and there are people who always obey these orders. This opposition is a natural quality and an important factor, especially, for the continuace and firmness of the societies.

The ideatity of the leader who [illegible] finds obedeance, is not [illegible] violence, compulsion and aggression, but it is built on his intillegence, patience, the ability to face the difficulties and the well understanding of the spiritual and psycological problems of his people who exchange love with him, because he does all his utmost to realize welfare and high standard of living for them

With ragard to the people who obey the orders of their leader, their obediance or acceptance springs from their love for him, and also from their understanding that he is the man of a good conduct, of ability, intelligence, of the good treatment for the internal and external crisises and of the aim to realize prosprity, progress and welfare for them.

It is impossible for all the individuals of the society, to be the leaders who order and find obediance. As it is also impossible for them all to obey, unless a good one from among them, has the ability to govern them justly.

Thus, opposition, as it is very clear between male and femal, it is also very obvious among the individuals, especially, between person and person, between people and their leader and vice versa. So the complete (similarity) equivalent is only a supposition [illegible] and thus [illegible] of

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

responsibility, which man gives to himself - is the socialism that communist writers are making their utmost to convence people that it is a human principle. But their appeal does not spring from the dual human nature of both man and woman. This dual which is phisical and human characteristic, is clearing and distinguishing man from woman, in addition to the other human qualities.

Indeed, there is a difference between the misapplying of man for his human quality, and between the inconsideration of the natural quality of man and woman, This quality which distinguishes, phisically, man from woman. And this distinction can not be changed by the man.

The bad human conduct — whatever were its motives — never satisfies any human or social writer. But facts should be define according to its actuality, not due to certain personal pias of the writer, who tries to make it nearer to his intention.

To handle some of the social imperfect features, it cannot be, at all, cured with denying the natural and the actual rule of the life, but by means of following the sources of imperfect feature, it self — and improving it or stifling it out of the man's social life.

(2) Moving to the other social feature of the life, other than the family's one, we will find that opposition is very important, not only for the existance of the family as a seed of the society — but it is necessary also for the existance of the society, to assure the duration of the social life and to last the society's power and firmness: The opposition of wealth and firmness, the opposition of enlightment, the opposition of leadership and direction, and the opposition of abilities which some of it can be considered as a compensation for the others among individuals. Hence, these abilities join the individuals in friendly relations.

To deprive individuals, absolutely, of their possessions, or to distribute the wealth among them with complete equality, is an upnormal feature in the society. Hence, the friendly relations among them will be cut, because the compensation rule which is based upon (opposition), is not founded at that time. So Communism — in the economical field — which based upon absolute deprivation from one's personal property, is a feature against the will of the society, and this of course does not emanate from its natural development needs.

The distribution of the nationa wealth — with equality — among the individuals, is the feature which springs also from out of the society, as

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

So we have, accordingly, such two families to be members in the powerful and united society. In regulating the family relations, holy Qur'an says : "Men are the protectors and maintainers of women, because God has given the one more (strength) than the other."
(Surah the women, verse 34.)

This verse expresses emplicitly the importance of opposition rule which, surely, causes the comfortable and the continuous happy life of the family. This happy life will be realized after the opposition rule openly assures the manly characteristics of the man which force him to be a leader, and this leadership by turn in need of a strong personality, especially, in lack of preponderance or distinction as well.

It is obviously known that this verse does not combine any indication which gives man according to his supposed strong personality the right to misconduct his wife, or to misunderstand the real meaning of the right which is given to him as a protector of the family. But there is no doubt that the leadership of the man and his supposed strong personality are natural characteristics. The ability of acceptation and modification which distinguishes and differs woman from man, is also a natural characteristic in her. And both the two characteristics of man and woman are affirming the needs to the opposition rule which is very important for the duration of comfortable, suitable and long happy life.

Those who talk much about equality between woman and man, or rather who ask more freedom for the woman, if they actually means to prevent man from misapplying his strong personality towards his wife, or to advise him not to misuse his leadership to her, their appeal is naturally logic, also it is one of the teachings of Islam. But if their aim is to abolish the human natural differences between male and female as the communist writers are trying to do, they should remove the projection of the woman's breast, at frist, by means of "God of science", or at least to prominent the man's breast by means of the same God, to be equal to the woman's one. When this will be realized, the organic human nature will be similar, and its characteristic will be equal. But it will only differ into its growth and development, though united in its substance.

The Socialism which some of our writers, after the ninth anniversary of the revolution, tried to presume it, as if it is a frist classe human organisation, which gives woman, intuitively, the same personal freedom of man, not the same

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

[illegible] and [illegible] natural kindness and normal conformity, she will not be able anyhow to direct or control his manners, habits and conduct, or at least to turn him towards the desired direction.

The human nature compells man to follow one direction in his life, and this of course needs him to be of a strong personality and self-insistance. It also forces woman to modify her manner wherever modification is needed. This modification- by turn- needs her to have the ability of conformity, suitability, kindness and inclination, as we mentioned before.

Suppose that man is of a frail personality, he is in need of preponderance and firmness, and he is reluctant : turns once to the right side, and other to the left one, and at the same time, woman is of a strong personality, slight inclination and less experiences and modification, surely, any combination between the two will not last for a long time. This is because the woman, particularly, lost the main factor and the important element of her life as a wife. And consequently, she naturally feels manhood, and at the same time, she does not completely lost [illegible]

Undoubtedly, there will be internal contradictions and conflict between the two discordant elements of her nature. In addition to that, if she gives a boy as a result of sexual meetings with her husband, she will not be able to guide or nurse him correctly, because her nature is confused and mixed up. So, it is very obvious that, this family can not be considered a good brick in the structure of the perfect and strong society.

And if we also suppose that every one of the two is of similar personality to the other, - wheather it is a strong or a weak one -, the matter in this case will not be more than a continuous struggle, disagreement and permanent friction. When every one of them is of a strong personality or a frail one, the matter will be exhaustion, confusion and perplexity.

The family which begins its life or relation with disagreement and continuous struggle, is exactly like the other one, which both of its members are of frail personality. This is because every one of them is similar to the other. In such family weariness and perplexity prevail upon the relations between the husband and his wife.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

OPPOSITION - NOT SIMILARITY

Is one of the social development factors and one

OF THE NATURE'S RULES

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The Director General of Islamic Culture Administration

It is absolutely impossible to find the human society which consists of individuals of similar characteristics. For instance, is it possible to find the human society which combines only males or females? or is it possible to find that its individuals have the same wealth, the same power or the same weakness? Surely, it is absolutely impossible, because the opposition-not similarity, is the very important principle for the duration of any human society, especially, in its firmness and tenacity.

1 — The existance and the continuance of the family — the frist brick in the structure of the society — are not only the result of sexual meeting between male and female, which forms the new generations, but also the opposition between the psycological characteristics of male and female, plays a great part in this connection. And perhaps this will be followed by the dissimilar of bodily formation of man and woman. Certainly, the manly character compells him, by nature, to be of a strong and powerful personality, especially, in case of preponderance, firmness, determination and performance. It is obvious that preponderance needs meditation and studies, as it needs experiences and demonstrations. Also, determination needs self-control and intellegence.

On the contrary, the fiminine character enforces woman, by nature, to have the ability of conformity modification, acceptation, and suitability. Due to her interior motherhood inclination, she kindly nurses her child, takes care of him, supply him with all his needs and keeps an eye on him all the times. But the direction of the child is not stable during his childhood, it completely likewise

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

contingent from every expedition remained behind, they could devote themselves to studies in Religion and admonish the people when they return to them that thus they (may learn) to guard themselves (against evil.)" (Surah the Repentance, verse 122.)

This year, the United Arab Republic government issued the law of the re-organisation of Al-Azhar university. By means of this new law, Al-Azhar will combine both religious and temporal education. Muslims all over the world, will be gothered together around one table, it is the table of the holy Quran and the prophetic traditions and the table of seeking knowledges of the holy divine light.

O Muslims, I hope that you will receive this anniversary birthday of the prophet Mohamad with faithful hearts, as I hope that you will follow the prophet Mohamad's footsteps, especially in deeds and knowledges, taking signs and sermons from what had happened during his lifetime, because he was a continuous labour to create dignity and honour into believer's hearts and also to furnish your hearts with love and mercy for the poor and needy people.

O Prophet Mohamed, peace may be upon you.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Qur'an says : "Say : O men, I am sent unto you all, as the Apostle of God' to whom belongeth the dominion of the heavens and the earth : There is no God but He : It is He that giveth both life add death. So believe in God and his Apostle, the unlettered Prophet, who believeth in God and His words : Follow him that (so) ye may be guided." (Surah the Heights, verse 158.)

The spiritual Islamic call went deeper into the universal conscience and particularly into believer's hearts it consequently, turned the cruelty to a mercy, the error to a guidance, the weakness to a power, the ignorrance to a knowledge, the fear to a security and the confusion to a stability and peace. In this connection, Qur'an says : "God had promised to those among you who believe and work righteous deeds, that He will of a surety, grant them in the land, inheritance (of power), as He granted it to those before them; that He will establish in authority their Religion — the one which he has chosen for them; and that He will change (their state) after the fear in which they (lived), to one of security and peace : They will worship Me (alone) and not associate aught with Me, if any do reject faith after this, they are rebellions and wicked. So establish regular prayer and give regular charity and obey the Apostle; that Ye may receive mercy."

(Surah the light, verses 55-65)

This is Mohamed who all the Muslim countries wherever they are, celebrate the memory of his birthday during the lunar month "Rabia Al-Awai" every year. It is a good opportunity and best luck for the United Arab Republic to adopt Islam, its sdtudise and teachings. Since the United Arab Republic embraced Islam, it has kept its sources specially, the holy Qur'an and the prophetic traditions. The university of Al-Azhar. which is one of the United Arab Republic universities, and which is the religious one, had shouldered to teach Islam many centuries ago. It contains thousands of the foreign students who left their countries and families and came to Al-Azhar for the sake of studying Islam and its teachins. They consider Al-Azher the second sanctuary, this because it provides them with knowledges and education, which they will preach among their citizens after returning back to their homeland. In this respect Qur'an says : "Nor sould the believers all go forth together, if a

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

says : "When My servants ask thee concerning Me, I am indeed close (to them) : I listen to the prayer of every suppliant when he calleth on Me : let them also, with a will, listen to my call, and believe in Me : That they may walk in the right way" (Surah the cow, verse 186).

Hoping that they will be saved from their bad life and be guided to the straight path, people prayed to God, and He accepted their prayer, for He is all hearer, all knower and most kind, most mercifnl. A while after, good tidings of Mohamad's birth spread here and there. These tidings of his birth shaked the whole world, and human souls looked at the sky asking relief and support. After a short time, the message of Islam was revealed to him, it was a cure for the hearts' diseases as Qur'an discribed that in the following werse "O mankind, there hath come to you a direction from your God and a healing for the (diseases) in your hearts — and for those who believe a guidance and a mercy. Say : " In the bounty of God and in his mercy — In that let them rejoice : " that is better than the (wealth) they hoard ".

[Surah Younus, verses 57-58.]

Prophet Mohamad had been sent to mankind with the Islamic guidance, Qur'an says in this aspect " Verily, this Qur'an doth guide to that which is most right (or stable), and giveth the glad tidings to the believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward ".

[Surah, the children of Israel, verse 9].

Indeed, Qur'an guides humanity to the straight way in every sphere of life, as it obviously clears up to the best way of relations between man and his Lord, man and his brother, man and his life affairs, man and his freedom, man and the universe in which he lives, and also clears up the relation between the surface of the earth and its bottom. Qur'an says : " Do thy see nothing in the government of the heavens and the earth and all that God hath created ? (Do they not see) that it may will be that their term is nigh drawing to an end ? In what message after this will they then believe ? ".

(Surah the Heights, verse 185.)

Moreover, Islam declares the relation between the wealthy person and the poor one, it guides humanity to live in peace and co-operation.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

In addition to that, Qur'an declares God's blessings which had been granted to the descendants of the prophet Ebraham, those who believe in God and his messages, it says: "God did confer a great favour on the believers when He sent among them an Apostle from among themselves, rehearsing unto them the signs of God, sanctifying them, and instructing them in Scripture and wisdom, while, before that, they had been in manifest error."

[Surah the Family of Imran, verse 163]

Qur'an also indicates to the blissings once more, and mentions the relation between people and the prophet Mohamad who has the heart which is full of mercy and kindness, it says: "Now hath come to you An Apostle from amongst yourselves. It grieves him that should perish: Ardently anxious as he over you: to the believers as he most kind and merciful."

[Surah the Repentance, verse 128.]

Before the rovelation of the peoplet Mohamad "peace may be upon him", people were living in complete darkness, and consequently, they [illegible] the existence of God. They [illegible] no, consider the human [illegible] and their souls filled with tyrany and agression. It was very difficult to guide them to the straight way, because they rejected faith, denied Divinity, cut all the relations between them and their creator, worshipped idols and prostrated to the useless stones. Moreover, people at that time, used to do bad social habits, they for example, buried girls alive in spite of their importance in formation of their families and society. They also compelled girls to commit adultery in spite of their purity and chastity. The worst habit was that they killed boys though they were the allurements and pillar of their life. Also they cut the relations between them and their society: They abandoned faiths, morality and the natural ways of life, They used the force as a solution for all problems. Consequently, mercy and kindness could not find any way to people's hearts.

There is no doubt that Islam guided human souls to the right way, after they had been corrupted by those who went astray. Indeed, the spirit of Islam is the pure one, which has no place in such society because it was full of tyrany and aggression. Islam is an easy Religion, it calls people to ask only God's help, and their application will benetrate the viels to the source of creating and existing, source of mercy and kindness, and [illegible] the source of relief and guidance [illegible] Qur'an

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE UNITED ARAB REPUBLIC CELEBRATES

The anniversary of the Prophet Mohamad birthday

WITH A FAITHFUL HEART

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Every year, on the lunar month "Rabia Al-Awal", Muslims everywhere celebrate the memory of the Prophet Mohamad birthday. God had sent Mohamad "peace may be upon him" to lead mankind to the right way of life, and to take peoples out of the darkness which they were living in. The revelation of the Prophet Mohamad was an expression declared that God had accepted the prayer of the two prophets "Ebraham and his son Ismail" while they were laying the foundation of the first sanctuary "The sacred Mosque". Qur'an repeats their prayer in the verse "Our Lord! accept (this service) from us: For thou art the all hearing, the all knowing. Our Lord! Make of us Muslims bowing to thy (will), and of our progeny a people Muslim, bowing to thy (will), and show us our places for the celebration of (due) rites, and turn unto us (in mercy); for thou art the oft-returning, most merciful. Our God sent amongst them an Apostle of their own, who shall rehearse thy signs to them and instruct them in Scripture and wisdom, and sanctify them: For thou art the exalted in might, the wise."

[Surah the Cow, verses 127 — 129]

This is Mohamad, who had been sent by God to humanity as an acceptance for the prayer of our father Ebraham and his son, and who Qur'an called him "The light" in the verse "Thre hath come to you from God a (new) light and a perspicuous Book. Where with God guideth all who seek his good pleasure to ways of peace and safety, and leadeth them out of darkness by his will, unto the light-guideth them to a path that is straight."

[Surah the table, verses 17 — 18]